صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل في ذكر آداب المتعلم) قد تقدم رحمنا الله تعالى وإياك ذكر بعض
آداب العالم وفي ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم إذ آداب العالم فيها ذكر
إشارة كما في ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض شيء يرد به فيبقى الـ
(وقد) تقدم في العالم أن تكون نيته في التعليم لله تعالى وأن يظهر الحق
نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو في حق المتعلم آكد لأنه في أول
أمره متصف بالجهل فيحرص على خلاص نفسه من الشوائب في
يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس أو يفتخر
بالعلم أو لعلوم يأخذه به أو لأن يرأس به على الجهال أو لأن يشار إليه أو لأن
يتبع قوله إلى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن
لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل لا يريد غير ذلك (ألا ترى
إلى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام إخبارا عن ربه عز وجل
حيث يقول سبحانه وتعالى أن اتصف ببعض ما ذكرناه أغنى الشر

اذهب نأخذ الاجر من غيري (ولا) تختلف العلماء أن العلم أفضل الاعمال بعد الايمان بالله عز وجل واذا كان أفضل الاعمال فيتعين تخليصه لله تعالى فيبتدئه أولا بالاخلاص المحض حتى يكون الاصل طيبا فتأتي الفروع على هذا الاصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالاخلاص فيه (ومن) مراقي الزلفى للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال بعض السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا اه (هذا) اذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فان كان وليه هو الذي يرشده لذلك فيتعين على الولي ان يعلمه النية فيه وليحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب ان يرأس به أو يأخذ معلوما عليه الى غير ذلك مما تقدم ذكره فان هذا سم قاتل يخرج العلم عن ان يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما تقدم ذكره فان جاء شيء من غيب الله تعالى قبله على سبيل انه فتوح من الله تعالى ساقه الله اليه لا لاجل اجارة أو مقابلة على ماهو بصدده اذ أن أعمال الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى ان يحيى بن يحيى راوي الموطأ لما ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فانه قد جاء شاب في سنك وقرأ على ربيعة فما كان الأيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لي وقال للملائكة هذا عبدي فلان كانت نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ماينتظرون قال فقلت وماينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغي له أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا في زيادته ولا في تنزيله في المدارس ولا في الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا في نيته ووقع عليه الذم بنص كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما لأن يكون مدرس المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح من الاول أو لأن تتكرر عليه مسائل

والعاقل الكامل أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه متعينة فيتسبب في شيء يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من أن يأخذ أوساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من اسباب الآخرة وانما حدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل الفساد على كثير من تعاطي أسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف للحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لا يمكن طالب العلم التسبب في الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره (ومن) كتاب القوت قال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه وقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الا ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام اه (الاترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثوبه الذي كان فيه

احدى عشرة رقعة احداها من أديم هذا وهو أمير المؤمنين فما بالك بغيره (فان) قال قائل كان ذلك فى زمان لائق بهم وهذا زمان لا يليق به ماذكرتم (فالجواب) ان الزمانين بالنسبة الى الشريعة المطهرة سواء اذ أن الكل عمهم الخطاب وتناولتهم الاحكام الشرعية كما تقدم وقد تجد كثيرا من أهل هذا الزمان متصفا بتلك الاوصاف الجليلة شرعا أو بجلها وقد مضت حكاية الشيخ الجليل ابن عبد السلام رحمة الله عليه فى تواضعه فى تصرفه وكذلك حكاية الشيخ الجليل المعروف بالزيات رحمه الله وما جرى له وكان من أكابر العلماء والصلحاء فى وقته وفى هذا الوقت ببلاد المغرب بعض العلماء اذا جلس الى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة أو ستمائة من الفقهاء يحضرون عليه فاذا فرغ من مجلسه قام ودخل بيته وأخرج ما يحتاج اليه على رأسه أوفى يده من قمح يطحنه أو عجين يخبزه أو شراء خضرة أو حاجة من السوق أو حصاد لزرعه بيده أو غسل ثياب الى غير ذلك من الحوائج وله من الهيبة بحيث لا يتجاسر أحد من الطلبة أوغيرهم أن يحاف عليه فالخير والحمد لله باق لمن أراده وتحصيله ممكن وانما بقى التوفيق فمن وفق وترك العوائد الرديئة والطبائع النفسانية فقد أرشد وجاءه العون قال عليه الصلاة والسلام لا تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وفى رواية أخرى طائفة بالمغرب اه مع ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام أمتى مثل المطر لا يدرى أيه انفع أوله أو آخره أو كما قال عليه الصلاة والسلام فلا يقطع المرء المسلم الاياس من هذا الخير العظيم فانه والحمد لله باق الى يوم القيامة بفضل الله تعالى وكرمه وقد رأيت وباشرت بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المسحاة ويأتون الى موقف البنائين فان حصل لهم سبب مشوا فيه يومهم ذلك والا رجعوا الى الدرس والاشتغال الى غير ذلك مما قد يطول ذكره (فالحاصل) من هذا أن يدخل المتعلم الى تعلم العلم بجد واجتهاد وحسن نية وترك الالتفات الى العوارض والاسباب والعوائد التى انتحلت فى هذا الزمان وهو مخير فى الاسباب الشرعية هل يقدم عليها أو يتركها ثقة بربه عز وجل كما سبق (وقد) تقدم فى العالم ان من صفاته التواضع لمن يعلمه واذا كان ذلك مطلوبا فى العالم فمن باب أولى فى المتعلم

المحتاج الى المعلم فينبغي له ان يكون تواضعه اكثر حتى لو صار ارضا لوطئا كان قليلا بالنسبة الى ما هو بطالبه ولان التواضع يقبل بالقلوب عليه و تعلمه لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شيء فاذا

اكرا سمعت عنه هذه المفاسد التي عمت بها البلوى في الوقت من نظر بعضهم لبعض في العلوم وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا وانا اكثر او قد حفظت الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني في

بينهم شنآن واتصاف بالحسد وما شاكله وخرج ذلك الى باب الاسباب الدنيوية ووقعوا بسببه في الوعيد الذي تقدم في الحديث

والسلام من عمل من هذه الاعمال الخ أسأل الله السلامة عنه

ان المتعلم لا يتصف بما ذكر من الاخلاق الحميدة الا ان يبني أمره على أصل صحيح اذ ان البناء اذا طلع على غير أصل لا ينتفع به فلابد من أساس صحيح يعمل ثم بعد ذلك يبنى عليه والاساس الذي يحتاج اليه المبتدي في الدين اتباع السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما اخذ بسبيله وكانت أحوالهم رضي الله عنهم الهرب من الدنيا وأسبابها فان فتح عليهم بشئ منها قالوا ذنب عجلت عقوبته وان اصابهم ضيق سروا بذلك وفرحوا به وكان ذلك عيدهم ولاجل ذلك جعلهم الله ائمة يقتدى بهم ويرجع الى أقوالهم وأحوالهم (وقد) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما معناه يا موسى اذا رأيت الدنيا اقبلت فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيتها أدبرت فقل اهلا بشعار الصالحين (وقد دعا) موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه ان يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما تريد ان أعتق بعدائك رقبة من النار وبغنائك رقبة من النار قال بلى يا رب قال هو كذلك او كما قال فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بني اسرائيل ويتعشى عند آخر وكان ذلك رفعة في حقه لتعدي النفع الى غيره من من الله عليه بعتق رقبته من النار (فان) قال قائل قد كان في السلف رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال واسباب (فالجواب) ان اتخاذهم الاموال والعمل على الاسباب لا يمنع اذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضي

تعلق القلب بها اذ انهم كانوا فيها سواء اقبلت او ادبرت فان اقبلت قابلوها

بالايثار

بالايثار والبذل لله وان ادبرت قابلوها بالصبر والرضى والتسليم لمن الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر والغنى والحركة والسكون (وقد كان) سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعنى فى الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشيئين الا اضر بالآخر يعنى من اشتغل بالدنيا أضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة اضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجمعك بين الحالتين عجيب فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم فى المعلوم او نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس وماساقه الله اليه رضيه وشكره ومامنعه منه حمده على ذلك ورآه من ربه عزوجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقى العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء فى القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما اخذ بسبيله وعكس هذا الحال فى النقيض والعياذ بالله فن اراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره فى الاقتداء بهم وباحوالهم فى القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله ان يمن علينا بما من به عليهم فانه اهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ماينبغى عليه فى تعليمه وهو آكد من كل ماذكر تقوى الله تعالى فان الله عزوجل يقول فى كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عزوجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى فى كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للمتعلم بها نفس من المسائل لا تؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ماحصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ماعليه فى التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام وما نهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان اعبد الناس وان لم

كن له كثير من العمل (ومن) آكد الامور عليه تخليص دمته من احواله وحلاله ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الاعظم واحذر من هذين الامرين الخطرين اللذين قد عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة فالنميمة ان تنقل حديث قوم الى آخرين والغيبة ان تقول في غيبة الشخص ما يكرهه وان كان حقا واما ان كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينه (الاترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع اى بلد هذا الى ان قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم الى أن قال ألا هل بلغت الا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فاذا آكد الامور الثلاث كما ترى (والناس) في ذلك منقسمون على أربعة أقسام لا خامس لها (القسم الاول) السالم من الجميع أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والسابقون السابقون أولئك المقربون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (القسم الثاني) عكس الاول وهو من كانت له القدرة والجدة وواقع الجميع أولئك حزب الشيطان أسأل الله السلامة (القسم الثالث) من تحرج عن سفك الدماء وكانت له القدرة على أخذ الاموال والوقيعة في الأعراض وواقعهما معا فقد لحقه الاثم في فعله والتحق بالاول بنيته اذ لولا تحرجه لفعله (القسم الرابع) من تحرج عن الدماء وأخذ الاموال ووقع في الأعراض لقدرته عليها فيكون آثما في الثالث لفعله لا ملحقا باصحاب الدماء والاموال بنيته لقوله عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اه (واذا) كان ذلك كذلك فيكون عنوان الصدق فيمن ادعى الورع عن الدماء والاموال استعفافه عن الأعراض فان استعف عنها كان دليلا على صدقه في ترك العائين المتقدمين وان تمادى على الثالث أو بعضه كان ذلك دليلا على كذبه في الاول والثاني فيخاف عليه أن يلحق بهما أسأل الله السلامة منه (واعلم) ان غيبة كل انسان بحسب حاله قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله غيبة الصالحين في ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون الاهم

تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم فى الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم فى دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره المقول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشا كلها ويتحفظان منها اذان يتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما لانهما قدوة للمهتدين

(فصل فى أوراد طالب العلم) وينبغى له أن لايخلى نفسه من العبادات وأن يكون له ورد من كل شئ منها اذ أنها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع فى قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فعم الطرفين وجعل من الثالث جزءا والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لايخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل فى غدوته أو فى روحته بشئ من أعمال الآخرة أو بشئ من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهى الاستعانة الحقيقية (لقصة) معاذ بن جبل وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما لما أن بعثهما النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال أحدهما للآخر كيف تقرأ القرآن قال أقرأه قائما وقاعدا ومضطجعا وأفوقه تفويقا ولا أنام وقال معاذ رضى الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه هو أفقه منك يعنى معاذا الذى كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم فى تصرفاتهم ولا فى شئ كانوا يتصرفون وحسن نياتهم فى ذلك كله (وأقول) عمر رضى الله عنه مامن حسنة الا ولها أخيات (وان) كان فى سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت بين شعبتى رحلى أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت على

دليل على خفة الورد (وهذا) الذي تقدم ذكره اغناه ومع عدم وجود الجد والاجتهاد وانتفاء النشاط وقوة العزم فيأخذ من ذلك ما استطاع وما وجد اليه السبيل فان وجد حلاوة المناجاة في التلاوة فلينقص فيها ولا يقتصر على حزبه المعتاد ولو ختم الختمة وابتدأها ثانيا وثالثا وهكذا ألا ترى انه لو قرأ مثلا في الركعة الاولى حزبا فالمشروع في الثانية أن يقرأ فيها مثل الاولى أو أقل ولو وجد الحلاوة في الثانية فلينقص لحديثه مادام يجد ذلك ولو طال الامر فان طلع عليه الفجر فليرجع عما هو بصدده الى الاشتغال بفرض الوقت لكن يكمل خمس تسليمات معدودة كالوتر عن حزبه فانه يوقعها بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم (وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ما ينبغي لمن اراد وجد الحلاوة في شيء أن ينتقل عنه مثل أن يجد الحلاوة في الدعاء في غير الصلاة فلا يقطعه ولا ينظر الى غيره من الاوراد وكذلك ان وجد الحلاوة في الركوع فلا يرفع وكذلك ان وجدها في السجود اللهم الا ان يخاف على فوات الفرائض في الجماعة فليقطع ذلك لاجلها وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلسون بصلاة الصبح ولم يكن لهم غير جماعة واحدة لان المقصود الاعظم طلب العلم وقيام الليل وغيرهما مما يقرب من الله تعالى اعاد ذلك كله لعل ان يحصل له شيء مما تقدم ذكره من الحلاوة في المناجاة في ورده أو الدعاء أو غيرهما الا ان يعرض العرض فيفعل كما سبق (وقد) ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ في ورده بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فبقي عليه الصلاة والسلام يكررها حتى طلع الفجر (وقد) حكى عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله ونفعنا به انه خرج ليلة من المسجد وقد صلى العشاء فرجع خلفه بعض اخوانه وهو لم يشعر به فاذا هو قد رفع رجله اليمنى ووضعها على ركبته اليسرى وقبض على لحيته بيده ورفع رأسه شاخصا الى السماء ووقف الرجل خلفه ينظر الى أن طلع الفجر فلما ان طلع الفجر رجع أبو يزيد الى المسجد لصلاة الصبح فرجع الرجل خلفه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الحالة التي كان فيها أبو يزيد والى تركه ما كان فيه واتيانه الى الفرض في جماعة مع انهم قد قالوا في من كان القرآن ينفلت منه أمله حفظه فليقم به في الليل في الصلاة فان ذلك

يشتد له وماذاك الا البركة امتثال السنة في قيام الليل سيما ان كان في الثلث الآخر منه لما ورد في ذلك من البركات والخيرات (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الحديث الخ (ومعنى) النزول ههنا نزول طول ومنّ وتفضل وكرم على عباده لا نزول انتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وفي) قيام الليل من الفوائد جملة ولا ينبغي لطالب العلم ان يفوته منها شئ (فمنها) ان يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة (الثاني) انه ينور القلب (الثالث) انه يحسن الوجه (الرابع) انه يذهب الكسل وينشط البدن (الخامس) ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا في السماء (وقد) روى الترمذي عن بلال وأبي امامة قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيآت ومطردة للداء عن الجسد (وروى) ابو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين (ولعلك) تقول ان طالب العلم ان فعل ما ذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث (فالجواب) ان نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف ما قد يعجز الواصف عن وصفه وببركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما بعد مع انّ هذا أمر عزيز قل ان يقع الا لمعتنى به والعلم والعمل انما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله اه (وما) تقدّم ذكره فيما حكاه الباجي وغيره من ان عادة السلف مضت على فعل هذه الصلاة طول السنة في البيوت يؤخذ منه الدليل الواضح على ان ذلك لا يفعل في المساجد ولا في المواضع المشهورة الا في قيام رمضان وحده (واذا كان) ذلك كذلك ففعل القيام في غير رمضان في غير البيوت بدعة (وقد) تقدم غير مرة أنّ البدعة لا تأتي الا بشر والخير كله في الاتباع (وقد) نص علماؤنا رحمة

الله عليه وسلم ان ذلك جمع في غير رمضان ان فعل في غير البيوت كما تقدم لكن قيام السنة في البيوت فيما عدا رمضان يخالف لقيام شهر رمضان في كونه يفعل بعد النوم في الغالب وقد يفعل قبله و يكون وكثير منهم من يفعله قبل النوم وبعده والغالب ان فعله بعده وهو اكثر ولا يجمعون له ولا يشهرونه بخلاف قيام رمضان في المساجد فانه لا يفعل الا قبل النوم (ولاجل) هذا المعنى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي ينامون عنها افضل يعني من نام أول الليل وقام آخره فهو افضل ممن قام أوله فقط وأما قيام السلف رضي الله عنهم فذلك أفضل على كل حال الا انهم كانوا اذا فرغوا من قيامهم في شهر رمضان يستعجلون الخدم بالطعام مخافة طلوع الفجر ولا شك ان من قام الليل كله أفضل ممن قام بعضه لانه حاز فضل الليل كله (فتحصل) من هذا أن قيام الليل ينقسم على أربعة أقسام اما أن يقوم الليل كله ولا شك في فضيلته أو يقوم أوله وآخره وهو قريب من الاول أو يقوم آخره دون أوله وهو المشار اليه بالافضلية بقول عمر رضي الله عنه والتي ينامون عنها أفضل واما أن يقوم أوله دون آخره وهو المفضول من قول عمر رضي الله عنه (وينبغي له) ان يحافظ على ورد الصوم ولا ينبغي له أن يتعلل بانه مشغول عنه بطلب العلم اذ صيام ثلاثة أيام في الشهر ليس فيها كبير مشقة في الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله فانه كان يفطر تسعة أيام ويصوم عاشرها وهذا كما تقدم في صلاة الليل فان وجد النشاط والقوة على أكثر من ذلك بادر اليه مع عدم وقوع الخلل فيما هو بسبيله فان ادعى انه يعجز عن صوم ثلاثة أيام في الشهر مع طلب العلم فينبغي لهذا أن يترك طلب العلم في تلك الثلاثة ويصومها لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله عليه الصلاة والسلام الحسنة بعشر فيكون ذلك كصيام الدهر ثم كذلك يكون حاله في جميع الاعمال لا يخلي نفسه من شئ منها كما تقدم ويكون الغالب عليه اشتغاله بالدرس والمطالعة والفهم والبحث مع الاخوان الذين يرتجى النفع بهم ولقاء مشايخ العلم الذين جعلهم الله سببا للفهم والخير ويواظب على ذلك

(فصل في زيارة الاولياء والصالحين) وينبغي له أن لا يخلي نفسه من زيارة الاولياء والصالحين الذين برؤيتهم يحيي الله القلوب الميتة كما يحيي

الارض

الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبه ويهون برؤيتهم الامور الصعبه اذهم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم اذهم باب الله المفتوح لعباده ومن كان كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولانه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ماقد يعجز الواصف عن وصفه ولاجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بما ذكرله البركة العظيمة فى علمه وفى حاله فلا يخلى نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط ان يكون محافظا على اتباع السنة فى ذلك كله (فليحذر) أن يزور أحدا من أهل البدع ومن لاخطر له فى الدين الا بالتمويه وبعض الاشارات والعبارات مع انه قد قل فى هذا الزمان من يضطر الى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب الى العلم يقعد بين يدى بعض من يدعى الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل ويعتذرون عنه بأنه مجذوب على نفسه (وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس نحو ثلاثة أيام أو أربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شئ يستره وبين يديه بعض قضاة البلدور ؤسائها وهذا أمر شنيع فى الدين وقلة حياء من عمل الذنوب وارتكاب مخالفة السنة وترك الفرائض اذأن كشف العورة محرم وكذلك النظر اليها واخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فيرتكبون محرمات جملة وهذا انما هو تمثيل ما والا فالمفاسد التى تعتورهم فى ذلك أكثر من أن تحصر أو ترجع الى قانون معروف فى الغالب فينبغى لطالب العلم بل يتعين عليه ان تكون السنة عنده أعظم مطلوب ويغار عليها ان تغيرت معالمها بأن ينسب اليها ما ليس منها فاذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك وتحسين الظن به مخالف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد يضيق عليه التأويل بل ويخاف عليه ان يخل بجانب السنة أو بعضها فالهرب الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج ان يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) أمر قد عمت به البلوى فى هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الاحوال وتشعبت السبل ولو قلت لأحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق

ويقول كان شيخي يفعل كذا وكذا وما هذا طريق شيخي وكان شيخي يقول كذا
وكذا ويصادم بذلك كله السنة الواضحة والطريقة الناجحة (فالتهم)
لو وجدوا بعد هذا الحد لو كان سائغا بل زادوا على ذلك الامر المعروف و
لقد بلغني عمن أثق به ان بعض من ينتسب الى العلم تكلم في مسئلة ونقل فيها
عن بعض شيوخه نقلا تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره حديث النبي صلى
الله عليه وسلم يرد هذا فأجابه بأن قال حديث النبي صلى الله عليه وسلم انما
يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يقتدى بهم وهذا ان كان
كان كافرا حلال الدم وان لم يعتقده فهو مرتكب لكبيرة عظمى
ينوب صاحب الادب الموجع (وبعضهم) يفعل فعلا قبيحا سيما و
أحد نوع من اعتقاد بعض النسوة وزيارتهن وهن على ما يعلم من قلة العلم
بالسنة الطاهرة بل عدم ذلك في أكثرهن سيما اذا انضاف اليه ما يفعله بعض
من ينتمي الى المشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفي أصواتهن من
العورات ما لا يخفى بسبب ترجيع أصواتهن وتداولهن أسماء وبعض
على رءوسهن من شعارهن إلباس الصوف ان تاب على يديه
طريقتها (وقد سئل) مالك رحمه الله عن لباس الصوف للرجال فقال لا
في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في مثل ثمنه وأبعد من الشهرة اه (فاذا
كان) الامر على هذا في حق الرجال فما بالك به في حق النساء بل لباس
ذلك لهن فيه شهرة وفيه تشبه بنساء النصارى في كونهن أعني
الصوف والتخلي عن الأزواج وذلك كله ضد مراد صاحب الشرع صلى
الله عليه وسلم حيث يقول جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها ومن
حسن التبعل لبس الحسن من الثياب والتحلي والتزين لزوجها (فاذا) علم
فيحصل منه ان فعل هذا مصادم للسنة مخالف لما ينبغي شرعه وشعر
يعتقد وأنت ترى كثيرا من الناس من له رياسة ومن ليست له رياسة يتخذون
مصانع من هذا حاله ويثنون عليها بذلك ويطرزون بذكرها
ويزورونها في بيتها ويحملون خطاهم الى زيارتها أو تأتي هي
وقد يطعمونها ويكرمونها ومن لا يلبس الصوف من الشيخات
أكثر وأشنع يطول تتبعها لكثرتها الاعراض عن ذكرها والاقلام عن

(وقد) قال عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قيل بم يارسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت مارأيت منك خيرا قط (وقد) قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وعائشة انتهى (وقد) قال صاحب الانوار رحمه الله احذروا الاغترار بالنساء وان كن نساء صالحات فانهن يركن الى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة (وقد) قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ونفعنا به ليس للنساء نصيب فى الاسلام (والرجل) الصالح فى هذا الزمان فى الغالب انما شعاره لزوم بيته (لقوله) عليه الصلاة والسلام عند ظهور الفتن كن حلسا من أحلاس بيتك انتهى فكيف تخرج المرأة التى لم يشرع لها الخروج الا لضرورة وقد تقدمت واعتقاد الشيخات يستدعى خروج ربات الخدور وغيرهن وفى خروجهن من الفتنة ماقد علم (ولا) يظن ظان ان هذا الكلام يشعر بانه ليس فى النساء صالحات ولا عابدات وانما وقع الكلام على الغالب من أحوالهن والنادر لا حكم له (ثم) العجب العجيب فى اعتقاد بعضهن فى هؤلاء الشيخات من النسوة وهن كما قد علم فى هذا الزمان لا يمضين لموضع يعلمن فيه الا بعد اطلاقهن من ضامنة المغانى فهاسد مركبة على مفسدة عظيمة (ثم) العجب أيضا من بعض الرجال ممن له الحشمة أو المشيخة يتورعون عن سماع المغانى ويعرضون عن ذلك الشيخة المتقدم ذكرها فتجىء بعد اطلاقها من الضامنة ومعها حفدتها ويرفعن عقيرتهن بالقراءة والذكر جماعة وقد تقدم مافى القراءة والذكر جماعة للرجال (فان) لم يكن من فعل السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين وانكر مالك لذلك فى حق الرجال وان ذلك بدعة ممن يفعله فما بالك به فى حق النساء وفى أصواتهن من النداوة والترخيم والفتنة ماقد علم (ألا ترى) الى قول مالك رحمه الله تعالى فى كلام المتجالة أما التى كلامها أحلى من الرطب فلا انتهى يعنى انه ممنوع وان كانت متجالة فكيف به فى الشابة وقد قال الشافعى رحمه الله تعالى ماهن ساقطه الا ولها لاقطه (وسبب) هذه المفاسد كلها قراءة الرجال جماعة

وقد كرهم جماعة غير ذلك الى هذا المحرم الذي يفعله النسوة في الفرح والمولد
وغيرهما اوردن على ذلك فيأتون يرقصون ويغطون وقد أخذهن الاحوال على
زعمهن وفي رقصهن من العورات ما لا خفاء فيه من وقوع الفتن وفساد
القلوب والتشويش على من فيه دين أو خير فانا لله وانا اليه راجعون على
حسب القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من
فعل الذنوب وقلب الحقائق وانقلاب المقاصد وترك الالتفات للمفاسد ولا
يمكن حصرها ولا عدها فالمذنب من ترك هذا كله اذ ان العلم الذي عنده
يحرمه ويأمره بتغييره فان لم يقدر فاقل ما يمكن في حقه ما لا يغير بالقلب وأدنى
ما يمكن في التغيير بالقلب أن لا يشهد هذه المواضع ولا يترك أحدا يشهدها
ولا يرضى بفعلها ولا يذكرها استيفاء لحرمته بل يعيب ذلك ويبين أمر الشرع
فيه (وقد) روى الامام أبو الحسن رزين رحمه الله في كتابه عن حذيفة وابن
مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا يكن احدكم امعة يقول انا مع الناس ان
احسن الناس احسنت وان اساؤا اسأت ولكن وطنوا انفسكم ان احسن
الناس أن تحسنوا وان أساؤا ان لا تظلموا انتهى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغي
له أن يزهد في زيارة الاكابر والاولياء والصالحين اذ انهم معروفون
بسيماهم (قال) الله تعالى في كتابه العزيز تعرفهم بسيماهم (وقال) تعالى
سيماهم في وجوههم (وقال) عليه الصلاة والسلام رب اشعث أغبر مدفوع
بالابواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره انتهى (فان) خفي على طالب
العلم أمر أحد ممن يراه فلينظر في تصرفه فان كان على السنة فليشدد يده عليه
وان وقع غير ذلك فليهرب منه فانه اهم (وقد) حكي عن بعض السلف رضي
الله عنه انه أتى قصدا الى شخص كان في وقته خرج صيته فمضى اليه الى
زيارته ودخل المسجد الذي كان يصلي فيه فلم يجده فجلس ينتظره فلما
ان جاء ودخل المسجد تنخم وبصق فيه فخرج هذا السيد ولم يسلم عليه وخرج
معه الشخص الذي كان أتى عليه فقال له لم خرجت ولم تسلم عليه فقال له اذا
كان انسان لم يأمنه الله تعالى على أدب من آداب الشريعة فكيف يأمنه على
سر من أسراره (قلت) من الفرق هكذا ينبغي ان تكون المحافظة على
السنة وترفيعها وتعظيم قدرها اذ انها أول باب في الخير وهي آخره سد بابه

عليها

عليها ان كنت من أهلها أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنه آمين بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم والحمد لله رب العالمين

(فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة) وينبغي لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبي الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة وان تركه يومين كانه ترك سنتين وان تركه ثلاثا لا يجي منه شئ انتهى وما قاله بين ألا ترى ان الكاتب خطه في يوم الخميس أحسن منه في يوم السبت وما ذلك الا لترك الكتب يوم الجمعة (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغي أن يترك الاشتغال الا لضرورة شرعية تتعين عليه فان كان يوم جمعة فلا ينبغي له أن يترك الاشتغال فيه لانه يوم فضل عظيم فينبغي له أن يبادر الى أفضل الاعمال فيعملها فيه وأفضل الاعمال طلب العلم كما تقدم لكن ان اشتغل بذلك في أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببه شئ من وظائف الجمعة مثل الغسل وقص الشارب والاظافر وغير ذلك واذا كان ذلك كذلك فينبغي له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة فيحضر مجلس العلم في الجامع أو غيره (وأعني) بمجلس العلم المجلس الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضي الله عنهم لا مجلس القصاص والوعاظ اذ أن ذلك بدعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عن الجلوس الى القصاص فقال ما أرى أن يجلس اليهم وان القصص لبدعة (قال) ابن رشد رحمه الله كراهة القصص معلوم من مذهب مالك رحمه الله (روى) عن يحيى ابن يحيى قال خرج معنا فتى من طرابلس الى المدينة فكنا لا ننزل منزلا الا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة فكنا نعجب من ذلك منه فلما أتينا المدينة اذا هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا فرأيته في سماط أصحاب التيقظ وهو قائم يحدثهم وقد لهوا عنه والصبيان يحصبونه ويقولون له اسكت يا جاهل فوقفت متعجبا مما رأيت فدخلنا على مالك رحمه الله تعالى فكان أول شئ سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأيناه من الفتى فقال مالك أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله (وقال) يحيى وسمعت مالكا يكره القصص فقيل له يا أبا عبد الله فاذا تكره مثل هذا فعلام كان

يجتمع من مضى فقال على الفقه وكان يأمرهم وينهاهم انتهى (وقول) مالك
رحمه الله أصاب الرجال اذاه واصابه وأصاب الصبيان اذا سكروا عليه باطله
اصابوه فعل الرجال لكون الصبيان قد كرهوه ومؤنة التعبير ولو لم يعبر
الصبيان لبادروا الى العبير (ومن) كتاب الجامع للشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه
الله وأنكر مالك القصص في المسجد (وقد) قال تميم الداري لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه دعني أدعو الله وأقص وأذكر الناس فقال عمر لا فأعاد عليه
فقال أنت تريد تقول أنا تميم الداري فاعرفوني (وقال) الامام الطرطوشي
قال مالك وعيب أباه فدامه أبي يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا
(وقال) أبو ادريس لأن أرى في ناحية المسجد نارا تأجج أحب الي من أرى
في ناحيته قاصا يقص (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم لم يقص في زمان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا في زمان أبي بكر ولا في زمان عمر رضي الله عنه حتى
ظهرت الفتنة وظهر القصاص (ولما) دخل علي رضي الله عنه مسجد البصرة
أخرج القصاص منه وقال لا يقص في المسجد حتى انتهى الى الحسن البصري
في علوم الاعمال فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (وجاء) ابن عمر الى مجلسه
من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة أن أخرجه من
المسجد فأخرجه (وقيل) لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل
لا يتكلم على الناس الا أمير او مأمور او أحمق ولست بأمير ولا مأمور وأكره
ان أكون الثالث انتهى (وقد) روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك
الأشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص
الا أمير او مأمور او مختال انتهى (وقال) الطرطوشي أيضا قال أبو معمر
رأيت يسارا أبا الحكم ساكتا على باب المسجد وقاصا يقص في المسجد فقلت
له يا أبا الحكم الناس ينظرون اليك فقال الذي أنا فيه خير مما هم فيه أنا في
سنة وهم في بدعة (ولما) ان دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى
قاص يقص في المسجد فقال حدثنا الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي وائل
قال فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال له القاص يا شيخ
الا تستحي نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا فقال له الاعمش الذي أنا فيه خير
من الذي أنت فيه قال كيف فقال لاني في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش

وماحدثتك مماتقول شيئا فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد (وقال) أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص والسؤال وما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الموت وعذاب القبر قيل له أكنت تحضر مجالسهم قال لا (وقال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وحضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص (وروينا) من حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى الخبر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة (وفى خبر) قيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه فى دين الله أزكى من حضور مجالس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص (وعن) الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لى يقعد الى القصاص قال انهه قلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ فى المصحف ويذكر الله فى نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بل ان شاء الله قلت فان لم يقبل أهجره قال فتبسم وسكت انتهى (وكذلك) لا يحضر الكتب التى تقرأ وفيها الاحاديث المشكلة على السامع فى الظاهر وليس ثم من يبين أحكامها ومعناها ويحل مشكلها ولو كان ثم من يحل المشكل فيشترط أن يكون صوته يعم من حضر المجلس كما يعمهم صوت القارى لانه اذا لم يعمهم فالغالب ان بعضهم يقوم وعنده الريبة فى اعتقاده (ومن العتبية) سئل مالك رحمه الله عن الحديث فى جنازة سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش وعن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث فى الساق فقال رحمه الله لا يتحدثن به وما يدعو الانسان أن يتحدث به وهو يرى مافيه من التغرير قال ابن القاسم لا ينبغى لمن يتقى الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث ان الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه انتهى (قال) ابن رشد رحمه الله حديث سعد بن معاذ فى العرش الذى أشار اليه هو

ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال اهتز العرش لموت سعد بن
معاذ وأنه قال اهتز له عرش الرحمن وما روى من أن أمه
لما أخرجت جنازته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لير
ويذهب حزنك فإن ولدك أول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش
وما روى من أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و
فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب
العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن
(والحديث) في الساق الذي أشار إليه هو ما روى أنه سبحانه يتجلى لنا
ويقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول وهل تعرفون ربكم فيقولون إذا
تعرف إلينا سبحانه عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن
إلا خر لله سبحانه وتعالى ساجدا (وأما) نهى مالك رحمه الله أن يتحدث بهذ
ب وبالحديث الذي جاء أن الله خلق آدم على صورته ونحوه من
الأحاديث لأن ظاهرها يقتضي التشبيه (وسببها) إذا صحت الروايات
أن تتأول على ما يصح مما ينفى به التشبيه عن الله عز وجل شيء من
(كما) يصح فيما جاء في القرآن مما يقتضي ظاهره التشبيه وهو كثير كالإتيان
في قوله عز وجل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملا
والمجيء في قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا انتهى (وذلك) يحتمل
وجهين (أحدهما) أن يكون المراد بقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله
عذابه ونقمته إن كفروا وجحدوا آياته وكذلك المعنى في قوله وجاء ر
(الوجه الثاني) أن يكون المراد الظهور إذ لا فرق بين الدنيا والآخرة بالـ
إليه سبحانه وتعالى وإنما الحجاب منا فإذا كشف سبحانه وتعالى
عنا ظهر لنا سبحانه وتعالى من غير حد ولا تكييف جل جلاله عن الصورة
والكيفية (قال) ابن رشد رحمه الله والاستواء في قوله تعالى ثم استوى على
العرش معناه استولى قاله الواحدي وقيل معناه القهر والغلبة تقول
العرب استوى زيد على أرض كذا أي ملكهم وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولما أن كان العرش أعظم المخلوقات اكتفى بذكره عما دونه إذا

مادونه تبع له وفي حكمه (قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا بما جاء
من ذلك في السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه ذلك مما لم تكره روايته
لتواتر الآثار بها اه (أما الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف بذلك
منا من الرضى والاحسان (وأما النزول) فقد تقدم بيانه (قال) ابن رشد
رحمه الله لان سبيلها كلها في اقتضاء ظاهرها التشبيه وامكان تأويلها كلها
على ما ينتفي به تشبيه الله عز وجل بشئ من خلقه (وأقربها) كلها أن عرش
الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل فلا تستحيل
عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف
له كما يقال بيت الله وحرمه لا انه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس في مكان
فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه عز وجل باهتزاز عرشه ما يلحق من
اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك
العرش حركة حملته استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز في كلام
العرب أن يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أي اهتز أهله لقدومه مثل
قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبي صلى الله عليه
وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أي يحبنا أهله ونحبهم (وأما حديث
الساق) فلم يضف الساق فيها الى أحد ومعناه عن شدة لان مثل هذا الكلام
مستعمل في اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر* وقامت الحرب على ساق
وقال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أي عن شدة من الامر
وقال الحسن في قوله تعالى والتفت الساق بالساق أي التفت ساق الدنيا
بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بأمر الآخرة وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اعمال الدنيا بمحاسبة الآخرة وذلك أمر عظيم (وأما)
قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما
ان الله خلق آدم على صورته والثاني ان الله خلق آدم على صورة الرحمن
فأما رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل في صحتها
لاشتهار نقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الاخرى ان الله
خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها وأكثر أهل النقل

استنفت لما يريد منها وانشرحت لذلك وأقبلت عليه فيشتد بأسها
(وحكمة) المشروع في ذلك بينة وذلك أن المرأة تحب من الرجل ما يحب منها
فإذا أتاها على غفلة قد يقضي هو حاجته وتبقى هي فقد يتشوش عليها ذلك وقد
لا يصفان فيها فإذا فعل ما ذكر تيسر عليها الأمر وانصفا فيها (ثم) إذا أتاها
فيمتثل السنة في ذلك وهو أن يقول ما جاء في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة
والسلام حيث قال لو أن أحدكم إذا أتى إلى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن رزقا ولدا لم يضره الشيطان ولم يسلط
عليه اه (ولا شك) أن من امتثل السنة في ذلك خرج ولده كما ذكر عليه الصلاة
والسلام (فإن) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على
صفة من الصفات الذميمة (فالجواب) أن والده لو امتثل السنة فيما تقدم
ذكره ما حصل شيء من ذلك والقليل من الناس من يتثبت لامتثال السنة في
ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها (وينبغي)
له أن يراعي حق زوجته في الجماع وأن يأمر بالصون فيها ويكون قضاء
حاجته تبعا لغرضها فيحصل إذ ذاك في عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله
في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف
السنة في ذلك يأتي زوجته على غفلة فيقضي حاجته منها وهي لم تقض منه
وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لأحد شيئين إما فساد دينها وإما
تبقى متشوشة متشوفة لغيره (وينبغي) له أن لا يجامعها وهما مكشوفان
بحيث لا يكون عليهما شيء يسترهما (لأن) النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق رضي الله عنه
يغطي رأسه إذ ذاك حياء من الله تعالى (وإن كان) في برية أو على سطح فلا
يجامع مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وإن كان) في بيت فيختلف فيه بالجواز
والكراهة والمشهور الجواز (وينبغي) له إذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام
لأن ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم أنها قد انقضت حاجتها
والمقصود مراعاة أمرها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي عليهن ويحض
على الإحسان إليهن وهذا موضع لا يمكن الإحسان إليها من غيره فليجتهد في
ذلك جهده والله المسؤول في التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغي) له أن

يحسن

يتجنب مايفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه الله عنه فأنكره وعابه وهو النخير والكلام السقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما أنكر مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء أربه فهو مخير بين أحد أمرين امّا أن يغتسل لينام على أكمل الحالات وامّا أن يتوضأ لينام على احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل أو الوضوء هل يتيمم أم لا (قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا ينام الا بوضوء أو تيمم (وينبغي) له أن ينوي عند الجماع رجاء أن يكون بينهما ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى لا تزوّج النساء ومالى اليهنّ حاجة وأطأهنّ ومالى اليهنّ شهوة قيل له ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهرى من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة (وينبغي) له اذا نوى ما تقدّم وفعل ما ذكر أن يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوّته وأن يكون اذ ذاك متواضعا متذللا لأهل أن تقضى حاجته (وقد) جاء فى الحديث الصحيح عن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة كلهنّ تأتى بفارس يجاهد فى سبيل فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهنّ الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لوقال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فالحاصل من هذا ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى ويكل الامر اليه ويتبرأ من مشيئته كما تقدّم (ثم) ان بداله أن يعود الى الاجتماع بأهله فان كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل كما تقدّم أوّلا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل أن يعود (لأن) النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ذلك غسل ذكره ثم عاد (قال) القاضى عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر يقوّى العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شأن العرب أن يتمدحوا به ويفتخروا به لانه دليل على قوّة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) المعنى أعطى النبى صلى الله عليه وسلم ماء أربعين رجلا حتى خرج عن مألوفهم وعادتهم

(فإن) قال قائل فإذا كان ذلك على ما قررتم أن كثرة هذا التزوج والنبي صلى
الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والمرسلين فالجواب عن نبي الله سليمان عليه
الصلاة والسلام في كونه أعطي ماء مائة رجل (فالجواب) أن كلاهما
صلوات الله عليهما وسلامه أعطي مقصده ومطلبه فنبي الله سليمان عليه
الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ومن شأن الملوك الزيادة
في هذا الشأن وكثرة النساء فأعطي ما يفوق به سائر الملوك لأن الملوك وإن
وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد
فضلا عن ماء مائة رجل والنبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا
ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فأعطي صلى الله عليه وسلم ما
يناسبه وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي ماء أربعين رجلا فحاله في
ذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وأيكم أملك
لإربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه عليه الصلاة والسلام
كان لا يأتي لأحوال البشرية لأجل نفسه الكريمة بل ذلك منه عليه الصلاة
والسلام على طريق تأنيس البشرية لأجل الاقتداء به عليه الصلاة
والسلام (ألا ترى) إلى قول عمر المتقدم ذكره إني لأتزوج النساء وما لي إليهن
حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب
والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة (فانظر) إلى حكمة قوله عليه
الصلاة والسلام حبب ولم يقل أحببت وقال من دنياكم فأضافها إليهم دونه
عليه الصلاة والسلام فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا
لمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في
الصلاة وما ذاك إلا لما اشتملت عليه من المعاني العلية السنية فكان عليه
الصلاة والسلام بشري الظاهر ملكي الباطن فكان عليه الصلاة والسلام
لا يأتي إلى شيء من أحوال البشرية إلا تأنيسا لأمته وتشريعا لها لا أنه يحتاج
إلى شيء من ذلك كما تقدم وللغفلة عن هذه الأوصاف الجليلة والخصال الحميدة
قال الجاهل المسكين ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
(ألا ترى) إلى قوله تعالى في كتابه العزيز قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك فقال لكم إني ملك ولم يقل إني ملك

فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام لا فى ذاته الكريمة اذ أنه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر (ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالأبشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للأفهام (فدل) على أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه (ومن) هاهنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أخرجنى الذى أخرجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للأمّة (ومن) ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والأوجاع لرفعة منازل المرسلين ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدّم (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان تلك السكرات سكرات الطرب (ألا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم للمولى الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية وما يطرأ عليها من الامراض والأعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا فى بعض الأولياء فكيف بسيد الاوّلين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه (ألا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما أصابته الاكلة فى رجله فأرادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

فقطعوها له فلما فرغ من صلاته رآهم قد قطعوها فقال لهم أتريدون أن
تقطعوا لي غير هذه المرة إن شاء الله تعالى فقالوا له ها هو ذا فقال والله
ما شعرت بكم (وكذلك) ما حكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان في
المسجد يصلي وانهدمت اسطوانة فيه ففزع الناس من أسواقهم ينظرون
الجراسة ارتاعهم هدة وقعها وتأثيرهم وهو في الصلاة لم يشعر بشيء من
ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتأخرين أنه إذا كان في بيته لا يتكلم أحد
في حضرته فإذا دخل في الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا
إنه إذا كان في الصلاة لا يشعر بشيء (وظاهر) ما حكي عنهم في ذلك مشكل
وبيان إشكاله أنه إذا لم يشعر بشيء بما ذكر فكيف يتأتى منه التوفية بأركان
الصلاة (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يزيل هذا الإشكال فيفرق
بين الفرض والنفل ويقول إن كان فرضا فلا بد من إبقاء بعض حال البشرية
عليه لتوفية أركان الفرض وإن كان في النفل صح فقد الحضور منه أن يفنى
الذاكر في المذكور

(فصل) وقد تقدم في الحديث الوارد أن المؤمن يأكل بشهوة عياله
فإذا كان في الأكل بهذه المثابة فما بالك به في الجماع إذ إنه من أكبر
الملذوذات والشهوات فيعمل على أن يوفي لها ذلك إذا أرادته وهو لا يطلع
على إرادتها إلا بها لا تطلب ذلك في الغالب وإن كان قد ركب فيها من
الشهوة أضعاف ما في الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء ما يغمر
ذلك كله فإذا رأى منها أمارات الطلب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين
وتتعطر وتأنس إلى غير ذلك (فالحاصل) أنه يكون فرضه باعتبار فرضها
ويتضمن أداء ذلك ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل
بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد
في عون أخيه إلى غير ذلك وهو كثير (وهذا) إذا لم تكن ثم ضرورة أكيدة
للجماع في وقته ذلك مثل أن يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يعمل
السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت
أهله فإن الذي عند هذه عند هذه فإن كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها
(لكن) ينبغي له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها

(وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم أبدل لي عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية أو كما قال عليه الصلاة والسلام

(فصل) وليحذر أن يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة في دبرها وهي مسئلة معضلة في الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى الجواز ويقولون انه مروي عن مالك رحمه الله وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها الا ان من نسبها الى مالك انما نسبها الكتاب السر وان وجد ذلك في غيره فهو متقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أن مالكا لم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن اباحتها فكيف بمنصبه وما عرف مالك الا بنقيض ما نقلوا عنه من أن يخص الخليفة برخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى ينزلهم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ما جرى له مع الخليفة في اقراء الموطا عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله في الكتب المشهورة المروية عنه أيجوز وطء المرأة في دبرها فقال أما أنتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أيكون الزرع حيث لا نبات (وقوله) تعالى أنى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة في موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روي عن ابن عباس وروي عنه أيضا أنه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روي عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها (ومن) البيان والتحصيل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في محاشهن ملعون من أتى النساء في غير مخرج الاولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله في الكتب المرويه عنه أتبيح ذلك فقال كذب من قاله

وقال مرة أخرى كذبوا علي وقال في أخرى كذبوا علي عافاك الله أما تسمع
الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم هل يكون الحرث
الا في موضع الزرع ولا يكون الوطء الا في موضع الولد (ومن) كتاب المعتبر
لابن عطية رحمه الله وفي مصنف النسائي قد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال اتيان النساء في أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من
أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا
هو الحق المتبع ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة
على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبي
رحمه الله وقد روي عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذي في
مسنده عن سعيد بن يسار الحباب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) أبو داود
الطيالسي في مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد
الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى يعني
اتيان المرأة في دبرها (وروى) عن طاوس أنه قال كان بدء عمل قوم لوط
اتيان النساء في أدبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشيء عن النبي صلى
الله عليه وسلم استغنى به عما سواه (ومن) كتاب الشيخ الامام الجليل أبي عبد
الله محمد المعروف بابن ظفر روي أن عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال
أما علمت أنها اللوطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم أن شرطي
المدينة دخل على مالك بن أنس رحمه الله فسأله عن رجل رفع اليه أنه قد أتى
امرأته في دبرها فقال له مالك بن أنس أرى أن توجعه ضربا فان عاد الى
ذلك ففرق بينهما (وأما) ما حكي ان قوما من السلف أجازوا ذلك فلا يصح مع
ما ذكر من اضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم فان
الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره
أي ظهره والمرأة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعني انها تؤتى من جهة
ظهرها في قبلها (وسبب) نزول الآية أن رجلا من المهاجرين تزوج امرأة
من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من انهم كانوا يلتذون
من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فأنكرته عليه وقالت كنا نؤتى

على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك في موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله في فرجها من ورائها كان ولده أحول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اه من السنن لابي داود وقد أخرجه البخاري أيضا (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء في الفرج في حال الحيض من اجل الأذى لقوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهي أيام يسيرة من الشهر غالبا فما بالك بموضع لا تفارقه النجاسة التي هي أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء في الدبر فهو محرم مطلقا وفيما تحت الازار في أيام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغي أن تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤها في الدبر لا منفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثاني ان الوطء في ذلك المحل يضرها

(فصل) ويتعين عليه أن يتحفظ في نفسه بالفعل وفي غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التي عمت بها البلوى في الغالب وهي ان الرجل اذا رأى امرأة أعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التي رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لي من اثق به انه استفتي في ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بأن قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هي أشد لان الغالب عليها في هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التي رأتها بين عينيها فيكون كل

واحد منهما في الزاني نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على احتساب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويعرفهم بأن ذلك حرام لا يجوز (وقد) ذكر الطرطوشي رحمه الله في ذلك حديثا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما

(فصل) وينبغي له أنه اذا اجتمع بأهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيئا من ذلك لغيرها وكيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فذكر بين أصحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم في المصادر والموارد كما تقدم وكما لا يحدث أحدا من الناس بما ذكر فكذلك لا يحدث أهله بشئ جرى بينه وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما تساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتي الرجل الى أهله فيثني لهم على من يعطر ثيابه ويسلم عليه من جهته والسلام يحدث المودة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضي الله عنهم ليس للنساء في السلام نصيب (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن أن يبلغ الانسان لهن السلام فانه يحدث لهن المودة في القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان وبركاته فليحذر من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة في الابتداء اللهم الا أن يحدث أمر مما يجري له مع شيخه أو من يعتقده في مسائل العلم أو ما يحتاج اليه المكلف في دينه من الآداب فهذا مقصود اه وقد بحث في بعض المواطن (وقد) تقدم الكلام على آدابه في تصرفه في بيته لكن بقي من ذلك أول ليلة تدخل عليه الزوجة أو الجارية فالعرف في ذلك كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها أو الناصية مقدم الرأس زوجة كانت أو جارية بكرا كانت أو ثيبا فيثني على الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضي لسبيله

(فصل) فاذا استيقظ من نومه فليمر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن عليه ثم يسمى الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى فى الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على غير جنابة قرأ ان فى خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران ويداه تعرك النوم عن عينيه كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمى الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحى القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرأ شيئا من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم مايفعل فى ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم بأى نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية فى أول الكتاب فاغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس فى الغالب انما هو لاجل العقد الثلاث فان هو ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيطا طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع أنه اذا فعل المرء ماذكر يصلى ركعتين خفيفتين ثم

بعد ذلك يصلي ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى اقل من ذلك على ما جاء في الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقدة الشيطان كلها ويذهب اثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذي يحصل له ما يقدر به على طول القيام الذي شرعه عليه الصلاة والسلام في قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل بيده اليمنى في كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب اليمين ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله ثم قالت الاعمال كلها قسمان في شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة المعروفة لان الاعمال كلها لا تخلو من احدى ثلاث اما واجب أو مندوب أو مباح فذكرت الطهور لتشير به الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك في اللبس فينبغي أن يكون عكسه في النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ما تقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

(فصل) وينبغي أن يكون الطالب مع شيخه أعني في الاجتماع به يختار الاوقات التي يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزا من أن يعد للاجتماع به كلفة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده في ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان تجدهم يقصدون الشخص ويقولون نتبرك به ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته ويشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصيرون هم بالسواء أعني في بطالة تلك الاوقات الشريفة ولا شك ان الشيطان ألقى اليهم ذلك ويجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (الا ترى) الى ما كان عليه حالهم في شهر رمضان اذا انه اذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض وفر كل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف الحال عليه اليوم فانه لما اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس

الامور وارتكاب مالا ينبغي مع رؤية النفس انها على الخير والدين فيرون أن اجتماعهم في هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

(فصل في نبذ بقيت لم تذكر بعد) فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا في المدرسة أو الرباط فينبغي له أن يتحفظ من أمور منها أن لا يدع الوضوء من ماء الفسقية أو البئر ولا يتوضأ من ماء الصهريج أو الزير المعدين للشرب لان ذلك انما عمل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم انه قدوة لغيره فقد يقتدى به فيكون ذلك ذريعة الى فعل مالا يجوز وبعض الناس يفعل ماذكر وهو لا يجوز لما تقدم (وينبغي) له أن لا يتوضأ على البلاط الذي على السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغي) له أن لا يستجمر بالحجارة ويدعها في الموضع لان القيم اذا وجدها هناك رماها في السرب فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط الوقف أو بأصبعه ويمسح ما أصابه في الحائط وهذا النوع قد كثر وهو محرم (وينبغي) له اذا لم يتوضأ في الفسقية أن يكون له وعاء يتوضأ فيه وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما تقدم (وينبغي) له اذا صعد أو نزل أن يمشي برفق اذ أن المشي بقوة يضر بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم ليتنبه بما ذكر على مالم يذكر والله الموفق

(فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما) والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم في العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ماذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما قارئا للقرآن أو لأم القرآن فقيها بأحكام الصلاة (والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن في الاذان (وينبغي) للامام أن ينوي الامامة في خمسة مواضع وهي كل صلاة لا تصح الا في جماعة حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه ان ينوي الامامة في غيرها وهي صلاة

الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان مأموما واستخلف هذا الذي يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم ينو الامامة لا يحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغي له أن يستصحب مع ذلك فيه الايمان والاحتساب كما تقدم في حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه أن ينوي انه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على الكفاية فاذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغي) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة عنها (وقد ورد) أن جماعة تدافعوا الامامة بينهم فخسف بهم وكثير من الناس من تورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من بادر اليها وهو خطأ أيضا (وأما) في زماننا هذا أعني في الديار المصرية وما أشبهها فينبغي لمن فيه أهلية أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على ما يعلم من ذلك (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اذا أدركك وقت الصلاة بمسجد من المساجد فان كنت في بلاد المغرب فصل حيث كنت وليس عليك اعادة وان كنت في الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل بين أن تعلم حال الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية مضت صلاتك والا فعيدها (وكان) رحمه الله يعلل ذلك فيقول ان بلاد المغرب لا يتولى الامامة في المسجد الاعظم الا من أجمع أهل تلك البلاد على فضيلته وتقدمه في العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة فيها الا من أجمع أهل تلك الناحية على فضيلته عليهم وأما الديار المصرية وما أشبهها فان الامامة فيها بالدراهم فالغالب انها اذا كانت كذلك لا يتولاها الا صاحب جاه أو شوكة ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى خلفه وهو لا يعرف حاله أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون (وينبغي) له اذا تولى الامامة أن يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صدره غيره بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة من أكبر مهمات الدين (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وعرفها يوجد

من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركها اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في أمر العالم ولو تكلم في ذلك بنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد المسلمين لمصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ ما فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (وينبغي) له أن يتحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة في غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يتحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطؤهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض في حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بالك بمن له الامامة اذ به الحل والربط في الصلاة (وينبغي) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التي تزري بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سيما مع الاجانب والمشي في الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التي تزري بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة في شيء (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (وبعضهم) يقعد على دكان البياع لا لحاجة وذلك جلوس على الطرقات وهو

موضع النبي كما تقدم (وينبغي) له أن يكون أعظم الجماعة قلما وحدوقارا أكثرهم علما وخشية ورقة (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على اتقى قلب رجل من الجماعة فينبغي أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل جميع من خلفه في صحبته وفي حمايته (وينبغي) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وينبغي) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر همه ما به التحفظ من العوائد المحدثة والبدع المحدثة التي أحدثها كثير من الناس حتى صارت كأنها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطر جهده اذ انه علم للعامة في المسجد في الاقتداء به في الغالب

(فصل في ذكر بعض البدع التي أحدثت في المسجد والامر بتغييرها) قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا شك ان المسجد وما فعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك عن له التصرف (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤى منه كراهة أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلي فانما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا ففطره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد ان المسجد من جملة رعيته وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك في مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذي هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذي ذكر عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق في طرف ردائه ويحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير ويرد الحصير عليها وذلك نوع من الدفن لها كما هو المذهب (فالجواب) ان ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد

واستترابها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطى القليل منه يؤدى الى الكثير (وذلك) لا ينبغي لوجوه (الاول) ان فيه استقذار المسجد (الثانى) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوش على من فى المسجد فان لم يكن فى المسجد أحد فيمنع لان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (الثالث) أن الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) انه هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد أخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف فى الوقف فى غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة فى المسجد وقد أمرنا بتطييبه وهذا ضده (التاسع) أنه يخاف أن يخرج مع البصاق شئ من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقى بين أسنانه شئ من أثر ما أكل اذ أنه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته لشئ من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاكه قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شئ من النجاسة (الثانى) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يرد بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضده (هذا) اذا كان فى المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شئ فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ودفنها لا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج أن يتفقد ما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك ازاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام فى النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف فى المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق فى الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حصير وكان يحجره من الليل فصلى فيه فجعل الناس يصلون بصلاته
ويبسطه بالنهار الحديث هذا وهو أمر ورد في الاعتكاف فما بالك به لغير
ضرورة شرعية (فعلى هذا) ففعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثة
وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد (أولها) ان الموضع وقف للصلاة وما فعل
فيه لغيرها فهو غصب لمواضع صلاة المسلمين (الثاني) ان فيه تقطيع الصفوف
وذلك خلاف السنة (الثالث) انه لا يمكن استماع الخطيب في حال خطبته
ولا رؤيته بسببها اذ انها تحول بين المأموم والامام (وقد ورد) اذا قام الامام
يخطب فاستقبلوه بوجوهكم وارمقوه بأعينكم ومع وجود هذه المقاصير
والدرابزين لا يمكن ذلك فكانت سببا لمخالفة السنة (الرابع) ان فعلها
في المسجد أدى الى أمر مستهجن وهو أن من لا خير فيه يجد السبيل الى
الوصول الى اغراضه الخسيسة بارتكاب محرم أو مكروه اذ كونه يتوارى
فيها عن أعين الناظرين (الخامس) انه قد ينام فيها بعض الغرباء للضرورة
فيجد اللص السبيل الى أخذ متاعه اذ انه ليس ثم من ينظر اليه بسببها وقد وقع
ذلك في المسجد كثيرا (السادس) انه قد يجد بعض الناس السبيل الى أن
يبول في المسجد بسببها اذ انه يستتر بها فلا يرى اذ ذاك سيما الصبيان الصغار
الذين لا ينضبط حالهم في الغالب (السابع) ما في ذلك من مخالفة السنة
(الثامن) ان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة
(التاسع) قد يخفى على من لا يهتدي تلك الابواب الضيقة التي في الدرابزين
فكانت سببا لادخال الضرر على كثير من المسلمين من أصحاب الاعذار
(وكان) سبب اتخاذها ان الخلافة لما رجعت ملكا وخشي الملوك على
أنفسهم من القتل عملوا هذه المقاصير ليتحصنوا بها ممن يثب الى قتلهم فلا
يدخلها الا خاصة الملك وبوابه على بابها (ومن العتبية) قال مالك أول من
جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني فجعل مقصورة من طين
وجعل فيها تشبيكا (قال) ابن رشد رحمه الله والمقصورة محدثة لم تكن على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخلفاء بعده وانما أحدثها الامراء
للخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه فان كانت ممنوعة تفتح
أحيانا وتغلق أحيانا فالصف الاول هو الخارج عنها اللاصق بها وان كانت

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة فى داخلها روى ذلك من مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخريما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زى المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها لاخذ الدرس فيها فسرى الامر الى أنه لوجاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التى تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد فى وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف فى الوقف لاشك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعملونه فى الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكى يقرأ على الناس ولاضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثانى) انهم يقرؤون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلى ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارى اذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لايجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص فى عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان شوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لاضرر ولاضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذى (وأول) من أحدث هذه البدعة فى المسجد الحجاج أعنى القراءة فى المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد أرسل عثمان رضى الله عنه المصاحف الى الامصار توضع فى الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت فى المصحف الذى أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع فى القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف فى شئ من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد لله

ولا يكتب مصحف ويجعل فى المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى المسجد من الصناديق المؤبدة التى يجعل فيها بعض الناس أقدامًا من أثاثهم وذلك غصب لموضع منه على المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشى كره مالك رحمه الله التابوت الذى جعل فى المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اهـ (ومن) التصرفات فى الوقف والتغيير له لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من جعلهم جدار المسجد حتى يعمل فيه موضعا كالخزانة الصغيرة يجعل فيها ما يختار من سبحة أو كتاب أو غيرهما فعلى ما ذكر وقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه فى المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التى يصعد عليها المؤذنون للأذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الأذان عليها إذ هى أشد من الصناديق إذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها إذ السنة فى أذان الجمعة إذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان رضى الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحد بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضى الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما أن كثر الناس وأبقى الأذان الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر إذ ذاك (ثم انه) لما أن تولى هشام بن عبد الملك أخذ الأذان الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الأذان الذى كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويستريحون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم أولى أن تتبع (فقد بان) أن فعل ذلك فى المسجد بين يدى الخطيب بدعة وأن أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما ما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الأمر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها وزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التى يصعدون عليها ويؤذنون فهذه بدعة رابعة وكل

ليس له أصل في الشرع (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) ماهو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد (هذا) وجه (الثاني) ان الدكة التي أحدثوها ضيقة من غير حظير فقد تلتوى رجل أحدهم أو يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسئولا عن نفسه مع وجود أمه (الثالث) انه لا معنى لها اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو أذنوا في الارض لأسمعوا من في المسجد وانما هي عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتي ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ما هم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم انه بدعة لكان أخف أن يرجى لاحدهم أن يتوب

(فصل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل في الصلاة (ألا ترى) انهم لما ان فعلوا الاذان في جماعة مضوا على ذلك في التبليغ في الصلاة والجماعة اذا بلغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير في الصلاة على ما يعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع أو بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم في صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لا تصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أو لا يأذن فلا تصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلا تصح أو لا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا في تبليغ الواحد فما بالك في تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق فأولى بجريان الخلاف في صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا أتوا كلهم بالتكبير كاملا في جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا في جميع الصلاة جرى في صلاته والصلاة به الخلاف السابق في المسمع الواحد الذي ليس معه غيره (هذا) ما لم يتعمد أن يمشي على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهي المسئلة الاولى (وأما) على ما يفعلونه اليوم من كونهم يتوا كلون في التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدي التكبير فيقول

الله ويمد صوته ثم يبتدي الآخر من أثناء الكلمة بعضها أو أصلا صوته بصوت
صاحبه قبل انقطاعه فالعالي رفع صوته على سبيل العمد وفاعل هذا المرة أتى
بالتكبير على وجهه (وإذا) كان ذلك كذلك فهو شغل في الصلاة بزيادة غير
شرعية ولا ضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان
الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط فيما زادهم
لو أتوا به من غير تواكل أو توصيل وترديد لا تبطل صلاتهم أيضا من غير خلاف
وذلك أنهم يغيرون وضع التكبير لأنهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة
مدة وكذلك يصنعون في أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر ألفا إلى غير
ذلك من صنيعهم (وإن) أتى بعضهم بالتكبير كاملا فإنه لا يفعل ذلك في جميع
تكبيرات الصلاة (وإذا) كان ذلك كذلك فحكمه حكم المسألة المذكورة آنفا
وهو البطلان (وإذا) علم ذلك فيسري الخلل إلى صلاة من صلى بتبليغهم لأن
من يريد أن يصلي خلف الإمام لا يجوز له أن يقتدي إلا بأحد أربعة أشياء أولها
وهو أعلاها أن يرى أفعال الإمام فإن تعذر ذلك فسماع أقواله فإن تعذر
ذلك فرؤية أفعال المأمومين فإن تعذر ذلك فسماع أقوالهم فإن تعذر فلا
إمامة (وفي هذا) نكتة أخرى وهي أن الإمام إذا دخل في الصلاة بتكبيرة
الإحرام كبر واحد منهم إذ ذاك قبل أن يدخلوا في الصلاة ليسمعوا الناس بذلك
فيعلموا بتكبيرهم أن الإمام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ
سرى الخلل إلى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم أن الاقتداء لا يجوز
إلا بأحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) إن تبليغهم في الصلاة جماعة
أدى إلى مخالفة السنة لأن السنة في الصلاة أن يكون المأموم تبعا للإمام وفي
حكمه وفي هذا الفعل يصير الإمام في حكم المأموم لأن المكبرين يطولون في
التكبير ويمططونه والإمام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل إلى الركن الذي
يليه (وأدى) تسميعهم جماعات أيضا إلى مفسدة أخرى وهي أن الإمام
يكبر للركوع في بعض الأحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع
أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضي تكبيرهم ويأتي
المسبوق فيكبر تكبيرة الإحرام ويركع طمأنينة أن الإمام في الركوع بعد
لكونه يسمع صوت المكبرين في الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر إذ

لو علم ذلك لتدارك ما وقع لان ثالث الركعة لم تصح له

(فصل) ومن هذا الباب أيضا الدكة التي تحت هذه الدكة التي يؤذنون عليها للجمعة والتعليل فيها ما تقدم في المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التي يسمعون عليها في الصلوات الخمس والتعليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذ أن الصلاة صلة بين العبد وربه واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو أفضل وأعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ما هو أرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر وذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافي ذلك كله لان المصلي عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلي على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم في الغالب ومن كان في المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لا فرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد في الاسماع أبلغ لكونه يصوت أكثر ما يقدر عليه بخلاف ما اذا كان في جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج أن يوافقهم على أصواتهم (ولاجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد في الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك في الغالب (وفي جوامع المغرب تجد في الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثاني حيث ينتهي اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهي اليه صوت الثاني ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذي وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه وصحة صلاته والله

تعالى أعلم

(فصل) ومن هذا الباب أيضا أعني في اتساع المواضع في المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالي فإنه أخذ من المسجد جزءا جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين يكفي فيه أنه لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده وإذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما أحدث في المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد في هذه البلاد (قال) الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه: ومن البدع تقدمه الصفوف إلى فناء المنبر بدعة (وكان) الثوري رحمه الله يقول إن الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان إحداهما كبر المنبر على ما هو عليه والثانية أنهم يدخلون المنبر في بيت إذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة ثالثة (ومنبر السنة) غير هذا لأنه كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فإن) قال قائل بل يشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) أن هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لأنه لا ضرورة تدعو إليه (فإن) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فإذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل أن يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم في الغالب (فالجواب) أن من كان على منبر عال هو الذي لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه في سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (ألا ترى) أن الخطيب يخطب على هذا المنبر العالي وكثير من الناس لا يسمعونه وإذا دخل في الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك إلا لكونه في الصلاة واقفا معهم على الأرض وفي حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للأذان وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

(فصل) ومن هذا الباب أيضا البئر التي في المسجد لأنه سبب لأن يجعل المسجد طريقا لساقيها حتى يدخل السقاة إليها وقد يكون فيهم الحيض والمرأة الشابة وإن كانت طاهرة والصغار ومن يرى المسجد من أمثالهم ممن لم يحفظ وقد امتنع بسببها مواضع في المسجد للمصلين فيه كما تقدم في غيره ولا ضرورة دعت إلى البئر هناك لأنها ليست بحلوة فيتمتع بالشرب منها ولو كانت كذلك

لانتفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان كذلك فلم يبق النفع بها الا للطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه فى المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى فى بعض الطرق فى غير المسجد فاما الآبار التى فى المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها الان ذلك ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم اللهم الا أن تكون البئر قديمة وجاء من بنى المسجد هنالك وترك البئر فى وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

(فصل) ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذى عليها وما عليها من الطبقة (وهى) لا تخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة عند الفسقية فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول هنالك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم يتوضؤون هنالك فتمتلئ أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد بيقين وذلك يمنع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع الفسقية مفسدة أخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من لا خير فيه يصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ أنها أكثر سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف الاول وما قاربه فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان ليلا وهم لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

(فصل) وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ أن من شرطه المسجد كما تقدم

(فصل) وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم

وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق في قبلته وقال كره الناس ذلك حين عمله لأنه يشغلهم بالنظر إليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال أكره أن يكتب في قبلة المسجد شيء من القرآن والتزويق وقال إن ذلك يشغل المصلي انتهى (وكذلك) ينبغي له أن يغير ما أحدثوه من إلصاق العمد في جدار القبلة وفي الأعمدة أو ما يصنعونه أو يكسونه في الجدران والأعمدة (وكذلك) غير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة في المحراب وغيره فإن ذلك كله من البدع لأنه لم يكن من فعل من مضى (وأما الخلق) بالزعفران في المسجد فهو جائز لأنه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله إن الصدقة بثمن ذلك أفضل ويجوز تخليقه بشرط أن لا يؤدي ذلك الأمر يجوز له دخول المسجد من أجل أن تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة فتخالط الناس في موضع صلاتهم وهي ممنوعة من ذلك

(فصل) وينبغي له أن يغير ما أحدثوه من المسامير في جدران المسجد لأنه من باب الزخرفة أيضا ولأنه لا يمكن ذلك إلا بالمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز في الوقف إلا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شيء يلوث ثياب المصلين فيتعذر ذلك لأجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع في كل وقف (ولأجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء إذا دخلت لأحدهم بيته في المدرسة يجد كل ما له من كتب وثياب بالأرض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيئا من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا في موضع وقف بكراء أو غيره ولا يجوز له شيء من ذلك فيه ولو أذن له الناظر في ذلك فلو كان البيت ملكا للغير جاز له ذلك بعد الإذن فيه من المالك فإن لم يأذن له لم يجز

(فصل) فانظر رحمنا الله وإياك إلى هذه المعاني ما تقدم ذكره وكيف يمكن أن يسمر في المسجد المسامير الكبار والأوتاد ويتعلقون من الحصر مواضع يعزونها من غيرهم ويسكنون فيها دائما وينامون فيها ويقرءون وقد يجنب

أحدهم ليلا أولا يمكنه الخروج من المسجد فيجلس في المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير في ذلك ولا من يغير بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ما ذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين في كل وقت مادام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كأنها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في المبيت في المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى ان ذلك يجوز في البادية ولا يجوز في الحاضرة وأعني بالبادية التي ليس فيها بناء يأوى اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت في المسجد

(فصل) فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا لتلك المواضع التي أحدثوا فيها ما أحدثوا (فالجواب) ان ما اجمع عليه المسلمون من المساجد المعمورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فما نحن بسبيله من باب أولى والله الموفق

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه في سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين في المسجد واحتكارها واحداث في الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين في المسجد وغصبهم لتلك المواضع التي سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التي في السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ما ذكر من المفاسد الاقامة في المسجد وقد يكون جنبا كما سبق في حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله اعلم المعروف بابن بنت الاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر في جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل ان هذا البيت ولا ان هذه الثياب بل أخذ ما وجد من ذلك وغيره ورماه في صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا لما لم يجدوا من ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفي غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن

يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على بعض الناس ولا جمع الجمعة فيها وكذلك كما لا تصح في بيت القناديل لاشتراكهما في التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا ان السطوح ليست محجورة على أحد فالحكم في مذهب مالك رحمه الله تعالى والغالب انها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء في المسجد ومن كان ساكنا في سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه وذلك ممنوع لا شك فيه كما لا يتوضأ في داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته (وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم في الخطيب اذا أحدث في أثناء خطبته أو بعد فراغه منها هل يجوز له ان يتوضأ في المسجد وروى عن ابن القاسم انه لا بأس أن يتوضأ في صحنه وفي ظاهر وكره مالك رحمه الله ذلك وان كان في طشت ومن يتوضأ في السطوح أو في البيوت التي فيها فانما يتوضأ فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتبت) على سكنى البيوت في سطوح المسجد مفاسد جملة (منها) ان بعض الناس ممن يعتكف في البيوت التي فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو في آخر شعبان يتقدمه الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه في بيته مما يمنع فعله في المسجد (وقد) منع مالك رحمه الله أن يأتي الرجل بوسادة في المسجد يتكئ عليها أو بعروة يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذان اتخاذها في المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب عليهم اليوم زيارة المعتكف في معتكفه وكثرة الكلام في المسجد والمعاصيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا لا يأتون من أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذان حال المعتكف يدور بين صلاة وتلاوة وذكر وفكر وغير ذلك فليس بمشروع له كالصلاة على الجنازة ومدارسة العلم ان كان يمشي اليه وأما ان مشى اليه في مجلسه وهو يعممه فلا بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى له ضرورة البشرية (وكذلك) ينبغي أن يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم

فقيد الروائح التي لا طعمتهم بشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند الغروب والناس اذذاك في المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم اذذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح الذي في القبلة فانه أكثر في هذا الباب من غيره ثم مع ذلك في سطوح المسجد من الفقراء المحتاجين كثير ويتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والمتكسب اغا دخل لاعتكافه لزيادة الفضل وهذا ضده فليتحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على بعض المواضع التي وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع الآن الى بقية ما أحدثوه في بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التي أحدثوها وعملوا لها صندوقا تكون فيه وجامكية لقيمها وحاملها والذاكرين عليها وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضي الله عنهم وقد تقدم ذكر حالهم في الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بن أحد ثهازاد فيها حدثا آخر وهو أن جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف بخادم السبحة الى غير ذلك وهي بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغي لامام المسجد أن يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا متعين على سائر المسلمين لكن في حق الامام آكد لان المسجد من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والله الموفق

(فصل) وقد تقدم في آداب المتعلم انه لا يجلس لقاص ولا لسماع قراءة الكتب التي تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين عليه بيان ذلك وان لم يسئل عنه وهذا في حق امام المسجد آكد اذ أنه راع عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض الناس في هذا الوقت وهو أن يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم تأتي النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء يقابلنهم سيما وقد حدث في هذا الوقت ان بعض النساء يأخذه من الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندي وتظهر منها عورات لو كانت في بيتها لمنعت فكيف بها في الجامع بحضرة الرجال فنشأ من هذا مفاسد جملة وتشويشات القلوب بعض الحاضرين بخباء والبريجوا فعادعليهم بالنقص أسأل الله

السلام عنه

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة في الشرع إنما هو عند لقاء المسلم لأخيه لا في أدبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما يفعله بعض الناس في المسجد حين إتيانهم بالميت إلى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين إذ أن ذلك كله من البدع في غير المسجد ويكره فيه في المسجد ولأن ذلك يشوش على المتنفل والتالي والذاكر والمتفكر والمسجد إنما بني لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتي) الإمام النووي رحمه الله فقيل له هذه القراءة التي يقرؤها بعض الجهال على الجنائز بدمشق بالتمطيط الفاحش والتغني الزائد وإدخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فأجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام بإجماع العلماء وقد نقل الإجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الأمر وفقه الله زجرهم عنه وتعزيرهم واستتابتهم ويجب إنكاره على كل مكلف تمكن من إنكاره انتهى (وإذا) كان كذلك فيتعين منع ذلك كله مع أن الصلاة على الميت في المسجد ممنوعة في مذهب الإمام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شيء له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود تقوية للنقل السالف المتصل بل لو تجرد النقل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم إنهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الإمام من خطبته وصلاته إن كان في الجمعة وإن كان في غيرها ينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة أن من إكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان محافظا على السنة إذا جاؤوا بالميت إلى المسجد صلى عليه قبل الخطبة وأمر أهله أن يخرجوا إلى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم إن لم يدركوها بعد دفنه

فجزاه

فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيئا سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ما ذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاترى) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على ما يعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على ذلك الحال من غير أن يمسحوا أقدامهم أو يدلكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك انه مؤذ (قال) عليه الصلاة والسلام للذى تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يلوون قدمه في جعزته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته ويحك بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلى الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك مواضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لا حاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغصب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شئ من الفضلات والميت لا يمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على ما يعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهكون بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لا تأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فنكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وأفتوا في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد يصاح قال لا خير فيه

وكرهه وقال لا أرى بأساً أن يدارى الحائن ويؤذن المسامين بها ولا يرفع

(قال القاضي) أبو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل
اما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع
الصوت في المسجد فقد كره ذلك حتى في العلم وأما النداء بها على أبواب
المسجد فكرهه مالك ورآه من النعي المنهي عنه روى أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية والنعي عندهم
أن ينادي في الناس ألا ان فلاناً قد مات فاشهدوا جنازته وأما الاذن به
والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله
وسلم في المرأة التي توفيت ليلاً فلا آذنتموني بها وقد روى عن حذيفة
بن اليمان رضي الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحداً اني أخاف أن
يكون نعياً وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي وبالله
التوفيق اه (فان) قال قائل ان الغاسلة لا تخرج من الميت في المسجد
[illegible] من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) ان في فعل هذا
[illegible] أمر منها هتك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق في ذلك بين حياته
وموته لانهم يرسلون معه القطن في فيه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه
بعود أو غيره حتى يلتوا حلقه بالقطن وينزل دفقه الى أسفل ويطلع أمه الى
فوق ويعلنون به ويشد فيه بالقطن فيبقى مثلة للناظر وكذلك يفعلون
فيرسلون فيه القطن حتى يتعاطم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون
القطن في دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام في حياته
وكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه
أمرنا بغسل الميت اكراما لقاء الملائكة في القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا
جاؤا به الى القبر أخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات
في الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه في الغالب له
رائحة كريهة والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك
في الغالب فذهب بذلك المعنى الذي لاجله أمرنا الشارع عليه
السلام بغسله وهو الاكرام بغسله للقاء الملائكة (ثم)
انهم يأتون بعد الورد فيمكثون ذلك عليه في القبر وهذه أيضا بدعة أخرى

لان الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

(فصل) وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (الماورد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع ما يقول لكثرة غوغائهم اذذاك (وكذلك) ينبغى له أن يغير عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ أن ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما أحدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها باللغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها يجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذها منهم (وهذا) فيه محذورات جملة منها ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ أنه لم يرد عن أحد منهم انه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم النهى عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ فى النار (الوجه الثالث) انه قد يعطى الختمة لمن لا يحسن أن يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يده لمسلم كان عنها فى غنى (الوجه الرابع) انه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) انه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه لتساهلهم فى الوقف فقد

يخفى ويختار أن يخص هو وعشيرته في بيته إما بنفسه أو ولده أو غير ذلك فيدخل على الوقف (الوجه السادس) أنه قد يأتي عليه في بعض الأحيان أنه يكون مشغولا في جمع تلك الأجزاء والخطيب إذ ذاك يخطب فيقطع الكلام والمراجعة بسبب جمعها في حال الخطبة (وينبغي له) أن ينهى الناس أن يقفوا وقت الأذان الأخير للدعاء وكذلك عند أركان المسجد أن ذلك بدعة ممن فعله (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من إرسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتي أصحابها (وقد تقدم) ما في ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن إعادته والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى من يقرأ الأعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أو غيرها من الفرائض لأنه موضع النهي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا) يظن ظان أن هذا إنكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب إليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان في عبادة (والحاصل) أن ذلك ممنوع في المسجد المطروق مطلقا وإن لم يكن فيه أحد لأنه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصودة فيها وأما إن كان في مسجد مهجور وليس فيه غير التالين أو في مدرسة أو رباط أو بيت فذلك مندوب إليه بحسب الحال بشرط أن لا يكون ثم غير السامعين كما تقدم فإن كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال أن يكون ثم من يدرس أو يطالع أو يصلي أو يأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ما هو بصدده وقد تقدم ما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار انتهى (هذا) إذا سلم من الزيادة أو النقصان مثل أن يمد المقصور أو يقصر الممدود أو يشدد موضع التخفيف أو عكسه أو يظهر موضع الإدغام أو عكسه أو يظهر موضع الإخفاء إلى غير ذلك وأن لا يصل بالعشر آية أخرى غير متصلة به لأن ذلك تغيير للقرآن في الظاهر عن نظمه الذي أجمعت عليه الأمة (وينبغي له) أن ينهى عن قراءة الأسباع سيما التي في المسجد لما تقدم من أن المسجد إنما بني للمصلين والذاكرين وقراءة الأسباع في المسجد مما يشوشون ثم لما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار وأي شيء كان فيه تشويش منع والله

الموفق (وينبغي له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة في المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو في غيرهما من الاوقات لما تقدم من منع ذلك في أول الكتاب (وينبغي له) أن يمنع من يسأل في المسجد لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من سأل في المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوا انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بنى لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغي له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله في المسجد (وينبغي له) أن يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء للسبيل وما أشبه ذلك من الفاظهم ويضربون مع ذلك بشئ في أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفي) فعل ذلك في المسجد مفاسد جملة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس (ومنها) رفع الصوت في المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء في المسجد لان بعضهم يفعل ما ذكر وبعضهم يمشي يخترق الصفوف في المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فيشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطى رقاب الناس في حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لابد أن يقع من الماء شئ فيه وان كان طاهرا الا أنه يمنع في المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشى بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة وما في ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا ما يفعلونه في المسجد في ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان ووقود القناديل وغيرها وما في ذلك مما لا ينبغي وكذلك ما يفعل في ليلة الختم في أواخر شهر رمضان مبسوطا في مواضعه فليلتمس هناك (وأما) البيع والشراء في المسجد فقد عمت به البلوى لجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحكمت العوائد حتى ان أم القرى مكة التي لها من الشرف ما لها

يقعدون وينشرون في مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على
رؤوس الأشهاد ويسمع لهم هناك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون
شيئا الا ويبيعونه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتبن وفول وأكر وعود
أراك وغير ذلك وعلى هذا لا يستاك منه ذو ورع، وذا الأراك وان كان من
السنة لكنهم انما يبيعونه في المسجد اللهم الا أن يعلم من يأتيه به أنه اشتراه
خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى عن تعليق
القناديل المذهبة ووقودها والتزيين بها لأن ذلك من باب زخرفة المساجد
وذلك من أشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم لأن الذهب
لا يستعمل الا في تحلية النساء وفي تحلية المصحف والسيف وأسنان
في الربطة وغير ذلك مما وقع (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من
مشيهم في المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أقدامهم
طاهرة واتخاذ المسجد طريقا من أشراط الساعة وهذا قد شاع وكثر وقل أن تجد
جامعا الا وقد اتخذ طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا أن أحدا
نهى عنه لاستغربوه وقد يؤذى بسبب ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون
(وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع
غزلهن ويدخل المنادي الذي يبيع لهن الغزل فيكلمهن في الجامع ويشاورهن
على ثمن ذلك من رخصه وغلائه فتقول قد بعت وذلك بيع في المسجد لأن
المنادي صار إذ ذاك كالوكيل ويقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان في
المسجد ويجتمع بسبب ذلك في المسجد من في قلبه مرض ويجد السبيل الى ما
سولت له نفسه من الأغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الأولاد الصغار
ويدخلون في المسجد وقد رؤي ذلك عيانا (وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي
لهن محاكمات في المسجد ويدخلن إليه لانتظار من يدعوهن ويدخل إليهن
الوكلاء والرجال والأزواج وتكثر الخصومات وترتفع الأصوات كما هو
مشاهد مرئي والقاضي لا ينزل لهن خارج المسجد وقد تقدم ما في ذلك من
المفاسد فيمنع من هذا كله وفي الإشارة ما يغني عن العبارة والله المستعان
(وينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة في المسجد للحديث
في أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان وقد تقدم ما ورد في الحديث

من ان الكلام فى المسجد بغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم و يفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت يا ولى الله فان زاد تقول اسكت يا بغيض الله فان زاد تقول اسكت عليك لعنة الله (وانما) يجلس فى المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) فى غير المسجد فيمنع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى فى المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما فى أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المنتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) فى قضاء المناسك فى الحج تجد لهم غوغاء حتى كأنهم قط ماهم فى عبادة (وكذلك) تجدهم فى المسجد الاقصى على ما علم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبى عليه الصلاة والسلام الا البيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن فى المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهى القبلة التى كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لو حج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما انه لا تجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مثاب لا انه يجزى عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم بيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه ما يعملونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيجتمع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ما حدثت هذه البدع

في المسجد الاقصى ومنه شاعت في الاقاليم على ما نقله الامام الطرطوشي
رحمه الله في كتاب الحوادث والبدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك او
يتكلم فيه كما تقدم ذكره لا بحسب المادة او بعضها والله الموفق (وينهى)
من يقعد في المسجد لفلية ثيابه سيما في أيام البرد يقعدون في الشمس
ويفلون ثيابهم وهذا لا يحل اجماعا لان جلدة البرغوث الذي خالط الانسان
نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك في المسجد بعد قتله ولو
فرضنا ان احدا منهم يجمعه ويلقيه خارج المسجد فذلك لا يجوز لان قتلها
في المسجد ممنوع وان لم يلقها فيه اذ انه حامل للنجاسة في المسجد من حين قتلها
الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشي) وكره
مالك قتل القملة ورميها في المسجد ولا يطرحها من ثوبه في المسجد ولا يقتلها
بين المصلين في المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم في المصلي اذا
اخذ قملة وهو في الصلاة فلا يجوز له أن يلقيها في المسجد لقوله عليه الصلاة
والسلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (واذا) رماها في المسجد وهي بالحياة فاما
ان تموت جوعا او تصعد وكلاهما عداء لها وليس ذلك من حسن
القتلة وبيان من وقع له ذلك أن يلقيها بالمكان آخر من بدنه او ثوبه او يربطها
في طرفه حتى يخرج من المسجد (واما) البرغوث اذا اخذه وهو في الصلاة
فانه يلقيه في المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل
ينتقل في الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثاني) انه لو بقي
في المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق ويعيش فيه بخلاف القملة
فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكي) عن سيدي حسن الزبيدي رحمه
الله انه خرج يوما مع اصحابه الى بستانه فلما ان كان في اثناء الطريق رجع
الى بيته وامر اصحابه أن يمضوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال
كان على قميص نسيته في البيت وفيه دواب فخفت أن يموتوا جوعا فرجعت
اما ان اقتلهم واما ان البسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما في المسجد
الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق بالية فلا يجردونها عنهم ويلقونها
في المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم
ينفض احدهم دلقه ويلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة في المسجد فاذا كان

امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل فى المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهى سواء بسواء والاكل فى المسجد فى مذهب مالك رحمه الله لا يباح فيه الا الشئ الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشى) سئل مالك رحمه الله عن الاكل فى المسجد فقال اما الشئ الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فأرجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الى وأما الكثير فلا يعجبنى ولا فى رحابه (وقال) فى الذى يأكل اللحم فى المسجد أليس يخرج اغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ماهو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب فى المسجد فقال وأكره أن يتكلم بألسنة العجم فى المسجد قال وانما ذلك لما قيل فى ألسنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل فى المسجد شئ من الخب قال وهو لمن يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة يخرجون من المسجد فى كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة ما يؤكل فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط فى المسجد فاذا أكل أحد فى المسجد اجتمعت عليه القطاط فى المسجد بسبب ذلك فيبال فيه وبولهن نجس وقد رأيت ذلك عيانا فى الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر فى ذلك الى ان من كان عنده هر مؤذ ارسله الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها وينزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد فى الحديث المسجد بيت كل تقى (فانعكس) الامر الى ان صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل بسبب ذلك سيما فى المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام فى المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات المأكول وقل من تجده يلقى ذلك فى خارج المسجد بل يدخلون فيه بالجير بسبب ما يحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحمير فيه

وترون كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مأمورون بتنظيف الطرق فكيف الحال في المساجد وكيف الحال في المسجد الاقصى الذي فيه من الفضل ما فيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء وينبه عليها بحسب العادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) في هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمنع من الكلام في هذه الاشياء ويحتج على ذلك بان يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون ومن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ما تقدم في الحديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا (ألا ترى) الى ما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتي النبي ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ ان الخير فيها كامن فمن سمع منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكسب أجر السبب في ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما أحدثوه من النوم في المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك في أثناء النهار سيما في شهر رمضان فيقعد المسجد كدار سكنى بالناس في الغالب (وقد) ورد في الحديث ان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتأذى الملائكة به (وقد) منع من دخول المسجد برائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا في حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من الدبر وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا في المسجد وفيه مفسدة أخرى وهو أن ذلك ذريعة لأن تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها أن كل ما كرهه الشرع نجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهي الامام ارتدعوا عنه وبالله التوفيق (وينهى) عما أحدثوه من حياطة قلوع المراكب في المسجد لانا قد نهينا عن الكلام في المسجد في غير عبادة فكيف بالصنعة يعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد)

منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم في المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فاما بالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذي يدخل بالجمل في المسجد لان بوله على مذهب الشافعي رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا في نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو أقل من هذا (وينهى) عما أحدثوه من المشي في المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل في المسجد (وكذلك) ينبغي أن ينهى عن دخول الشواء في المسجد لان في ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) أنه يدخل بالذفر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) ان رائحته قوية فقد يكون في المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شيء معه ليشتري به فيتشوش في عبادته (الرابعة) ان حامله الغالب عليه انه كان في موضع المذبح وهو محل النجاسات وحاملها حاف هناك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغي في غير المسجد فكيف به في المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر وأما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة الى المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان الى المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التي يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم الى المسجد ولا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم في فرشها وبالله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (ألا ترى) ان الناس يكونون في صلاتهم ويبكي الصبي فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبي مع أبيه أو غيره من الرجال (فأما) ان كان مع أمه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) ان الغالب في موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثاني) ان الغالب في الاولاد اذا كانوا مع امهاتهم قل أن يكون

خلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة فى جماعة فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ويصلين معه جماعة (وقد) ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبى مخافة أن تفتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل (الثانى) ان الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازيها شئ وكلا الامرين قد فقد فاذا لم تخرج الام للصلاة فالاسنان بالاولى والمسجد دون أمهاتهم ممنوع (وقد تقدم) النهى عن الذكر والقراءة جهرا فى المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويخرج فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة من شهر رمضان فى حال الخطبة وذلك ممنوع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمى (وقد) قال مالك رحمه الله لما سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثانى) ان فيه اللغو فى حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) انه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الانصات فى حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدث بعضهم من بيعها وشرائها فى المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله وبعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ انه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها وأسقط منها اللفظ الاعجمى ولم يعتقد بركتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسكت العلماء عنهن من دخولهن الى صلاة الجمعة فى مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء اذ لم تستتر والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلى واللباس كما تقدم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن فى الزيارة قد امتنعن منه من دخول المسجد والفرض من الرجال فهو آكد فى حق من ليس مخالطة الرجال ولا فرق فى ذلك بين صلاة الجمعة والخمس والجنائز وغير ذلك وكان الالائق بهن ان الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكن من

ذلك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة فى بيتها وحدها أفضل من صلاتها فى المسجد فى جماعة وصلاتها فى مخدع فى بيتها أفضل من صلاتها فى بيتها فكلما زاد سترها واحتجابها كان أفضل لصلاتها (اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها أن تصلى فى بيتها مع جماعة فى المسجد الذى يجاورها وهى لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلين فى بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد (وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن فى المسجد ويسمع لهم ضجيج قوى ينزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك فى السوق أو الطريق لكان جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما فى المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على ما تقدم ذكره فى المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال المرآة فى المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد من فعلهم وهذا يمنع منه فى المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور على الباب ممنوعا فكيف يدخل بالفضلات فى المسجد ويعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع نسخ الختمة أو العلم فى المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا فى نفسه فهو وغش ينزه المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى ولا يقلم أظفاره فى المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه فى ثوبه وأكره ان يتسوك فى المسجد لاجل ان ما يخرج من السواك يلقيه فى المسجد (قال) ولا أحب أن يتمضمض فى المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره الطرطوشى (واما) اذا كان الشعر باصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع القمل فى المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت به البلوى فى أكثر المواضع سيما فى المسجد الاقصى الذى تردد اليه الخلق

كثيرا (وقد رأيت) بعض من ينتسب الى المشيخة والنسك وقد سلم نفسه
على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضاة وهو في المسجد فأي
غريب جاءه قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويلقي كل
ذلك في المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك في المسجد وان
كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه في المسجد ثم انه مع هذا الحدث زرع
دالية في المسجد فأطعمت وأثمرت وبقي اذا ورد احد من ابناء الدنيا أخذ
من عنبها أو ثمرها شيأ وأهداه اليه على سبيل البركة وحصل له ما هو معلوم
من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثيرا في المسجد الاقصى
واتخذوا فيه دوالي عنب وحراثي للكري وهو مسجد ولا يجوز شئ من ذلك
فيه (وقد تقدم) ان المساجد المعمورة لا يجوز سكناها ولا ان يحدث فيها
حدث غير ما بنيت له (وينهى الباعين) للقمامة وغيرها في طريق المسجد
وعلى أبوابه وفي الزيادة اذ ان من كان منهم يصلي فلا يمكنه أكثر من
موضع بيته فيكون غاصبا الثلاث المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلي
منهم تتعين اذيته وزجره لامرين أحدهما انه يضيق على المسلمين طريقهم
والثاني انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو
مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه
أن يمنع غير ما ذكر ممن يبيع الحلاوة أو الفحم أو المشموم أو غير ذلك مما يضيق
به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغي للانسان أن يشتري من دكان
لها مسطبة خارجة في شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع
ويتعين عليه أيضا أن يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ ان ذلك
طريق للمصلين والناس أجمعين

(فصل) وينهى الزبالين أن يعملوا في أوقات الصلاة سيما وقت اتيان
الناس لصلاة الجمعة لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر
بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير
ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه
وخرج ليصلي الجمعة اتى الزبالين في طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا
ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار ينفي عن

ذلك ويزجر فاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك باقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والاعمى وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا بالرفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لاجل الغلمان المسكين لتلك الدواب (فالجواب) انه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى المسجد يرسلها الى موضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما أحدثوه من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق المتصلة به ان تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة فيقعد فى الدكان ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل حال (وينهى) الناس عما احدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد احدهم أن يؤكد الامر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك فى موطئه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى

الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلف) العلماء في ذلك
هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (وإذا)
كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر إنه يفسق بذلك لكونه سنة
وللاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن
المؤكدة وما يوجب فسق تاركه فجدير أن يحافظ على فعله ولا يترك إلا من
ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كأنه لا يعرف فيهم
أعني عند أكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكاية تحكى حتى كأنهم ليسوا
من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينهاهم عما تركوه من لبس
الحسن من الثياب لها أو استعمال الطيب فإن ذلك من سنتها المؤكدة أيضا
(قال) الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه وليتطيب بأطيب طيبه ما ظهر
ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه
اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم
أجمعين (حتى) إنك تجد بعض الفقهاء في الدرس أو في دكانه أو حين اجتماعه
بأحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب
وغيرهما وتجده في صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا
في القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن
ظان أن ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس في هذا
الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما قاله
الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من
الخمسة إلى العشرة فما بينهما من الأثمان وكان جمهور العلماء وخيار
التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره
أن يكون على الرجل من الثياب ما يساوي قيمته أربعين درهما وبعضهم نزل
إلى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فما زاد على ذلك فهو من
البدع الحادثة بعدهم (اللهم) إلا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع
حر أو برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب إلى باب الجائز أو المندوب أو
الواجب بحسب الحال (فإذا نبه) الإمام على هذا وحض على فعله ودفع تركه
نبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم أن يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى)

الناس مما احدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فمنهم) من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر فاذا جلس عليه قطعوا تنفلهم (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلي الجمعة ولم يحدثوا ركوعا بعد الاذان الاول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا وقت يجوز فيه الركوع (وقد) روى البخاري عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها ثلاثا وقال في الثالثة لمن شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال واعرف بالمقال فما يسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان) قال قائل الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة في هذا ما كان السلف يفعلونه من ركوعهم المتقدم (الاترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد في جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف في وقتها على ما وصفنا تأكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع ان اراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق (على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أولا لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وانما فعله عثمان رضي الله عنه على ما تقدم بيانه فالاذان الذي فعل في السوق والركوع للجمعة لا يكون في السوق ومن كان في المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان هشاما لما ان نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون

حتى تزال عنهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه ألا
ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال قائل ان الناس لا يرجعون بذلك
(فالجواب) انهم ان لم يرجعوا لما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك
للمحتسب فيمنع من كل ما ذكر باليد والقوة فان فعل فبها ونعمت وقد برئت
ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا وقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك
فان الذمة لا تبرأ لأجل ان كل ما ذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته وقد تقدم ان المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا)
كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم
(وكذلك) ينظر في أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل
لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح
على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ما ذكر فهو
من رعيتهما معا فتعين على الامام أن يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم
وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها
فأكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فأغنى
ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها وهي أن يكون
صيتا حسن الصوت ويكره له التطريب في الاذان وكذلك التحزين وكذلك
يكره له امالة الحروف وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

(فصل في موضع الاذان) ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على
المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان)
المنار عند السلف رضوان الله عليهم مبنيا بنوه على سطح المسجد كهيئة اليوم
لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم جعلوه مربعا على أركان أربعة (وكان) في عهد
السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما
أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف
رضي الله عنهم (الثاني) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته
يبعد عن أهل الارض ويذاقوا ما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك في المغرب
منارا زاد في علوه فرقى المؤذن اذا أذن لا يسمع أحد من تحته صوته (وهذا)
اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (وأما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء

بعض الناس يريد أن يعمل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لا يميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ماقاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذ أنه يعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة في الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد في الصلوات التي أوقاتها ممتدة فيؤذنون في الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفي العصر من الثلاثة الى الخمسة وفي العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الآخر الى طلوع الفجر في كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لا يؤذن لها الا واحد ليس الا

(فصل في الاذان جماعة) فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ما ذكر وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشي على صوت غيره (وكذلك) الحكم في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النواوي رحمه الله في كتاب الروضة له في باب الاذان من كلام الرافعي رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لا يتراسلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا في الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين في أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤد اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع في الاذان وغيره متعين وفي الاذان آكد لانه من أكبر أعلام الدين (ألا ترى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولان) في الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثاني) ان من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب في الاذان

حتى أمره ولا يسمع (الثالث) ان الغالب فى الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لا يفهم السامع ما يقولون والمراد بالاذان انما هو نداء الناس الى الصلاة فقد ذهبت فائدته من قوله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يبنى على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما أمكنه وذلك لا يمكنه فى الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم انه لا يأتى بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس فى أثنائه فيجد غيره قد سبقه بشئ منه فيحتاج أن يبنى على صوت من تقدمه فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة انه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من نحنح أو كلام ما من حيث أنه يشعر به أنه يريد أن يؤذن ثم بعد ذلك يشرع فى الاذان هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة ومالك الاجنبية أن يؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا فى حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل وأحد فما الرجفة بذلك فتسقط وترتعب بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشويشهم كثير قل أن ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنارى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر وأخذ الاذان الذى زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه لما أن كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذى أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على الثلاثة الذين كانوا من قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيئا (ثم أحدثوا) فى هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب والثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لاجل الجامكية فالجامكية لا تصرف فى بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع فمفاسده لا تنحصر فى الغالب والله سبحانه الموفق

(فصل في النهي عن الاذان بالالحان) وليحذر في نفسه أن يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا مالم يكن في جماعة يطربون تطربا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الاصوات ترتفع وتنخفض وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به في الشام في هذا الزمان وهي بدعة قبيحة اذ أن الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلابد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغني (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطني في سننه (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومما أحدثوه التلحين في الاذان وهو من البغي فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر اني لاحبك في الله فقال له لكني أبغضك في الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغي في اذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شئ حتى في قراءة القرآن وفي الاذان يعني الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردون على مالك رحمه الله تعالى في كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بانه مما مضى عليه عمل أهل الشام على ان القاعدة تقتضي أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار الى المشرق وما حدث بالشام الا من تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله واياك الى البدعة اذا احدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (ألا ترى) انهم لما ان أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون المأمومين وهم في الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام في الصلاة على سبيل

العذر لا لعذر فرعى فبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا بأحد أربعة أشياء فان عدمت فلا تمام فى تلك الصلاة وهى أن يرى أفعال الامام فان تعذر فسماع أقواله فان تعذر فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر فسماع أقوالهم وهؤلاء المسوا فى صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ما تقدم من التسميع جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف فى صحة صلاة من صلى بتسميعهم بناء على الاختلاف فى صلاتهم هل هى صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

(فصل فى النهى عن الاذان فى المسجد) وقد تقدم ان للاذان ثلاثة مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من الاذان فى جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى اللهم الا أن يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز فى جوفه وأما الاقامة فلا تكون الا فى المسجد (الثانى) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان فى بيته فانه لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان فى المسجد على هذه الصفة فلا فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان فى المسجد فيه تشويش على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التى بنى المسجد لاجلها وما كان بهذه المثابة فيمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا الى بدع أخر (ألا ترى) انهم لما أن أحدثوا الاذان فى المسجد فشدى العوام بهم فصار كل من خطر له أن يؤذن قام وأذن فى موضعه والغالب على بعض العوام انهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون ويكثر التخليط حتى ان بعض الصبيان الصغار يؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان وبين التشويش على من فى المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشئ يجمع هذه المفاسد فيتعين أن يجتنب فالله المستعان

(فصل فى الطواف بالمؤذن فى أركان المسجد اذا مات) وينهى المؤذن عما أحدثوه من الطواف بأحدهم فى أركان المسجد اذا مات (وكذلك) ينهاهم عما أحدثوه من التكبير والتهليل فى تلك الاصوات المزعجة حين

يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الاول) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فما بالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدم ان بعض الائمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لاهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله أمرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو أنهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

(فصل فى أذان الشاب على المنار) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يصحب امام المسجد الاعظم الذى هنالك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار ليؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال أتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد تراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر) رحمنا

الله تعالى وإياك كيف كان تحررهم في هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤدون الأذان الشرعي من غير تمطيط ولا تمييل ولا تصنع إلى غير ذلك مما أحدثوه في هذا الزمان فيمنع من ذلك جهده إذا كان على المنار وأما على باب المسجد فيحذر ذلك وكذلك على سطحه إن أمن أن يكشف على أحد والله الموفق

(فصل في النهي عما أحدثوه بالليل من غير السنة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وإن كان ذكر الله تعالى حسنا سرا وعلنا لكن في المواضع التي تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئا معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا بعد طلوعه وإن كان المؤذنون في هذا الزمان يؤدون قبل طلوع الفجر لكنهم يفعلون ذلك على سبيل الإخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ما شرع الأذان له لأن الأذان إنما شرع لإعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك أن من كان أحيا الليل كله فإذا سمع أذان بلال نام حتى يحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح في جماعة وإن كان نائما فإذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك ورده من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله في الأذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الأول وقيل من أول الثلث الأخير وقيل السدس الأخير وهو أيسره ورأى أنه يكون الوقت كله إلى طلوع الفجر محلا للأذان فيه (وإذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا إن المؤذنين يترتبون في أذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذي هم فيه حتى تم *والعادة فيترتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل إنسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الأول والثاني والثالث وهكذا إلى المؤذن الأخير الذي يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل إنسان منهم كم بقي من الوقت مما يسع العمل أو الوضوء أو الورد أو الاغتسال أو غير

ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو أضبط حالا وأ كثر ثوابا لاجل الاتباع بخلاف ما أحدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم ليندب الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح في كثير من الاحيان ثم مع ذلك لا يعرف الناس في الغالب أي وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر سيما وهم قد أحدثوا زيادة على ما ذكر أنه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا سكتة طويلة ثم يؤذنون فمن افاق في حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه في أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون بالاذان الاول للصبح الذي قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه رفعوا أصواتهم بما أحدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى وغير ما شرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن يصلي الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثاني الى المؤذن الذي يؤذن على الفجر كما تقدم لما انبهم الوقت على أحد من سمعهم وكانوا متبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغي ان ينهاهم عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم من أكبر العبادات وأجلها فينبغي أن يسلك بها مسالكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها (ألا ترى) أن قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس أعني الجلوس في الصلاة لان ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبي صلى الله عليه وسلم أحدثوها في أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها في عهد من مضى والخير كله في الاتباع لهم رضي الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا أقرب مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغني بالاذان كما تقدم (وهي) عند طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام في المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يسلمون عند كل درجة يصعدها والكل في الاحداث قريب من قريب أعني في زماننا هذا

وأصل إحداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من ههنا وأشار إلى المشرق (وقد تقدم) في أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضي الله عنهم من الحدث في الدين وما جرى لهم من جمع القرآن وما جرى لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أن رأى الطير الذي قد وقع على العذرة ثم ارتفع عنه ووقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على أنه إذا خرج يغسله فلما أن جاء إلى غسله قال والله ما أكون بأول من أحدث بدعة في الإسلام والصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنهما من أكبر العبادات وأجلها وإن كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم حسنا سرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات إلا في مواضعها التي وضعها الشارع فيها ومضى عليها سلف الأمة ألا ترى إلى قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إن الله قد بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وإنما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الإمام أبي الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل إلى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول إذا عطسنا وإنما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فيه جواب لقول من يقول إن الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف يمنع وقد تقدم جواب من أنصف بالإنصاف وهو معدوم في الغالب ألا ترى إلى قول مالك رحمه الله ليس في زماننا هذا أقل من الإنصاف فإذا كان الحال في زمان مالك على ما ذكره مالك به فما بالك اليوم في هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الأكابر من العلماء أنه لما أن سمع الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا أعمل من كل واحد مائة فبقي على ذلك زمانا فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وحشر الناس إلى المحشر والناس في أمر مهول وإذا بمناد ينادي أين الذاكرون دبر كل

صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فجئنا الى موضع فيه ملائكة يعطون الناس ثواب ذلك وكنت أزاحمهم معهم ويعطونهم ولا يعطونى شيئا فمازلت كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا لى مالك عند ناشئ فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا لى هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ماهكذا أمر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ماقرره صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم شيئا فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة فى جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين رضى الله عنهم فتجرى ذلك فى هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما تقدم (ومع) ماذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وماذاك الالما يدخل من التشويش على من فى المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التى يعملونها فى التسبيح وما يفعلونه فيه مما يشبه الغناء فى وقت والنوح فى وقت وندب الاطلال فى وقت وينشدون فيه القصائد وفى المسجد من المتهجدين ماهو معلوم فلا يبقى أحد منهم الا وقد وصل له من التشويش مالاخفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم (ولو قدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه بصدد أن يأتى الناس اليه (فأين هذا) مما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان فى المسجد فى آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذ ذاك خليفة وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة فلما ان سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه اذهب الى هذا المصلى فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلى عمر بن عبد العزيز فرجع ولم يقل له شيئا فلما أن سلم سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه

ألم أقل لك تنهى هذا المصلي فما هو بفاعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد
العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أمرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا
يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف في صلاته
فلما أن سلم منها أخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من
تواضعه في خلافته هذا وجه (الوجه الثاني) ان بعض العوام يأتون المسجد
لأجل سماع التسبيح بتلك الألحان والنغمات فيقع منهم أشياء من الزعقات
وما يشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما أحدثوه فيه من صعود الشبان
اذ ذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم
بذلك فكل من له غرض خسيس يصدره في وقت سماعه ما لا ينبغي كما
تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لا خير فيه بالشاب الذي
يسمعونه ويترتب على ذلك من المفاسد أشياء لا تنحصر (ومن) ذلك أيضا ما
يفعله بعض أهل المغرب من انه اذا أذن المؤذن الذي يؤذن عند طلوع الفجر
على ما تقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد
أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار وما يفعلونه
من ذلك لا ضرورة ولا حاجة تدعو اليه لما تقدم من أن المؤذن الذي يؤذن
على الفجر يكون ثقة معلوما عند الناس فمن سمعه منهم علم ان الفجر قد طلع
والحاصل ان كل ما جاء على خلاف ما أحكمته الشريعة المطهرة فمفاسده
عديدة لا تنحصر

(فصل في التسحير في شهر رمضان) وينهى المؤذنين عما أحدثوه
في شهر رمضان من التسحير لأنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا
أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم
يقومون الى التسحير نصف الليل لأن السحور لا فائدة فيه الا أن يتقوى
به الانسان على صوم النهار وذلك لا يحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر
بقليل كما ورد في الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الأذان والسحور قال قدر خمسين
آية فاذا تسحر الانسان في هذا الوقت فالغالب عليه انه لا يجوع الا بعد الظهر
واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك

تسحروا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير همه لقيام ليله لانه اذا تسحر في الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذي يصعد الى دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة الفرض ثم دخل بعد أداء الفرض في أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك في مهماته فيحصل له التهجد في ليله وخفة الصوم عليه في نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتسحرون بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذي يجوز لهم الاكل فيه (فالجواب) ما تقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور علم الناس بسبب ذلك في أي جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل باذان بلال ومنعه بأذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ما تقدم ذكره من التشويش على من في المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذي ذكرتموه انما ينضبط به حال المسجد الجامع وما حوله اما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون في أي جزء هم من الليل (فالجواب) ان المساجد قد كثرت فما من موضع الا وبجانبه مسجدا ومساجد فيعمل في كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت الاول والثاني على ما تقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على جواز الاكل والثاني يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين في آذانهم للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة والمسجد الجامع هو الذي يكون فيه مؤذنون جملة على ما تقدم بيانه

(فصل في اختلاف العوائد في التسحير) اعلم أن التسحير لا أصل له في الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (ألا ترى) ان التسحير في الديار المصرية بالجامع يقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ما هو معلوم من أقوالهم ويقرؤن الآية الكريمة التي في سورة البقرة وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك

مراراً عديدة ثم يسقون على رؤوسهم ويقرؤون الآية الكريمة التي في سورة هل أتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغي ان ينزه عن موضع بدعة او على موضع بدعة ثم يقولون في اثناء ذلك ماتقدمت الاشارة اليه من انشاد القصائد وما ترتب على ذلك ويحضرون ايضا بالطبل ثم يطوفون بها اصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا الذي مضت عادتهم وكل ذلك من البدع (واما) اهل الاسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيحضرون بدق الابواب على اصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما) أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذي جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل المغرب فانهم يعملون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه اذا كان وقت السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم) العجب انهم ويتعايعملونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق في الافراح التي تكون عندهم ويمشون بذلك في الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا وأسكتوا وبعاملون بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذي هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة يأخذون بدل النفير والابواق ويصعدون بها على المنار في هذا الشهر الكريم ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على ان فعل التسحير بدعة بلا شك ولا ريب اذ انها لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لا تختلف حالها في بلد دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا فكل منهم يغير ما في اوانه ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه وان لم يستطع في بلده فان لم يستطع

مرارا عديدة ثم يسقون على رءوسهم ويقرءون الآية الكريمة التي في سورة هل
أتى على الإنسان حين من الدهر من قوله تعالى إن الأبرار يشربون من
كأس إلى قوله إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغي
أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون في أثناء ذلك ما تقدم من
الإشارة إليه من إنشاد القصائد وما ترتب على ذلك ويتخذون أنصا
با طالما يطوف بها أصحاب الأرباع ويمرهم على البيوت ويمرون عليها هذا
الذي مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الإسكندرية
وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيتسحرون بدق الأبواب على أصحاب البيوت
وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما)
أهل الشام فإنهم يتسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك
والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذي
جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام
فقابلوه بضد الإكرام والاحترام فإنا لله وإنا إليه راجعون (وأما) بعض أهل
المغرب فإنهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه إذا كان وقت
السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده
يضربون بالأبواق سبعا أو خمسا فإذا قطعوا حرم الأكل إذ ذاك عندهم (ثم)
العجب منهم وما يفعلونه من ذلك لأنهم يضربون بالنفير والأبواق في الأفراح
التي تكون عندهم ويمشون بذلك في الطرقات فإذا مروا على باب مسجد سكتوا
وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون
حتى يجاوزوه فيرجعون إلى ما كانوا عليه ثم إذا دخل شهر رمضان الذي
هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع إلى الله تعالى من كل رذيلة
يأخذون فيه النفير والأبواق ويصعدون بها على المنار في هذا الشهر الكريم
ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على أن فعل التسحير بدعة بلا
شك ولا ريب إذ لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لا يختلف
حالها في بلدة دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما
التغيير عليهم وعلى المؤذن والإمام خصوصا فكل منهم يغير ما في أثنائه
إن قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فإن لم يستطع في بلده فإن لم يستطع

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألا ترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ماذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير ألا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه *

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

صرورة الى فعلها اذ ان صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع الاذان الاول للصبح دالا على جواز الاكل والشرب والا اني دالا على تحريمهما فلم يبق ان يكون ما يفعل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا ادوا ما بين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلم (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي ان ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التي جعلوها علما على جواز الاكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك اذا انزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ما ورد من ان الصحابة رضي الله عنهم لما كثر الناس ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا ان يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفي رواية وقال بعضهم اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان فلاجل ذلك ولم يفعلوا احداهما اذ انهما من خصال أهل الكتاب والنار يعبدها المجوس (الوجه الثاني) ان في ذلك تغريرا بالصوم اذ قد تطفى في اثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فتضرر في صومه (الوجه الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا بعد ما تم ذكره فيفسد به صومه (الوجه الرابع) انه قد يشتغل ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها فحكمه كالوجه الذي قبله وفيه مفسدة أخرى هي أكبر مما تقدم اذ انه في مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا استمسكت وكانت موقودة وحاول خلاصها فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل في التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التذكار يوم الجمعة لما تقدم من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو والذي أحدث التغني بالاذان في المدرسة التي بناها كما تقدم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد) فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكي يقوموا من أسواقهم ويخرجوا من بيوتهم ويأتوا الى المسجد (فالجواب) انه لا يخلو حال من يأتي

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أوقريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط الاترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ما ذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير الا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاوّل) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامّة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء وتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدّم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

ضرورة الى فعلها اذ ان صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع
الاذان الاول للصبح دالا على جواز الاكل والشرب والثاني دالا على تحريمهما
فلم يبق ان يكون ما يفعل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا
اذنوا مرتين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك
فينبغي ان ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التي جعلوها علما
على جواز الاكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك
اذا انزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (احدها) ما ورد من ان الصحابة رضي الله
عنهم لما كثر الناس ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا ان
يوقدوا نارا او يضربوا ناقوسا كالنصارى وفي رواية وقال بعضهم اتخذوا
قرنا مثل قرن اليهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان فلا عن
ذلك ولم يفعلوا واحدا منها اذ انها من خصال اهل الكتاب والنار
يعبدها المجوس (الوجه الثاني) ان في ذلك تغريرا بالصوم اذ قد تنطفي
في اثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل
والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيضر في صومه (الوجه
الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة او ينام فيظن من يراها
كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا ممنوعا ثم ذكره فيفسد به صومه
(الوجه الرابع) انه قد تسقط ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها
فحكمه كالوجه الذي قبله وفيه مفسدة اخرى هي اكبر مما قبلها وهي
مخاطرة من هو موكل بها سيما اذا انسكبت وكانت موقودة وحاول خلاصها
فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل في التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما احدثوه من التذكار
يوم الجمعة لما تقدم من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا امر به ولا فعله
احد بعده من السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين بل هو قريب العهد
بالحدوث احدثه بعض الامراء وهو الذي احدث النعي بالاذان في المدرسة
التي بناها كما تقدم وبدعة هذا اصلها يتعين تركها (سؤال وارد)
فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكي يقوموا من اسواقهم
ويخرجوا من بيوتهم ويأتوا الى المسجد (فالجواب) انه لا يخلو حال من يأتي

الى الجمعة امّا أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاوّل الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألاترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ماذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير ألا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويديرون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاوّل) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامّة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء وتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاوّل والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

جماعة المؤذنين يبادون على صوت واحد فحضرت الصلاة رحمكم الله ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون في العصر وكذلك يفعلون في صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا جميعهم ونادوا أصبح ولله الحمد ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت في الشرع ولم تدع اليه ضرورة على ما تقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة في العصر على ما تقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد وفيه ضيق لا يسع المؤذنين جماعة واحدا بعد واحد فيؤذن لها واحد ليس الا وقد تقدم ان المؤذنين اذا ترتبوا وكان ذلك منهم بعد الاوقات ولم يسبق أحدهم الآخر أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يمشي على صوت رفقته وترتيب المؤذنين في العشاء كما في الظهر والعصر

(فصل في حكمة ترتيب الاذان) انظر رحمنا الله واياك الى حكمة الشرع في الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وأخبر عليه الصلاة والسلام ان من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون الحاكي قاعدا لقضاء حاجته أو في وضوئه مشغولا لا يسمعه أو في أكله أو شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون في دور واحد لما تهيأ حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد واحد فمن كان له عذر في ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثاني وكذلك قد ينتبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم في أي وقت هو من ايقاع الصلاة فتتم المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند نزول المطر (فاذا) حكى الحاكي المؤذن ودعا بما يختاره استجيب له ان شاء الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة العظيمة المباركة ما نقل عنه عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه صم يوما وافطر يوما فقال اني أطيق أفضل من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام

لم يفعل ذلك في حق نفسه الكريمة بل قال الواصف لصومه عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر قط الا رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى الا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما لفاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن صلاة نبي الله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام في حق نفسه المكرمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه في جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه في جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وما ذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بامته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم في جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بامته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى في صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لا رب سواك

(فصل) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثاني) انه اذا فعل ذلك بقي الاذان الشرعي كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهدوا ذلك يتكلون على وقوف المؤذن على أبواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعي لم يهرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث في الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مارا في طريق بالبصرة فسمع المؤذن فدخل الى المسجد يصلي فيه الفرض فركع فبينما هو في أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة

رحمكم الله فمن ركوعه واعتداله وخرج وقال والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة

(فصل) وكذلك ينهاهم عما أحدثوه من قراءة ان الله وملائكته والى الحيّ والموتى وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن عند أذانهم الأذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخيرا لكن ليس لنا ان نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

(فصل في النهي عن النداء على الغائب بما لا ينبغي) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا في مقامات رؤسائهم في هذا المعنى (ألا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم في هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعي رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) انا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله الراحل بفاقته المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعي وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أن يكون ذلك نعيا لقول بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا انامت فلا تؤذنوا بي أحدا اني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي

(فصل في النهي عن مشي المؤذنين أمام الجنازة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من مشيهم أمام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعل ذلك أمام الجنائز بدعة وزيادة في البدعة المحدوثة كان أول من

أحدثها والٍ من الولاة قريب العهد جداً أحدثها على جنازة كانت له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ماقام بحق ميته و ياليته لو وقف الامر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة وهم فى الحقيقة على ضد ما يظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

(فصل فى عقد النكاح فى المسجد) وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم الى نهى الناس عما أحدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم بالمباخر المفضضة وذلك لايجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ولكن يمنع لاجل ظرفه لانه مفضض (وأما) فرش البسط فى المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد بفرشها المباهاة وماشا كلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم وأما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن أحكام الله تعالى وعما يجب على المرء فى دينه من الامر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ما ذكر فى المسجد ما ينزه عنه من الالفاظ التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن فيه وكلاهما لايجوز وكذلك ما يقع منهم من الطلاق والايمان والغالب ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شىء من هذا جهده والله المستعان

(فصل فى تهيئ الامام للجمعة) ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الاول) أن الغسل للجمعة مختلف فى وجوبه وقد تقدم (الثانى) انه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة الجمعة بالوضوء وحده أو يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى الجمعة بغير غسل فهو أنقص حالا ممن اغتسل

(فصل في ذكر اللباس الذي ينبغي للامام أن يختص به في نفسه) قد تقرر في الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض فالذي ينبغي للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومن أفضل ما يلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بان يسمي الله تعالى ثم يقول ما ورد في السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم اني أسألك خير هذا الثوب وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لي عونا على طاعتك (ويستحب) ان رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلي ويخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلي وتخلق (وقد) خرج أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذي أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (قال) أبو نضرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلي ويخلف الله تعالى (ومنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لا بد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغي) أن يكون غالب لباسه البياض سيما العمامة وان كان لبس السواد جائزا لان النبي صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب به لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغي أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة ما لم يؤد لبس البياض الى وقوع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يتحفظ مما يتحفظ منه الامام (وكذلك) يتحفظ من غير الارتداء بالتطيلس به أو يتعمم على ما تقدم في باب اللباس (وكذلك) لا يلبس الخشن وان كان

لبسهما جائزا سفرا وحضرا لكن لبسهما لاجل الخطبة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بزوالها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

(فصل فى خروج الامام على الناس يوم الجمعة) وينبغى له أن يتحفظ من هذه البدعة التى يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لا يسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لاخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة فى أول دخوله لبيت ربه وهذا لا يليق به ولا بمنصبه وينبغى له أن يتحفظ فى نفسه حين دخول المسجد فيفعل الاداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

(فصل) وينبغى له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس فى المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم يكررون ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

(فصل فى صعود الامام على المنبر) وينبغى له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولأن تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه فى مناولته اذا أراد أحد اغتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون فى هذا الزمان فى الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة فى الغالب حتى يغتاله أحد

(فصل فى كيفية صعوده على المنبر) وينبغى له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمى الله تعالى ويقدم اليمين كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بما فى يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم (الثانى) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضر به ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك) ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة

يضربها عليه فإن ذلك من البدع أيضا ولا يطول على الناس في رقيه المنبر
الا أمر ورد من كرسي أو ضعف بدن فإذا وصل إلى الموضع الذي يخطب
عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وإن كان قد
ورد فيه حديث لكن الذي استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم
تركه إذ ذاك وبعضهم يسلم ويرد يديه بدعة وهو أن يشير بيده إلى الناس
ولا ينبغي مستقبل القبلة ويبسط يديه ليدعو إذ ذاك لأن علماءنا رحمة الله
عليهم قد عدوا ذلك من البدع
(فصل في فرش السجادة على المنبر) ويحذر أن يفرش السجادة على
المنبر لأن ذلك بدعة إذ أنه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من
الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضي الله عنهم أجمعين فلم
يبق إلا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو إليها لأنه ليس بموضع صلاة
(وكذلك) ينبغي أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فإنه من باب الزهو
ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من
بدايته عند إرادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت
فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس أنهم ينكرون
على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون
على صحته بأنه من عمل أهل الشام وعادتهم المستمرة وقد تقدم (وكذلك)
ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الإمام وإن كان
يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف
السنة في استقباله للخطيب في حال الخطبة ورفقته بعينيه لأنه مستدبر له
إذ ذاك (والثاني) أنه لم يرد أن أحدا ممن مضى جلس مع الخطيب على المنبر
(والعجب) منه أنه يأتي بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالإنصات بعده
بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم بعد ذلك يأمرهم بالكلام ويتكلم
ويستدعي الكلام بقوله آمين اللهم آمين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل
عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضي الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول
إن مذهب الشافعي رحمه الله أن الخطيب إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

ولا

فلا بأس أن يصلى عليه السامع برفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما يعهد من عمل السلف فى جهرهم فى مواضع الجهر لا على ما يعهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت وحال الخطبة حال خشوع وحضور واذ انها بدل عن الركعتين فى الظهر على قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز فى الصلاة أعنى الانصات عند قراءة الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ان السامع يسأل ويستعيذ ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا فى نفسه (زاد) أشهب ان الانصات أفضل له فان فعل فسرا فى نفسه ولو عطس فيحمد الله سرا فى نفسه ومن سمعه فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله واجب على الصفة التى ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى من كان فى المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعى رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات مندوب فى حقهم ولا شك ان ترك المندوب فى هذا الوقت الفاضل يقبح سيما على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين فى الظهر وبالجملة ففعل السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا أو مندوبا وقد كانوا جميعا منصتين (وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حين سمع رجلين يتكلمان فى حال الخطبة فحصبهما ان اصمتا قال لان حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذى ذكره فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغى له) أن يجتنب التقعير فى خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك فى موطئه عنه عليه الصلاة والسلام انه قال أنتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدءون فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتى على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه الصلاة يبدءون فيه أهواءهم

قبل أعمالهم انتهى (وهذا) دليل واضح لما وردات ماقول الصلاة وقصر الخطبة مشة من فقه الرجل فليحفظ على هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة في الخطبة والصلاة (وأما) ترضي الخطيب في خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقي الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضي الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بني أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على المنابر في خطبتهم فلما أن ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أبدل مكان ذلك الترضي عنهم وقد قال مالك رضي الله عنه في حقه هو امام هدى وانا مقتدى به (وينبغي) له أن يكون في خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف مما أوعد به وقوة الرجاء فيما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب مستعملا في نفسه ما ذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما اتصف به هو في نفسه كالامر في المؤذن اذا أذن ينبغي له أن يكون على طهارة ليبادر لفعل ما نادى اليه أولا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدم انه تجب في خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذي ليس له دواء في العالم اذ أنه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ أن معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس في قلبه أسأل الله السلامة منه

(فصل في اسلام الكافر في حال الخطبة) وينبغي له أن يتجنب هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أن الكافر يأتي الى الخطيب فيسلم على يديه في غير الجمعة ثم يعود فيأتي ثانيا والخطيب على المنبر فيتلفظ بالاسلام على رؤس الناس ويقطع الخطيب الخطبة بسببه ويقع صيحة في المسجد بعد بيده المسجد عنها وهو قد كان أسلم قبل ذلك كما تقدم ولا يجوز له أن يقطع ترديد

الخطبة لاجل هذا لانه كان مسلما قبل ولا عذر له فى أنه يجدد الاسلام اذ ذاك
اشتهر اسلامه بين المسلمين و يعرفونه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من
من الكفر المتقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين
وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا
أنه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد ويأمر
من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولو لم تتقدم له جنابة فى
حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء
لا بد منه ليصلى به الجمعة

(فصل) فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان
الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم أو
ما فى معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغى له
ان يصلى على ما هناك من الحصير و يترك السجادة اذ أن اتخاذها للصلاة
بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها فى هذا الموضع
اذ أن المحراب له هيبة ولا يدخله أحد فى الغالب سيما الصبيان الصغار
ومن لا يؤبه له فان الغالب من أحوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله
من الطهارة (والامام) ينبغى له أن يكون أفضل القوم فى كل الاحوال ومن
ذلك ان لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة
الى الحصر المفروشة هناك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله
الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه فى سجوده لا يحول بينه وبين الارض
شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضى الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو
الأولى والأفضل فى حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فان باب
الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما فى المحراب
فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف
رضى الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه
الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد ذكروها (منها) انه قد يطرأ عليه
فى صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى كثير عمل
فى الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) انه قد يسهو

في صلاته فيسجدون له فلا يتبعونه وإذا كان قريبا منهم سمعهم في الحالة وتداركوا الإفاقة فذلك عمهم له وتنبيههم له عليه ويتدارك إصلاح ما اختل به (ومنها) أنه قد يكون في ثوبه نجاسة لم يشعر بها فإذا كان قريبا منهم أدركوها فنبهوه عليها إلى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو من المحدث إلى أحدثت لكنها بدعة مستحبة لأن أكثر الناس إذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة إلا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الأئمة أنهم يصلون داخل المحراب حتى يصيروا بسبب ذلك على بعد من المأمومين وذلك خلاف السنة (ثم) إنه يخرج بنفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لأن باقي المسجد أفضل منه (ألا ترى) أن علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر إلى النوم في المسجد إنه ينام في محرابه لأنه أخف من باقي المسجد بل ينبغي له أنه إذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الإمام إلى المحراب فإن ضاق بهم فليدخل في الصف الذي قدامه لأنه إذا لم يدخل بسبب ذلك بقي ما دونه خارجا عنه موضع من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها بعض الأئمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم إن الإمام يلتفت عن يمينه ويقول استووا يرحمكم الله ثم يلتفت عن شماله ويقول مثل ذلك ويقول له الرئيس أو أحد المأمومين حكم رضي الله عنا وعنك هذا فعلهم سواء كان في الصف خلل أو لم يكن ولو كان ثم خلل لم يسده أحد بقوله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد) كان الأئمة من السلف رضي الله عنهم يوكلون الرجال بتسوية الصفوف كما فعل عثمان ابن عفان رضي الله عنه فهم لا يكبرون حتى يأتي من وكلوهم بذلك فيخبروهم أنها قد استوت فيكبرون إذ ذاك (وقد) جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل عن السلف رضي الله عنهم أن نساءهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا لشدة تراصهم في صلاتهم وهذه السجادات تمنع من ذلك من وجوه لأنها تبسط على موضع في المسجد يزيد على قدر ما يحتاج إليه صاحبها في قيامه

وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من بجانبه حتى يصلى معه عليها فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلى الى جانبه متورعا أو فى كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تحرجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتى الى فعل مندوب وهو التراص فى الصف فيقع فى محرم أو مكروه

(فصل فى دخوله فى الصلاة) فاذا استوت الصفوف فلينو اذ ذاك الدخول فى الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) فى النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية فى محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا مالم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت فى كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى انه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية فى غير محلها (ألا ترى) ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوى بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوى على خمس نيات وهى نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الايمان والاحتساب وهو شرط فى صحة ذلك كله واختلف فى تعيين الايام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوى الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوى أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوى الامامة الا فى كل صلاة لا تصح الا فى جماعة وهى خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ممن لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم

القرآن في الركعة الأولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات
فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الأعلى وقيل هل أتاك
حديث الغاشية وهو الأكثر ولم يختلف المذهب في الأولى انه لا يقرأ فيها
الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة
في الجمعة فقال يقرأ مثل ما قرأ امامه سورة الجمعة وقيل له اقراءة
سورة الجمعة في صلاة الجمعة سنة قال لا أدري ما هي سنة ولكن من
أدركنا كان يقرأ في الركعة الأولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعة الأولى من صلاة الجمعة سبح اسم ربك
الأعلى وفي الثانية هل أتاك حديث الغاشية لكن الذي واظب عليه عليه
الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين
ما تقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة
في الركعة الأولى مما لا ينبغي فليحذر من هذا جهده وبعض الأئمة في هذا
الزمان قرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفي الثانية بآخر
سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا
أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ما تقدم من قصر الصلاة
واطالة الخطبة وما كان السلف رضي الله عنهم يقرؤون الا سورة كاملة
بعد أم القرآن وان كان الشافعي رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض
السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والأفضل والاتباع قراءة سورة كاملة
* (فصل) وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام في الامام والمأموم والفذ
فالجهر بها بدعة على كل حال اذ أنه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون
الجهر بها بدعة (وينبغي له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم
بالجهر بإياك نعبد وإياك نستعين حين قراءة الامام اياها فليحذر من هذا
جهده فانه بدعة (وينبغي له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة في صلاة
السر لأن ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه
(وقد) ورد النهي عن أقل من هذا لقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم

على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلي لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهي عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام انى أقول مالى أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان في الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار في الصلاة (ولا حجة) لمن يحتج بالحديث الوارد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكي يعلم الناس الحكم في صلاة السر أنه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحد السبيل الى أن يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغي) للامام أن لا يجهر بالتسبيح في ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء في موضع الدعاء في الصلاة أو عقبها وما يفعله في حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ انه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم أجمعين وكذلك باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وشئ لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك في ان تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يسمع صدره عند قراءة القنوت في الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ أنه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع الرأس من الركوع اذ انه بدعة (وكذلك) لا يجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذي يبنى عليه صلاته ويعتمد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه انه واقف بين يدي الملك الجليل يخاطبه ويناجيه فان كان في القراءة فهو يسمع كلام ربه عز وجل وان كان في غيرها من دعاء أو ذكر فهو يناجي مولاه بدعائه ويذكره سبحانه وتعالى المولى العليم

بعينه اذ انه أقرب اليه من حبل الوريد أعنى بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه كلها انقيادا منها لما حصل فى قلبه من الخشوع والحذر الحذر من خشوع جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى فى الخطبة وهو فى الصلاة أولى وقد وردت الصلاة فى الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل منهم فينبغى أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذ انه يتعين فى حقه أن يكون اماما وبحصول هذه الصفة تزكو صلاته ويعود من بركاتها على الحاضرين معه فيعمل على تحصيل هذه المرتبة جهده والله الموفق (والسنة المتقدمة) أن يلى الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) انه لو طرأ على الامام ما يوجب الاستخلاف لوجد من فيه أهلية لذلك بقربه من غير كلفة تكلفها وهذه سنة معمول بها فى بلاد المغرب على ما كنت أعهد انه لا يلى الامام الا من فيه أهلية التقدم للامامة فى الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة داثرة فى هذه البلاد فى الغالب فتجد من لا علم عنده يلى الامام وتجد أهل الفضل فى المواضع المتباعدة وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه الصلاة والسلام بقوله ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى ولفعله عليه الصلاة والسلام وفعل أصحابه رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه السنة ويخمد هذه البدعة ويقتدى الناس به وما زال الفضلاء والاكابر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الاعصار هم الذين يبادرون الى المساجد فى أوائل الاوقات أو قبلها (حتى) انه قد حكى عن بعضهم انه جاء الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه ويقول أنا ثالث ثلاثة ثالث ثلاثة ولو جاء الامام أو غيره من الفضلاء الى المسجد فوجدوا غيرهم ممن ليس فى مرتبتهم قد سبقهم لتلك المواضع التى يعهدون الصلاة فيها أعنى من كان يلى الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها منه وأولى ولا يقام منها لأن اقامته ظلم له وبدعة (الا من) الا أن يؤثر السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام

ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى وللعمل الماضي المتقدم ذكره (والثاني) من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لأحد هذين الوجهين كان مندوبا اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذي كان يأتي الى المسجد أول الوقت ليدرك فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثاني وآثر بمكانه غيره وهكذا الى أن يصلي في آخر صف من المسجد فسئل عن موجب ذلك فقال أبكر لأحوز فضيلة الصف الاول ثم أتأخر رجاء أن أكون قد صليت خلف مغفور له فيغفر لي وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف انما هو فيمن ترك قربة لابدل عنها أما من تركها لما هو أعلى منها وأولى فليس من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة لما هو أعلى منها كما تقدم وقد عد بعض العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف المذهبين فمذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان التبكير من غدوة النهار اليها أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله على صحة مذهبه من أن التبكير اليها أفضل من التهجير بأن قال أول بدعة حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتون بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم يبيت في المسجد ليلة الجمعة ليصلي الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير اليها وعلله بأنه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكرون وهذا التبكير وأخاف على فاعله أن يدخله شيء ولا يختلف أحد في صحة نقل مالك عن السلف رضي الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ما جرى لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير أفضل لما تأخر عثمان رضي الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذي أتى فيه الى الجمعة (وينبغي له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه أنه يغير هيئته في جلوسه في الصلاة ليقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة له ما دام في المسجد بخلاف ما لو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه استغفار الملائكة له هذا اذا كان في المسجد فان كان في بيته أو في رحله في السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغييره الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله

عليهم وبعض الأئمة يقعد في مصلاه على هيئته التي كان عليها في صلاته وذلك
بدعة لأنه عليه السلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضي
الله عنهم أجمعين لأنه قد يخلط على الداخل إلى المسجد فيظن أنه في الصلاة
وقد ذكر الفقهاء في ذلك تعاليل أخر موجودة في كتبهم (وهذا) بخلاف
المأموم فإن له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه
من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك إن أحب لكن المستحب في
حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة إن كانت الصلاة مما يتنفل بعدها في موضعه
الذي صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه إلى جهة أخرى فيصلي فيها فإن لم يفعل
فلا حرج ويصليها في موضعه والتنفل في المساجد وأتبع الفرائض أفضل
من فعلها في البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها
فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب
وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع
بعدها في بيته وحكمة ذلك على ما قاله بعض العلماء أنه فعل ذلك عليه الصلاة
والسلام على ما علم من عادته الجميلة في رحمته بأمته إذ أن من كان منهم صائما
وركع عقب المغرب في المسجد لا يفطر أكثرهم حتى ينصرفوا إلى منازلهم
وقد يكون عند بعضهم الأولاد والعائلة فيفطرون به فيكون ذلك مشقة
فأزالها عليه الصلاة والسلام عنهم بركوعه في بيته انتهى على أنه لو ركع في المسجد
لم يكره لأن ذلك إنما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فإذا أمن
منها جاز (وأما في الجمعة) فلا يتنفل فيها إمام ولا غيره إلا في بيته بذلك
ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وكان
لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته (وقد ورد) أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجبذه
وأقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاته ركعتان من صلاة الظهر والنبي
صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة في المسجد
بدعة لما ذكر حتى ينصرف إلى بيته فيصلي فيه فإن كان غريبا ومن لا بيت
له أو من يريد انتظار صلاة العصر في المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم

فيه فنهم من يقول يخرج من باب ويدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه أو حديثه يعني بما يسوغ الكلام به في المسجد كما تقدم فيجوز له أن يركع في موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثني على الله تعالى بما هو أهله بما تيسر له ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه أولا ولمن حضره من اخوانه المسلمين سرا في نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه بالدعاء دونهم اذا كان اماما في الصلاة وبعدها فان فعل فقد خانهم هكذا ورد في الحديث على ما رواه أبو داود والترمذي (وكذلك) يستحب لكل واحد من المصلين أن يدعو لنفسه ولمن حضره من اخوانه المسلمين من امام ومأموم (وليحذروا جميعا) من الجهر بالذكر والدعاء وبسط الايدي عنده أعني عند الفراغ من الصلاة ان كان في جماعة فان ذلك من البدع لما تقدم ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بان الدعاء مشروع بعد الصلاة فيجهر بذلك ويبسط يديه على ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا أمسك (وبعض الائمة) اذا سلم من صلاته أقبل على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة ويتمادى على ذلك كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الافضل الذي هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس بما يفعله من الذكر المأثور عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدم النهي عن القراءة جماعة والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي له أن ينهى الناس عما أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة في المسجد أو غيره وان كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة في يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا في نفسه في المسجد أو جهرا في غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم والله تعالى أعلم

(فصل في الصلاة على الميت في المسجد) الصلاة على الميت في المسجد جائزة

على مذهب الشافعي رحمه الله لكن بشرط أن لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (وأما) مذهب مالك رحمه الله فيكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شيء له أخرجه أبو داود رحمه الله وللعمل المتصل وهو أنهم كانوا لا يصلون على ميت في المسجد وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد لم يصحبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله أقوى لأن الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتساع أولى ما بادر إليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط أن لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقد ارتكب ثلاث مكروهات أحدها الصلاة على الميت في المسجد الثاني التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وهذا المكروه ما تركه أفضل من فعله (تنبيه) ويتعين عليه أن ينظر فيما يأتي أو يبنى الى جانب المسجد من مصلاة أو ميضاة فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى أرض المسجد أو جدرانه فيمنع من ذلك ويبطله على من فعله لأن دخول النجاسة في المسجد محرم وان كان عليها حصير لأن الأرض هي المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الأرض تنجس بها وكذلك الجدران لأن المصلين يستندون في غالب أمرهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك في مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما وبعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما في حق من كان منقطعا في المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع في محرمات جملة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لأن الحسنة التي توصل الى السيئة ما هي حسنة بل هي السيئة بعينها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكائد ابليس اللعين

(فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين) والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال

صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه فهذا دليل واضح على تأكد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهى السنة وصلاتهما فى المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج اليهما فقالت احداهن يارسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها لتشهد الخير ودعوة المسلمين فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام لهن الخروج شرع الصلاة فى البراح لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ماقد أمر به فى الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة والسلام باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال فلما أمر فى هذا الحديث وجعله فى صلاة العيد فكان النساء بعيدا من الرجال ألاترى أنه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة ولما احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن المسجد ولو كبر فهم محصورون فى الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتتوقع الفتن فى موضع العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يصل فيها أحد لاحد فى الغالب وهذا بعكس مايفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة فبنوا فى ذلك البراح موضعا يكون فى الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر وجعلوا له بابين ليس الا بابا للجهة القبلية والآخر فى مقابلته فيجتمع النساء والرجال فى أحد البابين فى الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليها فاذا انصرفوا وخرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب ان النساء اذا خرجن لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك مما تقدم من زينتهن فكيف بهن فى العيدين والرجال أيضا يتحملون بما لايجوز

لم يقع الفتق وتفاوت العلوق وهم قد خرجوا القرية فآل الأمر إلى ضد ما
في هذا الشتاء أو أكثر . فإن الناس المتوجهين لأبواب على ما سبق ذلك
المكان مأوى لسالكي الأذية من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل
القبائح المتوقعة فيها وقد قل من العصمة أن لا تجد . فإذا كان الإنسان يهتم
بالمعصية ولا يجد من يوقفه عليها ولا يجده وصفها فهذا نوع من العصمة فإذا
وجد الموضع متيسرا كان ذلك تيسيرا للمعصية إن أرادها والموضع موضع عبادة
فينبغي أن ينزه عن هذا فيترك بكشفه والاستتار به فإن كان لا يقدر على إزالة
ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيه ويأخذ وله البنيان ويصلي خارجا عنه في
البراح فهو الأولى والأفضل في حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن
لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الإمام من خطبته وإن كان لا يسمعها
كما تقدم في الإنصات لخطبة الجمعة . وهذا كله من مكائد إبليس يأتي إلى
مواضع القرب فيدنس فيها دسائس حتى ترجع إلى الضد من ذلك نسأل الله
العافية .

* (فصل في التكبير في الخروج إلى المصلى) * والسنة الماضية أن يكبر
في خروجه إلى المصلى إن كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فإن
كان قبل ذلك وأتى إلى المصلى لأجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل
الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر
وبعد صلاة الصبح إذا خرج في وقت ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر
بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع
إذ أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما ذكر ورفع الصوت بذلك يخرج
عن حد السمت والوقار ولا فرق في ذلك أعني في التكبير بين أن يكون إماما
أو مؤذنا أو غيرهما فإن التكبير مشروع في حقهم أجمعين على ما تقدم وصفه
إلا النساء فإن المرأة تسمع نفسها ليس إلا بخلاف ما يفعله بعض الناس
اليوم فكأن التكبير إنما شرع في حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين
يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يستمعون لهم ولا يكبرون
وينظرون إليهم كأن التكبير ما شرع إلا لهم وهذه بدعة محدثة ثم إنهم
يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لأن المشروع إنما هو أن يكبر كل

انسان لنفسه ولايمشى على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا وقودهم القناديل فى طريق الامام عند توجهه الى صلاة الصبح يوم العيد ومما أحدثوه أيضا انهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا فى التكبير على ما وصفنا من رفع الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا الى قرب المحراب فيتشوش من فى المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير ويأخذون فى الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير على ما تقدم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة ففعلهم ذلك محرم على ما يعلم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل استماعهم وتركهم التكبير لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ما مضى من أنه يكبر كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا أو غيرهما يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه لان ذلك محدث وقد تقدم ان أحسن اللباس وأفضله البياض فينبغى للامام أن يكون أفضل القوم حتى فى ملبسه وزيه على ما تقدم فى اللباس فى الجمعة بشرطه (وينبغى) أن لا يقدم الصلاة فيوقعها فى الوقت المنهى عن ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهى عنه لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهى فيخرج الى فعل بر فيقع فى ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضد هذا فيؤخرون صلاة العيد حتى تسخن الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة وردت فى الخارج الى المصلى أن يعجل الاوبة الى أهله لانه ان كان فى عيد الاضحى فيضحى لهم ان كان ممن يضحى حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان فى عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد أفطروا قبل خروجهم الى المصلى على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدم هذا المعنى واذا كان ذلك كذلك فالافضل ما بين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلى عند طلوع

الشمس لما تقدم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى المصلى فليخطب وليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتاب القوت له روينا ان مروان لما أحدث المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (قال) ولا يخطب على المنبر فقد مضت السنة في خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا في هذا اليوم بدعة أكثر من جلوس الرؤساء مع الامام على المنبر في الجمعة لانهم زادوا ان الخطيب اذا خطب في صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم ثم يتصدون عليه وكذلك يفعلون في الاستسقاء (وينبغي) له اذا خطب أن يوجز في خطبته ولا يطيل فان التطويل هنا أشد كراهة منه في الجمعة لما تقدم ذكره من انتظار الاهل لهم في المدينة والله أعلم

(فصل في التحفظ من النجاسة في المصلى) وينبغي للامام وغيره ممن يصلي في المصلى التحفظ في الصلاة على موضع فيه نجاسة عرفها وغيرها سيما ان كان الموضع مما تطؤه الخيل والدواب ولا شك في نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون في أول النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض وتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيئا يصلي عليه تنجس ولا يصلي عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تنبش بعد وقيل هي مكروهة مطلقا في الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

(فصل في سلام العيد) وقد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في قول الرجل لاخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء

ودعاء المؤمن لاخيه مستحب الرابع لا يبتدى به فان قاله له أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم فى هذا الدعاء الحسن مع تقدم حدوثه فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع انه متأخر الحدوث فمن باب أولى أن يكره وهو مثل قولهم يوم مبارك وليلة مباركة وصبحك الله بالخير ومساك بالخير وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم كل ذلك وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد كرهها مالك وأجازها ابن عيينة أعنى عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) فى العيد لمن هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت فى الشرع عند لقاء المؤمن لاخيه (وأما) فى العيد على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان يساعده النقل عن السلف فيا حبذا وان لم ينقل عنهم فتركه أولى

(فصل فى خروج النساء الى صلاة العيد) قد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد فى المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان عليه فى وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مروطهن تجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن فى هذا الزمان على كل حال لما فى خروجهن من الفتن التى لا تكاد تخفى وما يتوقع من ضد العبادة المأمور بها

(فصل فى انصراف الناس من صلاة العيد) قد تقدم ان السنة فى الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الاهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضى لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم

اذ ان الغالب من اجوافهم يصعدون والسنة فيها ان يتولى المكلف ذلك
بنفسه فاذا خرج الوقت الذي هو محدد للذبح عاقبهما وليفتش عليهم كما تقدم
ذكره وان علم ان فيهم من لم يذبح فله ان يأتي اليه في أي وقت شاء لعدم
المانع

(فصل في صلاة العيد في المسجد) فان صليت صلاة العيد في المسجد
لاجل ضرورة المطر او غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيها كما تقدم
في المصلى لكن في المسجد يخفضون اصواتهم اكثر مما ذكر في القرية تنزيها
للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولابد من الخطبة بعد الصلاة
وينبغي ان يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هن اليوم يفعلنه
لانهن يخالطن الرجال في الغالب ويقصدن المسجد غالبا فيملؤه يوم العيد بالنساء
وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعن الخروج لكان احسن
بل هو المتعين في هذا الزمان وينبغي له ان يتقدم الى الوعاظ الذين
يجلسون في المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه في حق الرجال ففي
حق النساء من باب اولى اذ ان مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم
منع الوعاظ من المسجد مطلقا

(فصل في التكبير اثر الصلوات الخمس في أيام العيد) وقد مضت السنة
ان اهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس في أيام اقامة
الحج فاذا سلم الامام من صلاة الفرض في تلك الايام كبر تكبيرا يسمع
نفسه ومن يليه ويكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشي
على صوت غيره على ما وصف من انه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هي السنة
(واما) ما يفعله بعض الناس اليوم من انه اذا سلم الامام من صلاته كبر
المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم في المآذن ويطيلون فيه
والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون في الغالب وان كبر احد منهم فهو
يمشي على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ انه لم ينقل أن النبي صلى الله عليه
وسلم فعله ولا احد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع
الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والتالين والذاكرين

(فصل في صلاة التراويح في المسجد) وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي

صلى الله عليه وسلم صلى في رمضان في المسجد ثلاث ليال فلما ان اجتمعوا
جلس في الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد
عرفت الذي رأيت من صنيعكم وما منعني من الخروج اليكم الا خشية أن
تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما كره
من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة
وتفرغ للنظر في مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون
في ليالي رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو
جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبي بن كعب
رضي الله عنه فخرج عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة أخرى وهم
يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل
وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما)
عنى بذلك والله أعلم أحد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثاني أن
يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل في نفسه فهو سنة
لا يختلف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانما هو محمول على
غيرهم لا عليهم اذ أنهم رضي الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل
وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله في موطئه انهم كانوا اذا انصرفوا
من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتمدون على
العصي من طول القيام فقد حازوا رضي الله عنهم الفضيلتين معا قيام أول
الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا ان المحب لمن يحب مطيع
وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغي لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم
المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر في هذا
الزمان في الغالب أعني قيام الليل كله في المسجد لما يختلط به مما لا ينبغي واذا
كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلي نفسه من هذه السنة
البتة بل يفعلها في المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف
فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغي له أن يغتنم بركة اتباعهم في قيام الليل
الى آخره ان أمكنه ذلك فيصلي في بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده
فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وتره آخر تنفله اقتداء

(وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلي مع الناس في المسجد وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهن بسلام اما انا فاذا أوتر واحد وتركتهم ولا انسان بمالك رحمه الله اسوة في ترك الوتر معهم حتى يوتر في بيته بعد تنفله آخر الليل الا ان يكون ممن يخاف اذا أتى الى بيته ونام أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يترك الوتر بعد نومه وليوتر قبله فان أدرك من آخر الليل شيئا قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب مالك رحمه الله وان لم يدرك شيئا فقد حصل له الوتر في وقته ولا حرج عليه

(وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يصلي في المسجد مع الناس صلاة القيام ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله يقول ان شيخه سيدي الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك

(وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمكلف انه اذا صلى المغرب يعجل فطره ثم يقوم فيصلي بحزبين ونصف أو أكثره قبل العشاء ثم يخرج فيصلي مع الناس الامام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى بقية حزبين ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك من الختمة أو أكثرها في الغالب ثم ينام ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلي ما تيسر له مما قوي عليه من الليل (فان) قال قائل قد قررتم ان قيام رمضان في المسجد سنة فما وجه ترك أبي بكر لها (فالجواب) ان أبا بكر رضي الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم في الدين وهو قتال أهل الردة ومانعي الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضي الله عنه ولم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبان ما ذكروا تضح والله الموفق

(فصل في صفة الامام في قيام رمضان) وينبغي أن يكون من أهل العلم والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله في القوم يقدمون الرجل ليصلي بهم لحسن صوته انما يقدمونه ليغني لهم وهذا اذا كان على ما علم من التطريب في القراءة ووضعها على الطرائق التي

اصطلحوا

اصطلحوا عليها التي تشبه الملوك وأما لو قدموه لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك ان هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدم غير مرة ان يكون افضل القوم ومن جملة فضيلته ان يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شيء وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه واخذه وتصدق به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من المغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع اكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما منعه من الصلاة خلفه فاخبره انه يأخذ على صلاته اجرة فقال له والله ما اكلت منها شيئا قط ولكني اتصدق بها فقال له الآن اصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) اخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى وانما المكروه ان يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح انه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر وترك الامامة فلا شك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما اخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا ما تقدم في حال العالم في اخذه الجامكية على التدريس وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فاغنى عن اعادته

(فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح) وينبغي له ان يتجنب ما احدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع أصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك) ينهى عن

قول المؤذن بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والحدث في الدين ممنوع وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

(فصل في ليلة الختم) وينبغي له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم في الختم من أنهم يقومون في ليالي رمضان كلها في الغالب بحزبين فما فوقهما فاذا كانت ليلة الختم التي ينبغي أن يزداد نشاطه في القيام المعهود لفضيلتها فيصلي بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون تلك الليلة كلها فعاكس هؤلاء وفعلوا الضد من ذلك كما تقدم

(فصل في صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان) وينبغي له أن يمتثل السنة في قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت في الغالب في هذا الزمان وقد كان بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه وبعضهم يختمون في أوله أو في أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهي مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فالشيء القليل مع أنه اذا أحيا بعضهم هذا العشر في المسجد الجامع وهي سنة حسنة لولا ما طرأ عليها من المفاسد منها أن الأئمة يأخذون عليها وقفا معلوما الثاني أن المسجد يبقى في ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه من شاء ممن يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يسترهم فلو كان من وقف على الأئمة وقفا على ربت بعض المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول الليل لمنع من رأوه فيه في غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا وأما مع عدم هذا ففاسده كثيرة وفي التلويح ما يغني عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

(فصل في الخطبة عقب الختم) والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن في رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهي بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع

او

أو يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك ممنوعا فى حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع فى حق من يقتدى به (وينبغى له) أن يجتنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفية وبعض هؤلاء يعوضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة (وقد) سئل بعض السلف رضى الله عنهم عن الدعاء الذى يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتى اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا يمقتنى على تلاوتى (وقد قالت) عائشة رضى الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان أن الظلم انما هو فى الدماء أو الاعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال البشرية فينبغى أن يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام قوله اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ٣ (ومن ذلك) الدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على النعمة حتى تهنئنى المعيشة وحسن لى العاقبة حتى لا تضرنى ذنوبى وخاصنى من شبابك الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة بسلام (ومن ذلك) ما رواه مالك رحمه الله فى موطئه عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد

٣ الج... وا... زيا... خير... را... شم

على قوله اللهم اجعلنا خيرين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم ووقع الغير
والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه (وقال)
بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق
(وقيل) ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما
دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده
بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب في الجماعات أو من كان في
موضع من مواضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو في جماعة
يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب أن يمضي فيه لقوله عليه الصلاة والسلام
ان الله يحب الملحين في الدعاء اه (وهذا) في غير المسجد وبغير رفق المعهود
بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا ان
يمضي فيما فتح له فيه في أي وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء
أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى انهم قالوا انه اذا وجد الخشوع في صلاة
النافلة فليمض في ذلك ولو ختم الختمة في ركعة واحدة وكذلك لو وجد
الخشوع في آية واحدة فانه يكررها ما دام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها
الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح له في الدعاء فالمستحب في حقه أن لا يقطعه
أيضا هذا لمن له عقل فليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم ويترك الحدث في
الدين والله المستعان (قال) الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهري
المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن
يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال
والنساء منفردين بعضهم عن بعض يستمعون الدعاء فهذه البدعة التي كره
مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذي يجري في هذا الزمان من اختلاط
الرجال والنساء ومضامة أجسادهم ومزاحمة من في قلبه مرض من أهل
الريب ومعانقة بعضهم بعضا كما حكى لنا ان رجلا وجد رجلا يطأ امرأة
وهم وقوف في زحام الناس وحكت لنا امرأة ان رجلا واقعها فما حال
بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق فيفسق الذي
كان سببا في اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق في المصنف ان
أنس بن مالك رضي الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا)

فهذا هو الحجة عليكم بأنه كان يصلي في بيته ويجمع اهله فأين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وأيضا) فانه ماروى انه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقول يا حبذا صفرة ماء ذراعيها الماء كان قد توضأت به امرأة فبقي فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) انه نهى أن يجلس الرجل في مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى اصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اه

(فصل في القيام عند الختم بسجدات القرآن) وينبغي له ان يتجنب ما احدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو أنهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية في ركعة واحدة او ركعات فلا يفعل ذلك في نفسه وينهى عنه غيره اذ انه من البدع التي احدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالي فبكل آية فيها ذكر لا اله الا الله او لا اله الا هو قرأها الى آخر الختمة وذلك من البدع ايضا

(فصل في قيام السنة كلها) قال الباجي رحمه الله في شرح الموطأ ان هذا القيام الذي يقوم الناس به في رمضان في المساجد هو مشروع في السنة كلها يوقعونه في بيوتهم وهو اقل ما يمكن في حق القارئ وانما جعل ذلك في المساجد في رمضان لكي يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم في أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبي صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه ولما شابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام في السنة كلها مشروعا ان حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به في بيته جهرا ولا يقوم به في المسجد أعني في جماعة كما في رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلي عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور في بيته ايضا هذه هي السنة الماضية في الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل

الصيام المعهود في رمضان دائما في زاويته في جميع السنة ثم مات عن
واشتهرت فصارت تفعل في بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب
وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك في المساجد وفي كل موضع مشهور
وكذلك لو تواعدوا على انهم يجتمعون في موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان
فعلوا فهي بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما تقدم
نعمت البدعة هذه يعني في جمعهم على قارئ واحد في رمضان على ما تقدم
بيانه فذكره رضي الله عنه ذلك البدعة على أن من فعله على تلك الصفة في
غير شهر رمضان فانه بدعة

(فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغي) قد تقدم ان الدعاء بعد الصلاة
يستحب على الصفة المذكورة فليفعل وبعد الختم مثله (قال مالك) في المدونة
الامر في رمضان الصلاة وليس بالقصص في الدعاء (قال الطرطوشي) رحمه
الله فقد نهى مالك أن يقص احد بالدعاء في رمضان وحكى ان الامر المعمول
به في المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن
القاسم قال سئل مالك عن الذي يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو فقال ما سمعت
انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس في
المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم أو يسمع
على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن القاسم
أيضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو ورافعا يديه فانكر
ذلك وقال لا تقلصوا تقلص اليهود قال مالك التقلص رفع الصوت بالدعاء
ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم أيضا قال سئل مالك عما يعمل الناس به
من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك فقال
هذا من البدع وانكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا انما
عنى بهذا الوقوف للدعاء وأما الدعاء عند دخوله وخروجه ماشيا فانه جائز
وقد وردت فيه آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن
الرجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لاحد أن
يفعله (وذكر) ابن شعبان في كتابه عقب ذكره جملا من هذه
الامور المحدثة قال انما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى

يتخذ أمراماضيا وما انما تقرر ذلك بل قد وجدنا ما كنا نحذر فأكثر
المسلمين اليوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على
هذا الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يجمع فى رمضان الا ليالتين اه فاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله
تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة
وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج
السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله اذا ختم
عنده فى شهر رمضان فى المسجد فى جماعة لم يزد على مايعهد منه خلف
المكتوبة شيئا وكنا لا نعرف دعاء بعد الصلاة الا حين يرمق السماء بعينيه
وهذا ضد ما يفعلونه فى هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد
والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والهنوك وخلوه
من الخشوع والتضرع والابتهال للولى الكريم سبحانه وتعالى قال عز
وجل فى كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمن يجيب
القوال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل
السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى
عليه سلف الامة الماضين رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك
فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما
لا ينبغى (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة فى موضع الختم فيكبرون
جماعة فى حال كونهم فى الصلاة لغير ضرورة داعية الى المسمع الواحد فضلا
عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا فى صلاة وهذا فيه ما فيه من القبح
والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم)
انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارى من الموضع الذى صلى فيه أتوه ببغلة أو
فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم فى صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ
القرآن بين يديه كما هم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدرع على عادتهم
الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضى أبو الوليد
ابن رشد رحمه الله كره مالك قراءة القرآن فى الاسواق والطرق لوجوه
ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأه وهو ماش فى الطرق

والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثاني) انه اذا قرأ القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) انه ينبغي ان يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (وبعضهم) من ينقص عن ذلك بالقراء الذاكرين بين يديه (وبعضهم) من يعوض عن ذلك بالاغاني وهو أشدها وان كانت كلها بدعة (وبعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق والدف (وبعضهم) الطار والشبابة في بيته (وبعضهم) يجمع ذلك كله أو أكثره ويضم الى ذلك من اللهو واللعب تلك الليلة تمامه وهذا المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما كان عليه ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما أكثر شؤمها (حتى) انه رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختمة فبعض ما ذكر فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده في أي موضع صلى التمام فمال الى أنه منعه من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف طالبوني بالختم واحتاج الى كلفة كثيرة (فانظر) الى شؤم البدع كيف جرت الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبي اذا كان يصلي بالقرآن في كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها في الغالب (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب في الصبيان انهم لا يقومون في الليل ما دام لم يصلوا به في الليل ولم يقوموا به في رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بأمر الدنيا والاسباب التي تبعدهم عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا للنسيان لاكثرهم

(فصل في وقود القناديل ليلة الختم) وينبغي في ليالي رمضان كلها ان يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التي يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا والمواضع التي يضعون فيها أقدامهم والمواضع التي يمشون فيها الى غير ذلك من منافعهم (ولا يزاد) في ليلة الختم شيء زائد على ما فعل في أول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع لما فيها من اضاعة

المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شئ من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيره فما فيه واضاعة مال وسرف وخيلاء (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يعلقون ختمة عند الموضع الذى يختمون فيه (وتختلف) أحوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة (وبعضهم) من غيرها لكنها تكون ملونة أيضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (وبعضهم) يجعل الماء الذى فى القناديل ملونا (وبعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة أو الملونة أو هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيف مما زادت فضيلة الليالى والايام قابلوها بضدها أسأل الله تعالى العافية بمنه (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها فى غيره (ومنهم) من يفعل ما هو أشد مما ذكر وهو أن من كان عنده فرح فى طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها فى بيته للسماع والرقص وماشا كل ذلك ثم أفضى ما ذكر من الوقود الى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء فى موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه أيضا كثرة اللغط فى المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذ انه يكون الامام فى الصلاة وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون فى الاشياء التى ينزه المسجد عن بعضها فى غير رمضان فكيف بها فى شهر رمضان العظيم فكيف بها فى ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله وماشا كله جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (وأما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف أحد فى منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس فى كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم

وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقت سيما في المسجد الجامع سيما
في مسجد دمشق فإنهم يفعلون فيه أفعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء
عن ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون على انقلاب الحقائق إذ أنهم لو فعلوا ذلك
وهم يعتقدون أنه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والإقلاع ولكن
زادوا على ذلك أنه عادتهم أن فعل ذلك من إظهار شعائر الإسلام وإذا تقرر
هذا عندهم فلا يرجى أحد من إظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة
من هذا الأمر فليخرج إلى غير ذلك مهما استطاع جهده فإن عدم الاستطاعة
فلا يصلي فيه تلك الليلة لأن بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون
حجة إن كان ممن يقتدى به للقوم بأن ذلك جائز غير منكر ويقول من يقول قد كان
سيدي فلان يحضره ولا ينكره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضي به وهذا
والحالة هذه زيادة في الدين وهي مسئلة معضلة إذ أن إثم ذلك كله على من
فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضي به أو أعان عليه شيئا أو قدر على تغييره
فتركه ولم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب ذلك
جهده والله الموفق (ولا ينبغي) أن يقول إنه يضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة
الجماعة إذ أن الفضيلة موجودة في غيره من المساجد إن كان سالما مما ذكر
ويتأكد الترك في حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله إذا استحسنت أمرا
ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فقم عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه نقله
ابن يونس في كتابه (فإن فرض) أنه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره
فليصل في بيته فهو أفضل له وأقرب إلى رضى ربه سيما في هذا الزمان إذ
أن أقرب ما يتقرب به المتقربون إلى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع
ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة إظهارها والاهتمام إذ أن هذا الفن قد
اندرس إلا عند من وفقه الله وقليل ما هم (وينبغي له) أن ينهى في نفسه
وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من إحضارهم الكيزان وغيرها من أواني
الماء في المسجد حين الختم فإذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به
إلى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاؤوا على سبيل التبرك وهذه بدعة
لم ينقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم (وهذا) الذي ذكر مختص بليلة

الختم

الختم بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه فى ليالى الاعياد والتهاليل والمآتم وليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب وآخر أربعاء من السنة التى اتخذوها لزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كأنه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيئا مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته فذا فى بيته أفضل له من الصلاة فى المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغى له) أن يجتنب ما أحدثوه من البدع فى تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا وفلان فى ليلة كذا ويعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنه اذ أنه لم يكن من فعل من مضى أعنى فى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان (وأما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز لفعل أنس رضى الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك فى شهر رمضان لوجهين (أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثانى) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك فى بيوتهم فى طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية فى هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيت مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

(فصل فى ذكر آداب المؤدب) اعلم رحمنا الله واياك ان ما تقدم ذكره من الآداب فى حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون حامله من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به

عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اه ومعلوم على ما تقدم ان أصل الخير
انما هو القرآن فهو أعلى أعمال الآخرة فيعظم منه من أن يجلس لأجل
الاستجلاب للرزق لأنه ان فعل ذلك فقد أراد به عرضا من الدنيا فيدخل
تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك بمنه اذ ان استجلاب
الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو
تحصيل حاصل اذ ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا
عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان ان البركة انما تكون بالاشتغال عما هو فيه
بل يستقيم الحال على ما هو عليه لكن بتبديل النية يستقيم الحال ان
شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) ان يوفق الله تعالى أن ينوي بما يفعله من ذلك
الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة
والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اه والمراد بالخير هنا خير الآخرة اي ان
أعمال الآخرة كلها هذا ومقدمها اذ ان منه انتفع سلوك طريق الآخرة وهو
الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ
والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من أبواب
الدخول في جملة المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مرتبته وكيف
لا وهو حامل كلام الله الذي ليس كمثله شيء (وقد) قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لو شئت ان أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت اه
(وهذا منه) رضي الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون قاله
بالسبعين كناية عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين
على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما أن نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ
وقال عليه الصلاة والسلام والله لأزيدن على السبعين فأنزل الله تعالى سواء
عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (والوجه الثاني) أن
يكون ذلك منه على وجه التعريف والا فالامر يجل عن أن يأخذه حصر
أحد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة
أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت
الى هذا وجدته الشاهد هذا مرشدا للعلم القطعي اذ ان البحار كلها على عظمها

وكثرتها

وكثرتها ومددها الدائم مفتقرة الى من يمدها الان كل نقطة منها محتاجة لكاتب ما يجرى عليها من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود ومن أى موضع برزت ومن أى شئ أصلها وعلى أى موضع تسلك ومن ينتفع بها وما يطرأ عليها من الأعراض وفى اى موضع تستقر فهى لا تقوم بنفسها لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شئ تكتب به وهذا معنى كلام سيدى أبى محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فينظر ويعتبر (وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد فى الاثر اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول يا دنيا اخدمى من خدمنى وأتعبى من خدمك اه (فاذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية يجاهل بها ولكى يصحح صلاة المسلمين بتعليمه أم القرآن الى غير ذلك من نفعه العام للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة والسلام من بدأ بحظه من دنياه فاته حظه من آخرته ولم ينل من دنياه الا ما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من دنياه ما قسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجئ راغمة لطلاب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق فى تنزهه وتوجهه وعالم صادق فى علمه وطالب علم صادق فى تعلمه وعارف ومبتدى ومنتهى أتتهم الدنيا وهى راغمة مع فراغهم لما هم بصدده (كل ذلك) أصله ما جلس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغى له) أن يعظم ما أكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وان لا يشينه بشين المخالفة والاعتقاد الردى والدسائس والنزغات التى تطرأ على بعض الناس فى ذلك وهى كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة الثقة بمضمونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين الذين لا أرب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذى عليه يعولون واليه يلجؤن وعليه يتوكلون اذ أنه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده ولا يخيب من سأله وهو أكرم وأجل من أن لا يعطى حتى يسئل فكيف بمن نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل ما ذكر عادت بركة ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى أو كلاهما (وقد) ذكر الشيخ أبو محمد

الله الترمذي رحمه الله تعالى في كتاب المعبر له حديثا قال روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اه (وإذا) كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطالبا بذلك كله لأنه الأصل كما تقدم وغيره فرع عنه (وإنما) وقع تأخير ذكره إلى هنا وإن كان هو الأصل كما تقدم لما مضى أول الكتاب أن العالم نفعه عام لأجل ما احتوى عليه من مصلحة الدين وإقامة منار الإسلام ورواية أي بعد الله تعالى بها ولا يخفى وقد تقدم في العالم أن نيته تكون لإظهار دين الله تعالى ومعرفة أحكامه اللازمة له ولغيره ولا ينظر إلى المعلوم ولا يلتفت إليه فإن جاءه شيء من ذلك أخذه على سبيل أنه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك هاهنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية ويكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فإن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه ومن منعه إذ بذلك يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فإن كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم إذا تعذر عليه المعلوم فتخلف فيتخرج ذلك على فساد نيته وكذلك هاهنا بل يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لأن من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من أعطاه فإنه قد يكون فيه شوب بالدسيسة لا يعلم السلامة منه منها والسلامة أولى ما يتتبع المرء فيغتنمها العاقل (فإذا) سأل الناس فلا يذكر ولا ينبغي له أن يبوح بنيته لأحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يجعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فإنه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم أن النية لا يجهر بها في الصلاة فإن جهر بها فقولان هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم لا يسألون أين بعضهم بقية وكيف يقاري القرآن وكيف يكن أن يقطع لتعليمه

لله سبحانه وتعالى وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدم (فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم فى الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله عز وجل فقل من يعطيه شيئا فيجيء من ذلك ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقوله اذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو من أكبر الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا فى هذا الزمان على قسمين فى الغالب فنهم معتقد ومنهم مسيء الظن فالمسيء الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيعد من الملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فبابك منه نفع أصلا فاذا وجد الفقير القوت فى زمان من هذا حالهم كان ذلك كرامة فى حقه اذ أن الكرامة انما هى خرق العادة وما جرى لهذا فهو خرق عادة والمؤدب مثله سواء بسواء فاذا اشعروا منه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيئا لعدم مطالبته اياهم هذا حالهم فى أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس ما تقدم من أحوال السلف رضى الله عنهم (ألا ترى) الى ما حكى عن الشيخ أبى محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد لله رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فأعطاه مائة دينار يعطيها الفقيه فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له يا سيدى وأى شئ عملته حتى تقابلنى بهذا العطاء فقال له والله لا أقرأ عليك ابنى شيئا بعد اليوم فقال له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا واستصغرت ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا الحال وهو استعظام الدنيا فى قلوبهم واستصغار ما كان من أمر الآخرة فاذا تقرر ذلك فلا يظهر المؤدب فى هذا الزمان انه جالس يقرئ الله عز وجل بل يظهر أنه جالس للعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

(فصل فى ذكر أسباب أولياء الصبيان) وينبغى له انه اذا كان عنده أحد من أولاد من يتسبب بسبب حرام على أنواعه من مكس أو ظلم أو غيرهما فلا يأخذ مما يأتى به الصبى من تلك الجهة شيئا اللهم الا أن يكون يأتيه من غير تلك الجهات المحذرمنها من جانب الشرع فلا بأس به مثل أن يأتيه بشئ من جهة أمه أو جدته أو غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن

يشترط في إجارته للولد الذي يكون معلما وليه ما ذكر أن لا يوالي والد
الصبي بالإقبال عليه ولا بالسلام ولا بالكلام ولا بالجواب إذ أنه يجب عليه الصبر
عليه وعلى أمثاله بمروءته فإذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق في حقه من التعزير إلا
الهجران له وإذا سلم عليه فقد صرح بذلك من هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت)
بعض من له خير ودين ولده والده وكان على بعض الجهات الممنوعة شرعا
إذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما وإذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ
من الصبي شيئا إلا من جهة أمه أو جدته أو غيرهما ممن هو سالم مما تقدم
ذكره وإن تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا ويحذر من هذا جهده فإنه من
باب أكل أموال الناس بالباطل إذ أنهم يأخذونه من أربابه بالظلم والمصادرة
والمعلم يأخذه على ظاهر أنه حلال في زعمه وهذا أعظم في الجرم
من الأول وإن كان كله حراما وهذا الذي ذكر فيه بيته على سبيل الأولى
والأرجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة
والسلام إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله أخرجه البخاري
وهذا نص صريح على أنه أحل شيء يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل)
سئل مالك رحمه الله عن إجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك علم الناس الخير
ويعطى قيل له إنه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به ما زال المعلمون
عندنا بالمدينة يعملون ذلك انتهى لكن ما قدمناه أولى إن أمكنه ذلك
لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال
عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد في الدنيا خلو القلب عنها وترك
النظر إليها وترك السبب هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه حال حامل
القرآن إذ أنه أكمل الأحوال وينبغي أن يكون حاله أكمل الأحوال وإن
كانت نفسه تتشوف إلى المعلوم فلائق ذا بالكرام في الصورة الظاهرة
نعمة شاملة والمرجو من الذي أنعم عليه بذلك أن يتمم نعمته بالاتساع
في الباطن ومن نزل بساحة الكرام فهو مقبول فيسأل الله تعالى الكريم
أن يعاملنا بفضله ويجمل عاقبته لا رب سواه

(فصل في صفة توبيته بما نواه) وينبغي له أنه إذا نوى ما ذكر أن يجتهد في
التعليم أكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لأنه إذا كان يعرى عن

عوض فعمله لله تعالى فكان أرجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل مذهبا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بأن ذمته برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر أنه قد أوقع نفسه فى أمر خطر لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك كذلك فيكون حرصه على العمل الذى نواه لله تعالى أن يوفى به أكثر مما يأخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل من يصلى بالناس بغير عوض وآخر يصلى بعوض فيكون الذى يصلى بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة من الذي يصلى بالعوض بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفية بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت بتعليمى لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الآية الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام فى جميع أفعال البر التى يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك جهده والله المسؤل فى التجاوز عن التقصير منه (وقد) يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون باجرة معلومة وهو أحل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وقد تقدم اه واذا أخذ العوض فليحترز فى نفسه أن يزيد على ذلك شيئا من جهة الصبى من غير أن يأذن وليه فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه وأكله لذلك سحت لان الصبى محجور عليه وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال

(فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الآداب) وينبغى له بل يتعين عليه أن لا يترك أحدا من الصبيان يأتى الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس ليشترى شيئا فى المكتب لان من هذا الباب تختلف أحوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام من ضار مسلما أضر الله تعالى به انتهى لان ولد الفقير يرجع الى بيته منكسرا خاطره متشوشا فى نفسه غير راض بنفقة والديه عليه لما يرى من نفقة من له اتساع فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة قل

أن عمروفيما مريا الله كناية (وينبغي له) أن لايدع أحدا من الساعة يقف على المكتب ليسمع للصبيان أو فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اسرى منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه أو مامو فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل بأكبر الطاعات لله تعالى اللهم الا ان يتعين عليه فرض أدائه وأهم في الوقت بما هو فيه فنعم وكم من المؤدبين تجدهم بهذه الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون ماهم فيه ويلهون به ويلعبون فليحذر من هذا ان يقع منه (وينبغي له) ان يكون موضع المكتب بالسوق ان امكن ذلك فان تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين أو في الدكاكين وكره ان يكون موضع ليس مسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق او على الطريق أو في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة وهي اظهار الشعائر لانه أحياها (وكذلك) يحذر ان يتخذ المكتب في المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا) ينبغي أن يكون المكتب في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق لما في ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) ان الصبيان يكونون في ذلك على حد واحد وان الفقير وابن الغني سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك ذلك تدخل له الكتاب لان في ذلك ترفع ابن الغني على غيره وانكسار خاطر الفقير واليتيم والموضع موضع خير لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون موضع من العدل والتواضع والخير فيكون بدايه أمر الصبيان على المنهج الأقوم والطريق الأرشد (وينبغي) ان يكون الموضع الذي يتصرف فيه الصبيان فيه لضرورة البشرية معلوما اما ان يكون وقفا واما ان يكون ملكا أباحه صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا أو عدم الأمن فكل واحد يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الاول لانهم اذا خرجوا جماعة يخشى عليهم من اللعب لاجل الاجتماع وقد يتباطؤن في الرجوع الى المكتب وهو الغالب على حالهم (وينبغي له) اذا احتاج الصبي الى قضاء حاجته أن يتركه يمضي الى بيته لعذر ثم يعود لانه يستر على الفقير وفيه أيضا تعليم الأدب

للصبيان في حال صغرهم لان الاكل ينبغي أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا نشأ الصبي على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس في هذا الزمان من الاكل على الطريق وفي الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم او لئيم وقد وقع النهي عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغي أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا أكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع ما لا ينبغي منهم (وينبغي له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخلي نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له في بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله في الغالب سيما في هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغي) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان في كل وقت على العرفاء مرة يعطي صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو في نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا بأجرة أو بغيرها (وينبغي له) أن يمتثل السنة في الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم في سبع سنين لانه زمن يؤمر الولي أن يكلف الصبي بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبي في ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتي به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فليرسل معه وليه من يثق به في ذهابه الى بيته لضرورته وغذائه ومن يأتي به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذي يتولى ذلك من المكتب والغالب في هذا الزمان انهم يدخلون أولادهم المكتب في حال الصغر بحيث انهم يحتاجون الى من يربيهم

او يسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون صغيرا بحيث
لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك في المكتب ويلوث به ثيابه
ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل هؤلاء اذ لا فائدة في اقرائهم الا وجود
النجاسة غالبا ولو بثت موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعني
بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة في ذلك السن غالبا الا ترى أن
الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب في حال صغرهم لكي
يستريحوا منهم لا لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن
تربية مثل هذا الحال وفي اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغي) أن يعلمهم
آداب الدين كما يعلمهم القرآن من ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا كل
ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة في حكاية المؤذن
والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما في هذا
الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء سيما فيما وكذلك الوضوء والركوع
بعده والصلاة وتوابعها ويأخذهم في ذلك ولو قليلا ولو مسئلة واحدة في كل
يوم أو يومين (وليحذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان بغير أسباب الصلاة
بل يتركون كل ما هم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا في جماعة وقد تقدم أنهم
في قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع ملك لابيهم أو الى بيوتهم
فكذلك هنا أيضا سواء ويصلون جميعا في المسجد الذي يصلي فيه مؤدبهم
فان خاف عليهم من اللعب أو العبث فيصلون في المكتب جماعة ويقدمون
أكبرهم فيه يصلي بهم جماعة (وينبغي له) أن يعودهم الصلاة في المسجد
مع الجماعة ولا يسامحهم في ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة افذاذا لان
المسئلة مختلف فيها أعني شهود الجماعة هل هي فرض أو سنة وقد ذهب جماعة
من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا في جماعة (فاذا) فرغوا من الصلاة
وتوابعها رجعوا لما بقي عليهم من الوظائف في المكتب (وينبغي) أن يكون
وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبهم اياها معلوما ووقت عرضهم لها معلوما
وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام فمن تخلف عن
ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به فرب صبي يكفيه عبوسة
وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد وآخر لا ينزجر

الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) ان الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فما سواها أحرى فينبغي له أن يأخذ معهم بالرفق مهما أمكنه اذ أنه لا يجب ضربهم في هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبي في سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف رضي الله عنهم فان اضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لابد أن تكون الآلة التي يضرب بها دون الآلة الشرعية التي تقام بها الحدود وهي ما ذكره مالك رحمه الله تعالى في موطائه عن زيد بن أسلم أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتى بسوط مكسور فقال فوق هذا فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فأتى بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما يطرأ على الصبي ان زاد على ذلك (وليحذر) الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين في هذا الزمان وهو أنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى حمل الكتاب العزيز اذ أن حاله كما ورد في الحديث من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغي له) أن يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتسلطون على الحفظ والفهم فهوا كبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغي له) بل يجب عليه أن يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشي فيه بالاقدام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصان عن أن يطأه قدم ويجعل فيه أو يلقى في البحر أو البئر أو يجعل في اناء طاهر لكي يستشفى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذي يغسل به الخرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يمتهن ويشترط في الخرق التي يمسح بها الالواح أن تكون طاهرة وأن يكون الماء الذي تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل أن يكون الماء غير مستعمل وان أمكنه أن يكون حلوا فهو أولى

لأن من الناس من يشربه للاستشفاء به فإن كان إناؤها ممنوع منه ذلك أو
يمنع من شربه كما في الآنية إذا غسلت فيها الأيدي بعد الأكل إنه لا ينبغي
فيها ولا يحصل فيها إنسان ولا غيره مخيفة أن يشربه من يتبرك به كما تقدم ففي
الماء الذي تمحى به الألواح من باب أولى وأحرى (ويتعين عليه) أن يمنع
الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمحون الألواح أو بعضها ببصاقهم
وذلك لا يجوز لأن البصاق مستقذر وفيه امتهان والموضع موضع ترفيع
وتعظيم وتبجيل فيمنع من ذلك وغيره (وينبغي له) أن لا يسامح الصبيان في دق
المسامير في الكتب إن كان وقفا وإن كان ملكا فلا يجوز إلا بإذن صاحبه
ولا ضرورة تدعو إلى ذلك إذ أنهم مأمورون أن يأكلوا في بيوتهم لا في المكتب
كما تقدم فإن كان بعضهم بيته بعيد بحيث يشق عليه الذهاب والرجوع
فيكلفه المؤدب أن يمضي إلى بيت أحد أقاربه من والديه أو معارفه فإن
لم يكن له ذلك فليجعل وقته عند انصراف الصبيان إلى غدائهم وقبل
أن يرجعوا (وقد تقدم) أن المؤدب يحملهم على اتباع السنة ويعلمهم أحكام
دينهم عليهم كما يعلمهم القرآن (ومن ذلك) أن لا يعودهم القراءة في جماعة لأن
ذلك ليس من فعل السلف رضي الله عنهم كما تقدم لأنهم إذا تعودوا ذلك في
صغرهم يخاف عليهم أن يفعلوه في كبرهم وأيضا فإن بعضهم لا يأتي بذلك
إذ أن من لم يحفظه منهم لا يعلم حاله إذا كانوا على صوت واحد في الغالب واتباع
السلف رضي الله عنهم أولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فتعين تركه
(وينبغي له) أن لا يستخدم أحدا من الصبيان فيما يحتاج إليه إلا أن
يستأذن أباه في ذلك ويأذن له عن طيب نفس منه ولا يستخدم اليتيم منهم
في حاجة بكل حال (وليحذر) أن يرسل إلى بيته أحدا من الصبيان البالغين
أو المراهقين فإن ذلك ذريعة إلى وقوع ما لا ينبغي أو إلى سوء الظن بأهله
(وبالجملة) فإن ذلك لا يجوز لأن فيه خلوة الأجنبي بالمرأة الأجنبية وقد يحرم
فإن سلموا منه فلا يخلو من الوقيعة في أعراضهم في هذا الزمان غالبا وما ذكر
من استخدامه وإرساله لبعض الصبيان فهو من باب الجواز وإلا فالذي ينبغي
أن لا يستخدم أحدا منهم في حاجة أصلا لأنه قد دخل على تعليمهم لله تعالى
كما تقدم (لكن) قد تقدم أن حالة إذا فعل ذلك وخاف من أحد منهم على

سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن يشترط ان تكون نفسه غير متشوفة لشيء من ذلك لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اهـ (وقد تقدم) ذكر المكان الذى يقضى الصبيان فيه ضرورة البشرية فليحذر أن يتركهم يفعلون ذلك فى غيرها مثل ما يفعل بعضهم فى هذا الزمان من انهم يقضون حاجتهم فى جدران بيوت الناس وطرقاتهم فينجسون ذلك عليهم فمن جلس الى تلك الجدران تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك الماشى قد يصيبه منها اذى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن الثلاث فهذا من آكدها فتلحق الصبيان اللعنة وهذا كله فى ذمة من سكت لهم ممن له عليهم أمر ونهى فينهاهم عن ذلك جهده (وينبغى له) أن يكون على أكمل الحالات ومن ذلك أنه يكون متزوجا لانه وان كان صالحا فى نفسه فالغالب اسراع سوء الظن فى هذا الزمان بمن كان غير متأهل اذ لا فرق بين الصبيان والبنات فى الظاهر الا عند من يتقى الله تعالى فيسرى اليه القيل والقال فاذا كان متأهلا انسد باب الكلام والوقيعة فيه (وينبغى له) أن لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضى ذلك الى الوقوع فى عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ ان من شأن المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدى بهم فليتبع هديهم (وقد تقدم) ان الصبيان يمضون الى بيوتهم لقضاء ضرورة البشرية ولغدائهم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر مما يفعله بعض عوام المؤدبين فى هذا الزمان وهو أن الصبيان الذين عنده اذا أتى كل واحد منهم بغدائه أو بعضهم فيتسلم ذلك منهم وبعضهم يخلط جميع ذلك ثم يعطى منه من يخطر له فتجد بعض الصبيان يطلب منه شيئا من غدائه فيحرمه ويوفر ذلك لنفسه وان يختار وهذا حرام محض وذلك جرحة فى حقه ويتعين اقامته من المكتب الا أن يتوب بشرط أن تعلم حقيقة أمره فى ذلك (وفيه) من المحذورات عدة (منها) انه يأخذ غذاء هذا فيعطيه لغيره فيدخل الخلل فى غذاء الناس لانه قد يكون والد بعضهم صالحا متورعا فى كسبه وآخر مكاسا ظالما وقد يكون غذاء بعضهم أحسن من غذاء

الآخر في الطعام والمعنى محذور وعليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما إن كان
ليتيم ولا يجوز إنفاذه ولا يجوز لوليه أن يأذن في مثل ذلك (وبعض) المؤدبين
يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو أنه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم ويطعم
من يختاره ومن يجتمع به ويرسل منها إلى بيته ما يختار وهذا نوع من الخيانة
(ولو) فرضنا أن الصبيان أتى لهم غداؤهم ولم يسعهم غيرهم فأكلوا منه ما شاؤوا
وبقيت منه بقية وتركوها في المكتب رغبة عنها فالجائز للمؤدب أن
يأخذها وينتفع بها وينبغي له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك إن كانوا جماعة
أو واحدا إن انفرد هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم إلا أن يكون
الصبي لم يأكل شيئا من غدائه وتركه كله في المكتب فلا يجوز للمؤدب أن
يقدم على أخذه إلا بإعلام والد الصبي وإلا فالإطلاق ما تقدم لأنها فضلات
عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل
واحد منهم شيئا بقدر الحاجة ويكون ذلك بينهم بالسوية فيشترى به ماعون
الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب إلى بيوتهم للشرب وإن كان بيت
بعضهم قريبا لأن ذلك مما يتكرر في الغالب (وإذا) كان الأمر كذلك فينبغي
بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم إلا أن يأذن في ذلك آباؤهم فإن كان فيهم
يتيم فلا يأخذ منه شيئا لثمن الماء ولا غيره والحالة هذه ويصير من جملة من
أذن له في الشرب ويستحق ذلك في حق مؤدبهم (وقد تقدم) أن سكنى دور
القراءة تمنع وإذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا إلا لما إليه الضرورة ومن فعل
ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو إلى تفصيله فإن الحكم فيه معلوم إن وفق له
(فصل في انصراف الصبيان من المكتب) وانصراف الصبيان
واستراحتهم يومين في الجمعة لا بأس به وكذلك تسريحهم قبل العيد بيوم
أو يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة
والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإذا استراحوا يومين في الجمعة
نشطوا لما قبلها (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من الصبيان [illegible]
رائحة فإن الخصال الذميمة إذا كان ذلك سبيلا للوقيعة في حق بعض من في
المكتب عنده وقد يفضي ذلك إلى أن يشتهر بكذا فالآباء يتقون الله فينسب
إلى المؤدب ما لا يليق بمنصبه وبه مفسدة أخرى وهو أنه قد يكون سببا إلى

عدم مجىء الصبيان اليه أو قلتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (وينبغى له) أن يتجنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجىء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا وأشباهه (وينبغى) أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيئا من يأتى به اليه من الاطعمة التى يعملها بعض الناس فى مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفى التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين واتاه به بل يرده عليه ويزجر فاعله ويبين له ولغيره أن ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) فى هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطلب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفهم فى مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التى يعملونها فى أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغى له) أن يصرف الصبيان لغدائهم كما تقدم ولا يترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه فى بيوتهم وليحذر أن يبيح لهم فعل ذلك فى المكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بنى المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بنى المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن فى بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقتا ما فى الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون فى المكتب (وينبغى له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو فى المكتب بوجع عينيه أو شىء من بدنه وعلم صدقه فى ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد فى المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره فى الغالب (وينبغى له) ان كان له ولد صغير أن لا يترك أحدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان أو أنثى والمنع فى الانثى أشد

وقد يستأذن في مثل هذه الآيات بخلاف ما تقدم في استقصائهم حوائجه فإنه يستأذن الآباء (وينبغي له) أن لا يغيب عن المكتب أصلا ما دام الصبيان فيه إذ أنهم لا عقل لهم يمنعهم عما يخطر لهم ببالهم ولا بد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (ألا ترى) أن الراعي إذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها في الغالب وربما ذهب بعضها وما ذاك إلا لعدم العقل منها (ولأجل ذلك) ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المواشي حيث قال عليه الصلاة والسلام احبسوا صبيانكم ومواشيكم الحديث وقد تقدم (ولا بأس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورة ولا يفعل ذلك إلا أن لا يجد من يقوم مقامه مثل غيره إذا احتاج لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يأمره أن لا يضرب أحدا منهم في غيبته ولا يهدده إلا أنه من فعل منهم شيئا كتب اسمه حتى يأتي المؤدب فيعامله بما يرى فيه رأيه (وينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق استفتاحات الأفراح ويكتب فيها بعضهم وقوله إلى الجناب المنيع والسر الرفيع إلى غير ذلك من التزكية وما أشبهها والشعر الذي ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب الحروز لأطفال الناس وأكابرهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل والرقى بالكلام الطيب (واحذر) أن يكتب شيئا بالعبرانية فإن ذلك لا يجوز ولو قيل إن فيه من المنافع ما لا يحصى فإنه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال وما يدريك لعله كفر (وينبغي) لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم أفضل ما يمكنهم في وقتهم ذلك من المؤدبين وإن كان موضعا بعيدا ويختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى فإن كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فإن زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فإن زاد عليه بمعرفة السنن فهو أجل فإن زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب إلى غير ذلك إذ أنه كلما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تحصيلا وبركة وإذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكر والله تعالى أعلم (وينبغي للمؤدب) أن يتجنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم في الأسواق والطرق لأنه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد منها

(منها) وطء الاعقاب وهو منهي عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان السوق موضع اللغط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواضع (ومنها) ان القرآن اذا تلي تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن في الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغي والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه (ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارئ غالبا من أن يقرأ وهو في موضع النجاسة والاماكن التي تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ القارئ ينبغي لقارئه وسامعه أن يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر في الاسواق والطرق غالبا وله أن يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفي الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة أيضا ولا فرق فيما ذكر بين أن يكون راكبا أو ماشيا اذ المعنى فيهما واحد (وينبغي له) أن يتجنب ما احدثه بعض العوام من المؤذنين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب المكتب أو فوق سطحه أو فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان انما شرع في الاماكن التي يجتمع الناس اليها لاداء فرضهم وهي المساجد والمكتب ليس بمسجد حتى يأتي الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن في بيته أو بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون لانه ينادي الناس بلسانه حي على الصلاة حي على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتي الى موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذي سمع فيه الاذان (ومنها) انه كلفهم المشي باذانه الى أن أتوا سيما الغريب الذي هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف لو اذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه في برية فمن أتى اليه صلى معه (وهذا) القسم الاخير من باب المندوب (الوارد) في الحديث عن أبي سعيد الخدري انه قال لبعض من اعتنى به ياني اني أراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة قال أبو سعيد سمعته

من رسول الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب الندب والورع في
النهي للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) ان لا يشتم من استحق
الادب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك
انه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبي شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما
حصل السخط في ذلك الوقت فقذف بعض اهله فيه الحد سيما من كان منهم في
خلقه حدة أو فيه غلظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شيء مما ذكر ان
لا يؤدب الصبي في وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده
من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعي على ما تقدم ذكره لانه ان أدبه
في حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل) هذا المعنى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان
وعداه علماؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كجوع وبول أو غيره ولا
فرق بين القاضي والمؤدب الا أن القاضي يحكم بين الكبار وهذا يحكم بين الصغار
وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على الصبي من غير أن يتناول
عرضه ولا يشتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان
عليه ويدعوان له في كل أحواله وقد تقدم انه ينبغي للآباء أن ينظروا
لاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه
رضاع ثان للصبي بعد رضاع الام (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر أن يفعل ما
أحدثه بعض عوام المسلمين باولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب
الذي يقرؤون فيه كتاب ربهم عز وجل ويتعلمون فيه شريعة نبيهم عليه الصلاة
والسلام ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب وهذا رضاع ثالث
بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع يغير الطباع وهذا أمر شنيع قبيح من
الفعل لان الولد لم يحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم يعرف أقوال
العلماء وقد تسبق اليه الدسائس من النصراني الذي يقرأ عليه الحساب أو من
الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصراني مع ذلك يؤدبه على ما
يخطر له ويغرس فيه من كفره وطغيانه وبطغيان ذلك من قبل تعليمه الحساب
وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين والصبي في هذا السن
قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع أي شيء جعلت عليه طبع فيه فيخاف على

الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وبهتانا وموضع النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصراني او الى شئ مّا من اعتقاده أو استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لاتمكن زائغ القلب من أذنيك لاتدرى مايعلقك من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتى اخوانه الذين استنصحهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبي لو علمت ان الله راض ان ألقى نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لايعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا فى التأويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضيل الاصبهانى رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى لاتخاصم أهل الاهواء فيلقوا فى قلبك شيئا فيرديك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد أكثر الشغل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات فى الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضى الله عنهم يحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبى قد رجع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين أن يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخبايا ها فاذا ارتضع الصبى هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما حصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له أقرأ قبل هذا علما غير ما نحن فيه يعنى من علم الكتاب

والسنة قال نعم قال وما هو قال العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يصلح منه
شئ قال ولم قال لانه تدرس فى أذنيه غزلات العرب وأشعارها وحمل على ذلك
فكيف يكون صلاحه لم يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة فى
الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبى صلى الله عليه وسلم لكن
ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من غزلات العرب وأشعارها ولو سبق
له العلم بالكتاب والسنة أو بعضهما من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما
يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تغليظهم على سبق العربية مع وجود
الاحتياج اليها فى الشرع كما تقدم فما بالك بغيرها (وما) تقدم فى حق المؤدب
من انه اذا كان عنده علم من العربية فهو أحسن أعنى انه يكون عالما
بالعوامل وهو لم رفع هذا ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لان علوم
العربية على أربعة أقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثانى
علم اللغة والثالث علم الأدب والرابع علم البديع فالأول هو الذى يحتاج
اليه المؤدب وليس فيه كبير أمر فى الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقى من المفاسد
التى فى دخول الصبى لكتاب النصارى (فمن ذلك) ما فى ظاهره من الذلة
للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد
المسلمين يأتون اليهم ليتعلموا منهم هذه الفضيلة منهم رأوا ان لهم رفعة وسؤددا
وفضيلة على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فبالله ويا للعجب كيف يترك
التعليم من المسلمين وهم متوافرون فى هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية
ويؤتى الى نصرانى عدو للدين وعدو لله ولرسوله فظهر بذلك فساد المسلمين
وهذا من الحسن الباطنى الذى لا ارتياب فيه ولا شك (فان) قال قائل ان
النصارى فى علم الحساب والكتابة أحذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من
المسلمين (فالجواب) ان هذا انما يقال لانه لو كان الصبى علم كل ما عند المسلمين من
العلم الذى يريد أن يتعلمه من النصرانى حتى فاق المسلمين فى ذلك ثم أتى بعد
ذلك الى النصرانى لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شئ ما من الميل الى
ذلك فكيف والصبى بعد لم يعلم شيئا من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد
لله فى المسلمين من يعرف أكثر من النصرانى وأمثاله ولا حاجة تدعو الى التعليم
من أهل الكفر والضلال (وقد أفتى) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال

قد أغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضى الله عنه أن يتخذ أحد من أهل الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على نصرانى بالمعرفة والحذق فى الحساب مات النصرانى والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعملوا على أنفسكم وأموالكم الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أوكما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى اشتراط أمير المؤمنين رضى الله عنه الخشية فيمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك فى حق أعداء الدين وانما هى جبع شيطانية ونفسانية وركوب للهوى وركون للعوائد الرديئة وترك النظر الى امر الشريعة وما يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة اسأل الله السلامة بمنه وفيه من المفاسد التى يأباها الاسلام ومن فيه عذوبة طبع وانقياد للشريعة المطهرة (وهى) أن المعلم النصرانى يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين دونه ويقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الا الدم الحيض ليس الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات ويكتنبون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب الخمر بحضرتهم وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها فى جملة من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها فى بعض الاحيان فان كان الولد بالغا أو مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه أو وليه أو من أشار عليه بذلك وقل أن يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما أمرهم المعلم بحمل الخمر اليه أو الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم فى حوائجه وضروراته (ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم من الانصراف فى وقت صلاة الظهر أو العصر أو هما معا وقد يعوقهم فى صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها أو يفوته بعضها (ومنها) ان الولد فى صوم رمضان يعيبون عليه فى ذلك ويضحكون منه ويستهزئون (ومنها) أنهم اذا كان صومهم يمنعون الماء أن يؤتى به الى ذلك الموضع فيبقى أولاد المسلمين بالعطش غالبا

(ومنها) أنه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع فى اعتقاده الباطل أو فى بعض بعضه مع بعض فى ألواحهم ما أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربى بحضرته فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ما هم عليه فان وقع له شئ من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فى الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو أنه ما كان سبب اتيان الولد الى النصرانى لتعليم الحساب الا حب الدنيا طلبا لاجرتهم عوقبوا على ذلك بنقيضه ووقعوا فى الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) ترى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من أحد أمرين (أولهما) وهو أشدهما أن يدخل عليه شئ فى اعتقاده كما تقدم (والثانى) أن يقل احتفاله بأمر دينه فى حق نفسه وفى حق غيره وأى شئ وقع منه من المخالفات أو من غيرها فلا يكترث به ولا يندم فى حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافى أخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد) قال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فى كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر اه (واذا) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذى يدخل كتاب النصارى أن ينقش فى قلبه ما هم عليه أو بعضه ولا أعدل بالسلامة شيئا نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح ما فيه وأشنعه وأوحشه ان الولد يتربى على تعظيم النصارى والتعظيم لهم الذى قد تقدم منعه فى حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وضياع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبى من عندهم لبقى على عادتهم فى التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الا ما شاء الله وانه اذا رأى معلمه الذى علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع

بعض أو أكثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من صحبه فى مكتب معلمه النصرانى من جماعة أهل دينه فيألف هذه العادة الذميمة المحظورة شرعا ولا يرضى بهذه الاحوال من له عقل أو غيرة اسلامية أو التفات الى الشرع الشريف (ألا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى غير ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكر تنبيه على ما عداه

(فصل فى تزويق الالواح) وأما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه أن يجتنب ما أحدثوه من المفاسد فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فمنها) تزيين المكتب فى الاعياد والاصرافات بالحرير وغيره أرضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك وقبحه فى زينة الاسواق للمحمل أو غيره سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون فيه صور ما فيه الروح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جلس المؤدب اليه فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب أولى موضع يتلى فيه كلام الله عز وجل فمنعه فيه أوجب (ثم) بقيت أفعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى قبيحة مستهجنة (فمنها) انهم يجعلون لوح الاصرافة مكفتا بالفضة فى خرقة من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث أجيز لهن ذلك (وأما) تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (أحدهما) لما فيه من السرف (والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيخففونه ويظفرونه ويلبسونه الحرير

ويعلقون قلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى
ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة بالثياب من الحرير والذهب وغيرهما
يجعلون عليها كذلك وشاشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها أو ثيابها
من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه
أعلاما وبها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يحملون فيما
يحملون بين يديه (ومنهم) من يمشي بين يديه صغار الكتاب وينشدون في
طريقه الى أن يصلوا الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراء يقرؤون
كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم في الجنائز (ثم)
يضيفون المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة في جنائزهم (ثم بعد)
ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينتسب الى العلم أو الخير والصلاح أو
المجموع وقل أن تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك في الغالب فانا لله وانا اليه
راجعون (ومنهم) من يعوض عما ذكر ما هو أشنع وأقبح وهو أن يضرب
بين يديه بالطبل والبوق (ومنهم) يمشون الخيل والزرافة بين يديه مع
رمي النفط (ومنهم) تمشي بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما عهد
من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترجيع عقيرتها على ما يعهد من
مستهتراتها فكان الامر أولا للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا في قربة فعكسوه بما
هو ضده نسأل الله تعالى السلامة بمنه ولو كلف أحدهم أن يتصدق بعشر
ما صرفه فيما لا يجوز صرفه في الاصرافة لشق ذلك عليه في الغالب لانه
محض طاعة لله تعالى ليس فيه حظ ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق
على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو أن
بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء
وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطي اللوح لأم صاحب
الاصرافة ولأخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته الى غير ذلك من أقارب
الولد ومعارفه حتى تعطي كل واحدة منهن من النفقة ما أمكنها وذلك محرم
لا يجوز لانه أجنبي منهن ولا يجوز لهن أن يظهرن عليه ولا أن يسمع كلامهن
الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغي)
لوالد الصبي بل يتعين عليه أن يجتنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان

وهو أن الصبي اذا ذهب أكثر التعب به وقرب من ان يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى فى الصبي اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدب الاول واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاول او الثانى قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الا بل هو عام فى كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبي فان المؤدب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرءوا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصرانى كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصرانى ولا النصرانى عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة فى ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسقطة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد فى الحذاقة يعنى الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها وبين الاحضار فقال انه لا يقضى بالاحضار فى الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله فى أعياد المسلمين ومكروها فى أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز ان فعله ولا يحل لمن قبله لانه من تعظيم الشرك

(فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه) قد تقدم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له فى ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيئا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (واعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتى ان شاء الله تعالى فى ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات

وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد
فضل الجهاد وكيف يجاهد وعلى ما يصح له الجهاد وعلى ما يفسد وكذلك
غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث
الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب
شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل
القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حقه هذا أفضل كذا امره وآخر يكون
بعكس ذلك فيه فهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في بدنه ليس له قوة
على الضرب والطعن فطلب العلم له أفضل هذا تعين وقد تتعين عليه الجهاد
بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز
والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل
أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب
العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك
عمله وجب عليك العلم به اه فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ
يدخل فيه فمنها ما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة
في ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما حرا
بالغا ذكرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة
الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد
من اثنين

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يخمسها من اتصف بعشرة شروط السبعة
المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن
تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الاسارى) والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء
القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الاوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أوصاف
الحكم والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا غير
معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) فدار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه

وأعظمها وقد تقدم أن أفضل الأعمال طلب العلم لأنه يعرف الفضيلة
فضيلة الجهاد وكيف يجاهد ويعاد ما يسع له الجهاد وعادا يفسد و
غيره من أمور الدين فكان أفضل الأعمال لما جاء في فضيلة
الصحيح والحديث ليس على عمومه لأن ذلك راجع إلى أحوال الناس
شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من
القوة والشجاعة والإقدام فالجهاد في حق هذا أفضل كذا أمره وآخر
فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه لم
على الضرب والطعن فطلب العلم أفضل في حق هذا فيتعين وقد يتعين
بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاءت به الكتاب العزيز
والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى
أهل العلم عما يلزمه في جهاده أن لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام
العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المتقدمون في معناه ما
عمله وجب عليك العلم به اهـ فيعرف أولا الأحكام اللازمة له و
يدخل فيه فنبدأ بذكر ما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الأحكام
من ذلك أنهم قالوا شرط وجوب الجهاد ستة وهي أن يكون
بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال ومن أنصبه ستة النية
الإمام وترك الغلول والوفاء بالأمان والثبات عند الزحف وأن لا
من أذى

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يستحقها من اتصف بالعشرة شروط
المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للإجارة
تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الأسارى) والإمام مخير في الأسارى بين
القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الأوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أو
الكفر والإقامة على بدار الإسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا
معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) ودار المرتدين تفارق دار الحرب من أر

لان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن
من اركانها كان تركه للجهاد اولى به بل اوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين
والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى
الا ترى ان الناس من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم المعرفة وعدم
المعرفة بكل ما ذكرناه وقل من تجده منهم يجتمع باحد من اهل العلم
ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما تقدمت
تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقهاء كانها حكاية تحكى
سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف ايضا لعدم فاعلها وقلة السؤال
عنها فيخرج المجاهد وهو يحسب نفسه انه في طاعة وهو يقع في مخالفات جملة
لعدم التماس معرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من
العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما استعد له باقامة هذا الدين
قال الله تعالى في كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم امر العبد لربه واتباع امره
واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وانهزام عدوه
سيما والمجاهد انما يجاهد لاجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه (وقد
ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم
يحاصرون مدينة وانهم قد افتتحوا البلدة الى زوالها وكان الحرب بينهم وبين
اهلها من اول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له ما يبكيك
والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف امام الاسلام من غدوة الى الزوال
الا من امر احدثوا ثم اوانا (فانظر) الى ما قرره عمر رضي الله عنه ما طرق
النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده وما بين العبد وربه فاين هذا الحال
الذي ذكر من حال اكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها
ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين اعني جواز اخراجها عن وقتها
عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي اغماء او زوال العقل او استتاره
الا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له ان يتكلم ان
اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له ان يصلي لاي جهة كانت ويكبر ويقرأ
وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

لان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن من اركانها كان تركه للجهاد اولى به بل اوجب عليه ادام يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان عامدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لانا نرى وسائر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ما ذكرناه لكثرة ودل من نجد منهم يجتمع باحد من اهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكرناه سيما صلاة الخوف التي ما تقدمت تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقهاء كانها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف اصلا لعدم فاعلها وقلة السؤال عما يخرج المجاهد وهو ... ... في طاعة وهو يقع في مخالفات لعدم العلم بمعرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه ... فان العدو انما ... باقامة هذا الدين قال الله تعالى في كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر الله ... واتباع امره واجتناب ... فاذا ... ذلك كان سببا لنصر الله تعالى له واما ... سيما والمجاهد انما يجاهد لاجل الدين والصلاة هي عماده ... (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم محصورون ... قد اتعبوا البلدة الى ان ... وكان الحرب بينهم ومن اهلها من اول النهار الى الزوال ... فقال لمن ادركني ... فقال والله ما ... امام الاسلام من غدوه الى الزوال ... احد ... ثم ... (فانظر) الى مبادرة عمر رضي الله عنه ما طرف البصر ... الا لاصلاح الحال وفساده ... ما بين العدو ... واين هذا الحال الذي ذكر من حال اكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ... بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين ... عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي اغماء وزوال العقل او استتاره الا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو ... ويجوز له ... ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له ان يصلي لاي جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

فكل هؤلاء صلاتهم اغماهى بالايماء واللسان واغتفر فى حقهم ومن شابههم
ترك فرائض الصلاة جملة فى حال صلاتهم اذ الخيفة على الوقت أن يخرج
فلو ترك أحدهم مالزمه من الاتيان بالصلاة فى الوقت على الصفة المذكورة
كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الان علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا
فين أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور وأن
القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى انه
لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وماذكر) فى حق
المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها موجود بعينه فى كثير من
الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وانهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون
اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسال
عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها وأحكام الحج ومناسكه وان وجد
ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون فى المناسك بأدعية معلومة على
قانون معروف فيعولون عليها ويتركون ذكر الاحكام فى الغالب (وقد)
كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر
الله ويدعو بما تيسر بباله أو كما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من أمر الجهاد
فن أهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها
والتعويل عليها وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بيانها أتم بيان حين
جاءه الاعرابى فقال له يارسول الله ما القتال فى سبيل الله فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال ومارفع اليه رأسه الا انه كان قائما
فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اه (فقد) اتضح
وبان ما ينوى المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال وأما ما يقع له بعد تصحيح
نيته فغير ما نواه لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابى قال فان أحدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه
اذا نوى أن يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من
قتاله غضبا أو حمية أو ما أشبههما لان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته
وهواجس النفوس التى لا تملك والله عزوجل قد رفع ذلك عنا ومنّ علينا
بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبى الكريم على ربه عزوجل سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله الآية فزع الصحابة رضي الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج
فقبلناه واما ما يقع في نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فقال عليه الصلاة
والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا
وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم
وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذي نحن
بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان جاءه أصحابه يشكون له ما وقع لهم
من هذا المعنى فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال
صلى الله عليه وسلم أو جدتموه فقالوا نعم قال ذاك صريح الايمان الحمد لله الذي
ردّ كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعني في دفعه
وتعاظم الامر عندهم لا في نفسه ووقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله
الذي ردّ كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يمنع منهم في الجاهلية حتى
جعلهم ينجرون خشبا وينحتون حجارة ويعملونها صورا يسجدون لها
ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما ان جاء الاسلام
وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له
حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه
الصلاة والسلام الحمد لله الذي ردّ كيده لهذا فحمد صلى الله عليه وسلم ربه
على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقي له من الحيل الا
الوسواس والهواجس وذلك عز وتأييد لمن وقع له ولو وقف المكلف مع ما
يقع له من الهواجس فلا أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسلطه (فالحاصل)
انه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هي العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه
وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا كأنهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد
الصدفي الشهير بابن أبي الدنيا قال روى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف

رضى الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبية هى تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدى القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدو والخديعة لهم من أسباب الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره (ومن) الخدع فى الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يوما النبى صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فاتى الرجل أبا سفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول فى بنى قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بنى قريظة قال تبعث أن تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن فى السبت فان انقضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن فى مكر بنى قريظة فالقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت هذه من الخدع التى خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن ابن أبى أوفى قال سمعته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغى أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبى صفرة عمن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان يأتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض (ومنه) عن أبى الدرداء قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ابغونى فى ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه ابغونى فى ضعفائكم أى اطلبونى أى انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روى عن النبى

صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى انا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالصبر والله اعلم الذين لم يكن لهم طمع في الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون في دنياهم راغبون في آخرتهم طائعون لله تعالى صابرون لديه فهم منصورون قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال والله مع الصابرين أى بالنصر والمعونة أى مع الصابرين عن الشبهات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة (وفيه) أنه سلم قوما الى العدو فقال الزموا فلو نكم الصبر فانه سبب الظفر واذكروا كثرة الصياح فانه اخص على الاقدام والزموا الطاعة فانه احصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس فى الحرب علامة الظفر (ومنها) تقدم الحرب بصح العاقب (ومنها) الهزيمة تحل العزيمة (ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الرأى السديد أجدى من الايد الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (ويدعى) المشورة فى القتال وفى كل أمر يعرض (وفى الترمذى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما رأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغى مشورة من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توقى مشورة الجاهل (ومنها) لا تسأل من لا علم له رعيته أو رعيته (أخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (ومنه) عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال البخارى رضى الله عنه ويرحمه هذه الطائفة هم أهل العلم وقال القاضى عياض انما هم أهل السنة والجماعة اه كلامه بلفظه (ثم) نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فمن ذلك) ما تقدم من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال الشيخ أبو محمد عبد المجيد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال جعل الله تعالى للمجاهدين في سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد في قدرته وعزمه على الجهاد في سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته قل كل من عند الله تبارك وتعالى ربنا يسدي على أيدينا الخير ويثيب عن أياديه الجزاء (وروي) في معنى الآية ان الانصار رضي الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربي أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فالنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (ومر) برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابي كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله صريح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت وقد أثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن (وعن) الجوهري رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
أثمانها جنة ناهيك من نزل * داربها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها * وحورها درر تزهو على القمر
اني لها ثمن دنيا بها محن * لم يصف مشربها يوما لمعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لأحد أمور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد

من الشهوات، أو أجر أو لسان وزوال أو غير ذلك من الآفات، وكل ذلك
مستحيل على خالق الأرض والسموات (قوله الآية) إذا فهمت معانيها
وحصرت محاول العقاب وشروط الاستماع لتأملها إلا طلب في الترغيب في الجهاد
زيادة عليها، ولا اهتمام بشيء من المؤكدات لها (وذكر) سيدنا الإمام مالك بن
أنس في موطئه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر
عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه وأكده بالقسم
إذ أن القتل في سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى
ووعده حق وإنما أكده بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق أصله في قلوب
العباد (أخرج مسلم) في صحيحه بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا
بي وتصديقا برسولي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى
مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده
ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم
وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت
خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون
سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في
سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم
لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسولي هذا نص على
النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية أن تكون كلمة
الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو المتمسك بهما من أهل الإيمان لأن
الكفر إذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الإسلام السفلى
فيقصد بالخروج من بيته هذا المقصد ويبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التي
وعدها في القرآن أو مجموع الأمرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فإذا صح
قصده نال من الله ما وعده (قوله) فهو علي ضامن قيل معناه مضمون
(وقوله) أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أو

يعني الواو ورواه أبو داود من أجرو غنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك في هذا تنبيه على النية (ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفي حديث) أبي أيوب خير مما طلعت عليه الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كلها على كثرتها لان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى) ان الدنيا لو نالها مالك بأسرها وأنفقها الثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات) المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله الآية (وعن) أبي سعيد الخدري ان رجلا

سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل فقال رجل يجاهد في
سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله
ويدع الناس من شره (ومنه) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في
سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت
مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه
الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس
إلا في خير (وظاهر) من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه
وأن الاكتساب منه خير كسب إذا حسن القصد ولم يستأثر على الغازين شيئا
إلا ما الضرورة داعية إليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر في السنن
المأثورة والكتاب العزيز (والهيعة) الصوت المفزع (والطيران) هو إتيانه
المسرع بأقصى الممكن في الفعل المسرع (والشعف) رؤوس الجبال (وفيه)
حض على الانفراد عن الناس والاعتزال لما فيه من آفات القيل والقال
وهذا الانفراد والاعتزال إنما يحمد إذا لم تتوجه فرض الجهاد والقتال
أو فرض من الفروض على حسب الأحوال (ومنه) عن أبي بكر بن عبد الله
ابن قيس عن أبيه قال سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة
فقال يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا
قال نعم قال فرجع إلى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه
فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل (قال) القاضي عياض رحمه
الله يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب إليها ويظهر
والله أعلم أن مكان المعركة وجلاد الكفار فيه يتقبل روح الشهيد حين
الشهادة وتدخل الجنة كما جاء في القرآن وصحيح الأخبار (وفي) صحيح مسلم
ابن الحجاج عن ثابت قال قال أنس عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال غبت عن أول مشهد شهده رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولئن أشهدني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول

النبي صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه (قوله) واها لريح الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة ومن لاجرم الصدق أعطى سؤله وبلغ ما تمنى مأموله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح انها توجد من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشريف من الله تعالى لاهل السعاده وتكرمة لمن كتبت له الشهاده (ومن) مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث يموت (ومن) مسند أبي داود عن أبي امامة ان رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله (ومن) الترمذي) عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف (ومنه) عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا (ومنه) عن يزيد بن أبي مريم قال لحقني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار اه كلام الصدفي رحمه الله (قال الترمذي) في جامعه أبو عبس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد بن أبي مريم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد (ثم) قال الصدفي رحمه الله ومنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم

(فصل في الرمي وفضائله) أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله (وفي الترمذي) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله (وفي) مسند الترمذي عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بني فلان قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم (وفي) صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه (وفيه) عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقلت لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا أي ليس متخلقا بأخلاقنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي (وكتب عمر) رضي الله عنه لاهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم وأخلاق العجم السوا الازر والاردية والقوا الخفاف والسراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها حمامات العرب وامرحوا الخفاف والبسوا النعال .

(فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها) أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها (وروى) الترمذي عن فضالة بن

سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة و يأمن من فتنة القبر (أخرج مالك) فى موطائه وغيره عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الاسلام فهى على ذلك وزر (ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (ومنه) عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت الليلة فى الخيل (وروى) العتبى عن مالك انه سأله بعض أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والسكون فيه للحرس وسده أفضل أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطالب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والسكون فيها على ذلك (وروى) عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لأن الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج) الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (ومن) الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة ومنه عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفوركم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل قال

ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ احب الى الله عز وجل من قطرتين واثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق في سبيل الله تعالى واما الاثران فاثر في سبيل الله تعالى واثر في فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لحرس ليلة احب الي من صيام الف يوم اصومها واقوم لياليها في المسجد الحرام وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم (وعن) مالك بن انس رحمه الله تعالى ينبغي لكل قوم ان يرابطوا في ناحيتهم وان يتمسكوا بسواحلهم الا ان يكون مكانا مغمورا يخاف منه على العامة فيدخل منه اليه (ومن) الحرس في الغزو حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستنين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذي اعيت الصحابة الحيلة في كسره (اخرج) النسائي عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر الى قصورها الحمر الآن من مكاني هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر باب صنعاء من مكاني الساعة

(فصل في فضل الشهادة) اخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل (ومنه) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال ما من

احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ
غير الشهيد فانه يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي
رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار ابدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى
الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو تنفق فيه الكريمة و يياسر فيه الشريك
ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق
فيه الكريمة ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه
الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن
أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله
ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله
أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا
يارسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله
تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا
سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن
(ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من
دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر
ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين
وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال أبو عيسى
هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فاعجبته
لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى
أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله افضل من صلاته فى بيته
سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله
من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد

وعيف متهمى وعند أحسن عبادة الله تعالى وجميع انواعه (ومنه) عن أبي ادريس الخولاني أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو وصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (وفضيلة) الجهاد قد جاء فيها ما هو أكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام فقد كانوا عليه ولا يصلون به (وقد) ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي يكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يحذرون فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل أن يحصر أعني ما أحدث فيه من المفاسد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهى عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه أو يكره وما يجتنب فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر ولا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى أنه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا أن يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لأنه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة وخفة ما (ثم) الاصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب أولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم (ألا ترى) الى ما حكي عن عبد الملك بن مروان لما ان خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد بن الحنفية فقدموه والى قومه مر جعوا فقالوا وجدناه

في المسجد يصلي فقال اذهبوا فقد نصرنا بسبابته في القبلة عندي خير من كذا وكذا ألف فارس فمضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام ابغوني في ضعفائكم (ومع ذلك). فلا ينبغي أن يتمنى المرء لقاء العدو امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه البخاري وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام في كل الاحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على ما مات عليه والجهاد مظنة الموت غالبا (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه ان روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل لهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هي أسباب وبقي الامر الى الله تعالى ما شاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألا ترى) الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمي عن نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بقوله وما رميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام في ذلك بين الحقيقة والشريعة اما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى انه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه لملئها بالتراب وهذا شيء يعجز البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لا بد فيها من امتثال الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) الى ما جاء في نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة في اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويعلفوا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقي مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الداجن الذي ذبحه والعجين الذي خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام تفل فيهما وبارك ثم أذن لعشرة في الأكل ثم عشرة من بعدهم من كان يعمل في الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان به ذلك يجمع أصحابه ويتخذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الأحزاب وحده وفي فعله عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر وأمات وأجرى الأمور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فنبه سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (وعلى المكاشف) الامتثال في الحالين أعني في امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يعمل الحكمة أولا بادئا مع الربوبية وتشريعا لأمته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته العامة الخاصة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لأمته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الأعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بقيت هذه البركات في هذه الأمة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره

(فصل) وينبغي للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغي) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادي لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

(فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه)

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقي الكلام على الجهاد الاكبر وهو عام في كل الناس الا ان الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقي الكلام هنا على باقي أقسام الجهاد (فالجهاد

بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ومن ذلك) ما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه ان يعمل علمه فيهم ويقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل ان يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد) زجر ولي الامر أهل المناكر من المنكر والباطل والمعاصي والمحرمات ومن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما تؤدي اليه الاجتهاد في ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) أقول ما يحتاج اليه في مجاهدة الزهد في الدنيا لان منه تناوله الكل على غصانها مع وجود شغف القلب بها يعني عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر به الوساوس والرغبات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم في الصحراء وكره وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعني فقد عبدته بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وما ذاك قال بالزهد في الدنيا فقال له عيسى نم نومة العروس في خدرها (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد في الدنيا ليس الا بل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل حركة وسكون ودعس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد في فضول الكلام أفضل من الزهد في غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضي الله عنهم لما أثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أول فائدة في السكوت تسنيع الاسماء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكثر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد)

تقدم فى أول الكتاب أن الاعضاء تصبح فى كل يوم تناشد اللسان أن يسلمها من آفاته لانه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الاعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضى الله عنه ماهذا قال هذا الذى أوردنى الموارد فاذا كان الصديق رضى الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (واذا) كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كؤود لايجاوزها الا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) ان الزهد فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ماتقدم ذكره لان النفس والمال ينفقان فى الرياسة والرياسة لاتنفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة انما هى فى رتب الدنيا ليس الا بل هى عامة فى رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شئ فهو عند الله لاشئ ومن كان عند نفسه لاشئ فهو عند ربه شئ ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وماقاله بين ألا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمى من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلاشك انه خير من الكلب (ولاجل) هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته انه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبح الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لاتنبح على ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتى ان دخلت أنا الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فأنت خير منى تصريحا منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله تعالى ان كانت نفسك فى هذه الارض فسرك فى سماء الدنيا فان نزلت الى الارض الثانية فسرك فى السماء الثانية فان نزلت الى الارض الثالثة فسرك فى السماء الثالثة فان نزلت الى الارض الرابعة فسرك فى السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك فى السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك فى السماء السادسة فان نزلت الى الارض

السابعة فسيرك في السماء السابعة فإن برئت عن الأرض السابعة إلى ظاهر
النور الذي عليه قرار الأرضين فسيرك بالفكر إلى العرش اهـ (وقرر) رحمه الله
أنه بسبب الاتساع وعلى قدر ذلك السير يصير أمره ويا لو قدره من أراد
العبور فليعمل على إشارته يحظ بالسلامة (واعتنى) بالزهد في مراتب الآخرة أنه
زهد لله تعالى لوجهه الكريم لا للعوض قال الله تعالى يريدون وجهه
وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلا لشيء لاحتقاره نفسه وترك
النظر إليها وصار ثم ساعده أعظم ما هي فيه من الخطر (وقد روي) أنه كان
في بني إسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعني من كان في
وقته من العباد فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل
لفلان يفعل ما شاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام
فأخبر بني إسرائيل بذلك فتحيروا وقالوا ليس فينا أحد مثله في العبادة والخير
فبينما هم كذلك وإذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة
والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربي ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر
وصلى ركعتين وقال اللهم إني كنت أعبدك ولست عند نفسي أهلا لشيء
والآن قد ثبت علي وجعلني أهلا لنارك وعزتك لا أزال هذا مقامي بين
يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء إلى موسى
عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام إن الله قد أوحى
إلي أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه نفسه (وقد)
حكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله وقع به عنده بعض الناس في سكونه
ليجالسهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لأنه رحمه الله من أفاضل
العلماء والمحدثين فقال شغلني عن أربع لو فرغت منها لجلست إليكم وحدثتكم
فقالوا وما هي فقال إني فكرت في نزول الملك إلى صوري في الرحم ونداءه
يارب أشقي أم سعيد فما أعرف كيف يخرج جوابي الثانية إني فكرت
في نزول ملك الموت لقبض روحي ونداءه يارب أقبضه على الإسلام أم
على الكفر فما أعرف كيف يخرج جوابي الثالثة إني فكرت في
قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما أعرف في أي الفريقين
أمتاز الرابعة إني فكرت في المنادي الذي ينادي حين يدخل أهل

الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها فما أعرف فى أى الدارين أكون اهـ (فن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار أو يأوى الى عمران وانما هى غفلات والمريد مبرء من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هالكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا ولا الحمق ما عمرت وطول الامل فى الانسان من أكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كذب الاطلال بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره فى الاقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأى راحة تبقى لمن هذا حاله وفكرته (كما حكى) ان انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر ان تلتفت فقال أنظر الملك الموت من أى ناحية يأتينى (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فأعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذى فى طرف كسائك فأخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اهـ وها هو ظاهر بين فمن كان حاله

على ما تقدم وصفه ولا راحة له دون لقاء ربه (وقد) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى المصرح على ما قررناه حيث قال عليه الصلاة والسلام لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى أعلم ان المؤمن ما دام في دار التكليف لا يزال في مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها ويلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التي لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ الامام القدوة الحسن بن رزين رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقير وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس في الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويمدح هذا الامر ان ترك الذي استوى زهده فيهما بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصلياً قائماً وآخر نائماً مصلياً ومفطراً صائماً وصائماً مفطراً وكاسباً تاركاً وتاركاً كاسباً وانما ذلك كله على تصرف ارادة العامل وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الا ان من صدق أمره وتحقق ذلك وسعى لله عالماً بالله وبأمر الله تعالى الى ربه وفي ما خصه ان يكون قد ملأ بيده ما خصه الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد واشتغاله عما ذكرناه بأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يعمروا دار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوقوا اليه وعد القرآن ووعده من الخلود في دار النعيم او دار الهوان ان في هذا البلاغ القوم ما نادى المنادي الى دار السلام من حلها وزينها وحلاها فمن أيها المريد العمران شوقاً الى نعيمها واجب الداعي الصادق الذي الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك وأدرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود ودمس المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت نصب عينيك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك والمعرفة على يمينك واليقين

على ميسرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جندك والرضى وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصادفه بجميع ماذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى فى كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان عزوبا القلب عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام يا داود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من عبادى الاعبدا قد علمت من طلبته وارادته والقاء كنفه بين يدى انه لا غنى له عنى وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضعف الاشياء الى فانى أنا منفذت بها عليك (واعلم) ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا فباختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطأ وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن فى نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع فى معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجئوا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبيرا نفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على مناهجه فما تقلبوا فيه من الامر فعلى الرضى والطمأنينة ومن سواهم من الخلق فى مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطا من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضى بما صيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق فى أحوالهم وأورثهم الغنى والعز فى قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى

المخلوقين وأتتهم من لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكفون به
ونزه أنفسهم عما سوى ذلك إكراماً لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن
الشواغل عما أعطاهم فقطعهم من كل دنس وأمنهم في طرقات الدنيا
فليس مواليه فهم في السموات أشهر منهم في الأرض ولأصواتهم هنالك
دوي ونور يعرفون به ويعرفون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم إليه فهي ناظرة
إليه تلك القلوب غير محجوبة عنه بلا إدراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد
ولا إحاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأسمعهم وأحبهم إلى
ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضل على عبادي
أكن لك من أوليائي وأحبائي وأباهي بك حملة عرشي وأرفع الحجب بيني
وبينك فتنظر إلى ببصر قلبك لا أحجبك عن ذلك ما كنت متمسكاً بطاعتي
(وذكر) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال قال لأهل محبتي
يشغلوا بي فإذا كان الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع إلي
كان حقاً علي أن أرفع الحجب بيني وبينهم فينظرون إلي بأبصار قلوبهم فهم
يتنعمون بذكري قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة
(فهؤلاء) قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم
بالعبودية له والدخول في محبته وذلك أن تأديب الرجل نفسه في مطعمه
ومشربه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه
ويقهر هواه فقوم عند ذلك قاموا مقام أهل القوة إلى أن يرفعه الله إلى منزلة
فوقها حتى يستوي عنده الأخذ والترك فلا يأسوا على ما فاتهم ولا يفرحوا
بما آتاهم لأن الذي وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكراً له في العلم
به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم إلى ما قل من
الدنيا وكفى فهي لا تطلع إلى غير ذلك ناظرين إلى ربهم في أمورهم كلها إلا إلى
الأسباب فظاهرهم مع غيره في إقامة الأسباب الخالصة من أعمال الأبدان
لبسوا خشناً أو ليناً أو حسناً أو قبيحاً أو أكلوا طيباً أو كريهاً أو حلواً أو مراً
أو حامضاً أو قليلاً أو كثيراً لم يغير ذلك من قلوبهم عن الحال التي هي عليها من
ذكرهم وتعظيمه وذلك أن قلوبهم عامرة من ذكر الخالق فليس لشيء سواه
في قلوبهم ثبوت إلا بالخاطر من غير أن يربع أو يثبت فلم يقم الناس مقاماً

أشرف من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشد الناس محافظة على جمع همومهم في صلاتهم وجميع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا عرفوا بين يدي من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا أو تلوا القرآن أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوبت عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطاهم وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا في أموره كلها راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له مهما رآه وما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متجبر ولا متملك فيما أحدث الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة به وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ورث الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضى بما كفاه وجعله من الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من أولي الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم يكن يعلمه فعن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة فاولئك المحبوبون في أهل السموات المعروفون فيها خفي أمرهم على أهل الارض وظهر أمرهم لاهل السموات لكلامهم هناك دوي ولبكائهم حنين تتقعقع له أبواب السماء من سرعة فتحها لاجابة دعائهم فأعظم بهم عند الله جاها ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فحجبوا من الناس وحجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا به قلوبهم ولجؤوا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخالصت اليه عقولهم بالمودة فانزلوا انسانه معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل

السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا فصيابه لديه
وفارقوا واستدنانا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره وأللذهم من لذاذة مناجاته
وسقاهم بكأس حبه فهم والهون به ليس لهم سكون غيره تضطرب قلوبهم عند
فقده حتى ترجع الى موضع حبيبها يحملون الاستئناس له ولا يملون سناء من
غرائب فوائده في كل يوم وليلة منه هدايا جديدة فتارة يطلع على قلوبهم تعظيم
ربهم وجلاله وتارة يطلع على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يطلع على
قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يطلع على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه
وتارة يطلع على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حبيبه فلهم في كل
تارة دمعة ولذة وفي كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة
فهي سائحة طائرة هائمة لذكر الله مشغولة به عما سواه فهم يستفيدون من كل
تارة منزلة تتقاعد بهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة يجدونها بما يحدث لهم
في قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وانصرفوا الى
الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم
فغنيت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه
حتى اذا هجم الليل فرحهم القرآن بعجائبه من وعده ووعيده وأخباره
وأمثاله فشربوا من كل نوع كأسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال
والوعد والوعيد فوجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتقوا الى
عظمة سيدهم وجلال مولاهم فجمع كل همومهم لله وخشع كل جارحة
منهم لسكونهم اليه غير منتشرة همومهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد
كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على ما فات
عليهم ويهربون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا انقدت الانوار
في قلوبهم وتمكن اليقين من أحوالهم وجبت القلوب تحيدتا وضاقت عن
احتمال ما هجم عليها فلاح منهم ما لا يملكون امساكه فاذا بلغ الامر منهم
مداه وانتهى في كل شيء منهم منتهاه أدخل عليهم ربهم جل جلاله الطمأنينة
والسكون فلولا حسن سياسته لهم ولطفه وامتنانه بهم ما رجعت اليهم
عقولهم ولا انتفعوا بأبصارهم ولا سكنوا الى ارادتهم للذي هجم على أبصار
قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما فقدهم

بهم من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا
عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء عباده
وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الانبياء وودائع علمه فبهم ينزل
الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا
يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون
لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتيهم
العون من الله تعالى في كل حال يرحمون الخلق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد
أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا باجزائهم وبلغوا بما بلغهم
فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا
في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق
ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت
المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم
وصبروا فيه بجميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم
المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الارض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال به والتفكه انما
يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم وودوا أنهم أكلوا من الدنيا
أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها الا كتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك
من قلوبهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من
المطعم فعند ذلك خفت عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم
في المطعم والملبس ما تهيأ أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذ ولا ترك
خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته
وحبه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد أو مال فان عرض من ذلك في قلوبهم
عارض نفخا مار من غير ثبوت فيها وورثوا نور الهدى فأبصروا به واضح حيل
ابليس ومكره فكسروا عليه كيده وابسوا عليه أمره ودلوا الناس على
مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وامناؤه في بلاده ثم أسكن محبتهم في
ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم الى ملائكته (فأحيوا) قلوبكم

أيها المريدون بالدكر وامتثوها بالمحبة وتوروها بحب لقاء الله ووحدوها بالشوق اليه والقوها بالمناجة (واعلموا) انكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترتقون وبالشوق ترتفعون وبحسن الخدمة تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفو لكم أعمالكم وتزيدون دكركم وحده حتى تؤثركم ملكوت السماء في علييين فمن كان منكم مريدا الراحة والعمل في منازل أهل محبة الله جل دكره بعزم وارادة قوة وهي الدرجات السبع التي سلك بها آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل دكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والفوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وحذوا في آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول او نبي او صديق أو بدل من الابدال الذين جعلهم الله أوتاد الارض فبهم يسقى بهم الغيث وانزل على العباد بدعائهم الرحمة ويصرف بهم عنهم السوء فمن كان مريدا للعمل في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشيء منها سلطه حتى تعلق عليه فليبدأ برفض الدنيا واطرحها من قلبه حتى لا يعدل بها شيئا فقد ربح تجارة عوضه فافهم ما هدا الله عز وجل كريم تلك المنزلة وأجر

(فصل) قال رحمه الله فاول ما تبدأ به وتتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن تعرف ربه كانما هي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بصفاته وايامه وتدبيره فهو بصفته عما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم امر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا يكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا النية ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما

كسب وانه معه يراه وينظره في جميع أحواله فاذا علم ان ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وان أحب البقاء في الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (واينظر) المريد للمعرفة في أسماء الله وتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهي الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمره به ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهي الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وهي مراقبته في السر والعلانية (فاذا) دخل في هذه الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا عملا (فاذا) وصل العبد الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضي ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهي الدرجة الرابعة (فاذا) صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد في عمله الا جدا واجتهادا فيورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقائه وهي الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم ويكون في ذلك الحال أقوى من كل عامل في الدنيا وأرفع منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا نائما ولا قائما ولا آكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح في الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا أنه اذا رآه الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهي الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الارض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهي الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتفوه بشئ من حوائجه اذا

خاطر بباله تصرف بين يديه وما أراده فيأباه من غير أن يدعو بنفي خاطر
على باله اطمئنانا من الله وثقة بتدبيره حتى يخلص من اطمئنانه وخاطره وضعفه
فيكون قوله عدلا وفعله رضى فالحمد لله الذي من والاه نعمه وأعطاه
والحمد لله رب العالمين اهـ

(فصل في الرياء) اعلم وفقنا الله وإياك أن آكد ما على المريد في ابتداء
أمره الضبط على نفسه والصبر من الآفات التي تعتوره فيما هو بصدده اذ
أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا وقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول إلى
ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد في الصبر لما ذكرناه له
ما تقدم وصفه (فأول ذلك) أن يتقي الرياء والعجب والشهرة والكبر لأنهم
قالوا أدنى الأشياء فيه يحبط الأعمال كلها وقد يخفى في بعض الأحوال لأنه
أخفى من دبيب النمل كما ورد (لكن) تبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ
الإمام ابن زروق رحمه الله (وهو) أن قال أصل العمل لمن نشأ مرائيا
في جميع أحواله وذلك لميله إلى الدنيا وإيثاره لها على الآخرة وإهماله نفسه
وإرساله بتة فلما أهمل نفسه وقلت مجاهدته لها لم يتخلص من الرياء فيعمل
للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن إهمال النفس وتضييع
الأعمال وقال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فنهاهم عز وجل عن إضاعة الأعمال ولا يكون
عمل من الأعمال إلا عن إرادة ولا تكون الإرادة إلا عن نية وقد نهى الله
تبارك وتعالى عن إضاعة شيء من ذلك وأي عمل أكبر من الإرادة والنية وقد
وجدنا الإنسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعا عمل
وقد نهى الله عن تضييع العمل فالتارك لما أمره الله به من إخلاص العمل لم
يميز بين الرياء وغيره وأخرج نفسه فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقاس
فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة
في قلبه فهم يرون فعله فعل أهل الرياء فهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به
ولو أنه أبدى إليه شيئا من عيوبه لنفر منها وذب عن نفسه وأظهر ما نسبه إليه
فصار عدوا مشاحنا وأول ما يقول للعارف بعيوبه حسدتني لما علم الحكيم
أهل زمانه وإن رباه زمان عليه الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه أعرض

بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وان الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الارادة فلما تبين له الصدق وما فيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوفت عند ذلك نفسه الى الكذب والرياء بحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وانما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتغيير في الاعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق ونفى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعي الشركاء فاذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه في قلبه (قال) بعض الحكماء ان الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم فاذا قدر منه على شئ من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من المردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فاغنا بأمري يعمل فاذا نظر اليه الناس في عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويمد لها ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون ومن علامته الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به (وقد) روى في العلم احذروا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون (واعلم) يا أخي ان العبد اذا أراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشركة وتزهد في الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك واصلح عيوبك والذى عندك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سريعا ويعظم عليه الامر

حتى يكاد يمط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له عشق المال والرجاء والسويف وتأول الامل فان أجابه الى هذا المال قطعه عن الفروشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد أن تقصر فلزمه أشد العبادة ويثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه تأول الامل وسوء ظنه قلبه الضرورية ولله لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبدله ثم التقصير ودع ما تلك في السر ويعرض له بعدا له الاول من الشهوات التي كان يصيبها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رياء لا يغني شيئا وعلامة ذلك أن يستقل الكلام في الزهد وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده كله بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان و على الخير وكثرة الاعداء فأخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الاعمال والاخلاص فيها وان قلت الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف الذي يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات (وينبغي) للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى فاذا بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه وأماته فانما هو الشيطان (واعلم) يا أخي ان هذا الدين متين فان أنت وغلبت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقحقة وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم تر شيئا أشد توليا من العابد اذا تولى (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة ويكرهون النقصان (وينبغي) للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق ذلك (وان) العلماء والزم أدبهم فان رأيتهم يقصرون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بالبصيرة منهم والتقصير من يوافق

قوله فعله (وذلك) انه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمنتهم فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك في زمانك (واعلم) ان الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل وان كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر حرج وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فانه يكره من علمه بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فعقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم) ان ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط ان يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو واعوانه من حيث لا تراهم (واعلم) انه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك فأنت على سبيل هالكة فحينئذ يخلي بينك وبين ما شئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولي الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه) الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما انتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا اظهر عمله فرح به فصار معجبا وجد نفسه فنسي النعمة

عليه فاذا تفاوتت علامات الحسد بينهم واضطراب المراءاة بينهم فاذا عمل ذلك صار مرائيا ممراحرا (فافهم) وربح العتاب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح اقرب واسرع منه الى القلب الحزين واول من صرفه المسافر فانه ليس بالمك ما كره الامين يعرف فان كان لا بأس بك ما كره الامين فافهم فكلما ولو كان حبرا (واعلم) ان العبد يعمل العمل في السر فلا يزال به ابليس يقول اظهروا تقتدى بك الناس فيه ونشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى اظهره فاذا اظهره كتب في ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفخر به فاذا افتخر به كتب في ديوان الرياء وعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس واسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس له فضيحة عند الخلق كلهم انما مفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء افتضح عند الخلق كلهم واحذر واستح من الله ان يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه واخلص العمل لله واصدق فيه (واعلم) ان تخلص العمل في العمل اشد من العمل حتى يخلص والابقاء على العمل بعد العمل اشد من العمل في العمل (واعلم) انه لا يقبل الله عملا من مرائي ولا من مسمع ولا من داع الا صوت من قلبه واحذر الرياء كله فان اوله وآخره باطل وفكر في العمل قبل ان تعمل فاذا همت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا فاحمد الله وامض فيه واستعن بالله على اخلاصه واكتم من العمل ما لا تحب ان ترى فاعله وقدم عليه ان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل واعمل بما ينبغي لك ان تفعل واصبر فاذا اشكل عليك فقف ولا تقدم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين تصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل الهدى الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كحاطب الليل وناظر العلماء فيما التبس عليك فما اتفقوا عليه فخذ به وما اختلفوا فيه فخذ بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب (واعلم) ان ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله فتحزن ثم يقول له بعد ذلك قد عرفت انك الطالب ان وقفت هلكت وان لم ارى لم الحق ان صبرت على العدل بات الكبير وان عجزت عن العمل فاعني

الكثير أعجز وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالزينة من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا فرأى الشيطان معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفي ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجه الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى في عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس ليؤذي فلا يحتمل فان خالطهم فأوذي واحتمل الاذى أمره بالعزلة والراحة من الناس ليعجب بما يعمل ويضجر من العمل فان اعتزل وصبر وأخلص قال له ارفق غيرك فيصده عن العبادة وانما يلتمس من الاشياء ففاته فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه (واعلم) ان صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يود أنه نجا كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور ومتكبر مدل بعمله (ويروى) عن بعض الحكماء انه قال اني لأعرف مائة باب من الخير وليس عندي منها شئ (واعلم) ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق الراضي المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله ويود أنه أفلت كفافا فمعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان والجاهل المسكين يحب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزري عليه في قول ولا فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزل لهم شيئا وانما شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة في هذا عظيمة والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل التلاعب تنقضي أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسير الشيطان وعبدا للهوى (واعلم) ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مداوما عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لهما حذرا مستعدا عارفا بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بما ينوبك في عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق

الوصول والعمل بسر الله وإخراجه من عمل السر إلى عمل العلانية وإنما يريد
بذلك كله إطفاء ما بدا أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور شكر الخلوات
فإن قلت هذا إنما هو من الشيطان قال لك أجل إنما هو من الشيطان تعاطيك
الناس أفضل من عملك فلو أخبرت الناس بذلك لكان سببا لك ليعملوا من
آفات الأعمال ما لم يفطنوا فيهم فإن قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك
ولأعمالك لم تعلم بهذه الآفات لتهب سعيك وتنمي النعمة عليك في العمل
فقصد النفس والإيثار ورعك وأسلك فاحذر هذا الباب فإن فيه شهوات
خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفي العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به
ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر إلا أنه يحب أن يرى أثر ذلك
العمل عليه إما من علامة عطش إن كان صائما أو علامة سهر في الوجه إن
كان قام من الليل (واعلم) أن العدو قال أنا أعمل لله لا للناس قال له
صدقت أخلص عملك لله فإن المخلص يحببه الله إلى الناس ويؤثرهم بفضله
فإن قال العبد وما حاجتي إلى الناس قال فأنت الآن المخلص الذي قد
أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة إبليس وقد نجوت وأنت معصوم
فإن عقل العبد وقال له ومن أنا وإنما الأعمال منن من الله على العباد وإنما
شكر وإنما الأعمال بخواتيمها وإنما الثواب على الله يوم الجزاء إن أخلص ولم
يعجب به ولم ينسب إلى نفسه نعمة من الله قد وجبت له بها عليه الشكر
فإنه يقول له قد سددك الآن فصرت حين اعترفت لله بذلك وجبت شكر
النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونسبته إلى الذي هو منه
فإن قلت ذلك منه فلكن ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس إلي من العاقبة
شيء ولست أدري ما يختم لي به عملي (وإياك) ثم إياك والتزين بترك التزين وذلك
أنه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وإنما يريد بذلك
كله التزين فإن فعلت ذلك زلت بجعله خشوع النفاق وإن عرفت نفسك
شيء من ذلك ولم تسارع إلى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان واتق
فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه فإن قال لك الخبيث الآن
نجوت حين عرفت نفسك وأزلتها عن هذه المنزلة وحذرت هواك وقد تركه
فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فإن قال لك الآن نجوت حين خفت

أن تكون قد أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولي فعلي ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بيني وبينك وجعلني في حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولم تتمكن أنت تدخل علي في عملي فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل فان الناس قد شغلهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وأنت المعروف في أهل السماء والمجهول في أهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد أبدا وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذي ألقاه اليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والاماني الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعمدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدي بي والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت في بلد وأنت فيه سالم وأمرك فيه مستقيم والنور معك في فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك ووقعت في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب في العبادة والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور وقلبك ربح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان أحب الاعمال الى الله أدومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (واعلم) ان من ينجو بالاعمال أكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له (واعلم) ان من يهلك بالتفريط والتضييع أكثر وينبغي للمؤمن أن يكون راغبا راهبا لا يأمن ولا ييأس

(واعلم) انه يأتيك من وجوه كثيرة لا يعقل ولا يألوك خبالا ان كنت مقللا
فقدك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقويه بعيك أمرك بالصدقة ورغبك
فيها لتفرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يطعمك في حال العيلة وان كنت
غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك انه أمر
تزول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك تريد بذلك أن تصير الى حال العدل
فيطمعك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت أن تريح نفسك
قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت
وضعفت وفترت وعجزت فان قلت مالي وللناس قال لك صدقت افطر
فان الناس سيعرفون أمرك على أحسن الوجوه وان قبلت ذلك منه
وافطرت على ان الناس سيعرفون أمرك على أحسن الوجوه والمنزلة لا تسقط
عندهم بافطارك وقد فطنت وان أنت عرفت ذلك تركه وفتح لك بابا آخر
فقال لك عليك بالتواضع ليعرفك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قدرك
منه للشهوة والشهرة ازداد كلبا عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في
أمورك كلها واترك كل شيء من الدنيا لعمل الآخرة رغبة منك في الآخرة
وخيالها وايثارا لها على الدنيا فعسيك اياه ان تميل اليها وتقدر رغبتك لها ما
تحتمل لها واقل الدنيا واعصها وتقدر رغبتك لها تزهد فيها واعلم ان
كنت داعيا لم تخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك اعددت وتقيت عند العلم
والتصرفات الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك
بربك الكريم أيها المغرور فلينه عند الله العالم بطاعة العلم ولا يترك طاعة الجهول
وليترك الاغترار (واعلم) ان الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه
في الدنيا وهو يقول في الدنيا من على انه يعوقني عن حيلة في حبالي وقد قال
الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد فاعلم واحذر واعقل وانظر وحارب واستعذ
وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها
ثواب الله وحده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
وان أراد بها ثواب الله وغيره فلذلك (واعلم) ان أولى الاشياء بالعبد أن

خالص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل فى اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شئ من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شئ من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس فى العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا أنفسهم فى العمل من البر فعملوا المعروف وأبا الخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون من أجلهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها (وصنف) قوى اخلاصهم واستقامت سرائرهم وعلانيتهم اخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التى ينبغى أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله فى مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله فى ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها فى قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله فى قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لاهلها فى قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذى المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائى أهل الدنيا بالدنيا فى لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التى يبتغى بها وجه الله لان المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله فى الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذى راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذ مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك أن المفاخر انما يريد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى وعن

طالب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فتغير
من كان له مطيعا فاشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد)
النظر الى من هو دونه في الرزق والى من هو فوقه في العمل للآخرة
ويتواضع ولا يجالس أهل الكبر والعجب والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ
لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذ فانما يأخذ فيه القوة على دينه واقامة
فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما
العجب) فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه
وأعماله ويرى أن ذلك انما هو منه من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه
عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئا هو من غيرها وفي فطرته على
خلافه فان فعل ذلك واستدرج وكان مع اعتداده مزريا على من لم يعمل
عمله فقد عمي عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن
نفسه فرحا بها ينسى ذنوبها فما نفسه أهلا ورضاه لها ولا يخلو العجب جملة من
أن يكون مرائيا الا أنهما شيئان لا يفترقان ولا يكون العجب مغرورا ولا
خائفا أبدا لأن العجب ينفي الخوف (واعلم) يا أخي أن الناظر الى الله فيما
يعمل قد نفى العجب فعلم أن العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له
مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها فانه ليس
لها عنده منزلة ولا نصيب (واعلم) أنهم صنفان (صنف) علماء أقوياء
وهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله
وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذي أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب
والصنف الأول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به
وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما نفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا
بشكر ذلك فلهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من
العجب فقد هلكوا الا أن ينجي الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كبير)
وهو آفة المتعبدين من الأولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة
ابليس التي أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانما
لمن قصر الامر اراده او الرياء فليس بين له ان خيرا فخير وان شرا فشر وكم
من مستتر بعمله فقد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ

المنزلة

المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذي يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله وفي الله فان قام بذلك ونفى ما يحبه وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذي لا يبقي ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هي من اعمال القلب فتوسل يا أخي الى الله في اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وأكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ في ليلك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا اصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقي لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور في القلب وسرور ويجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا ارفع خلق الله في الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله في السريرة هابه الناس في العلانية وبقدر ما يستحي العبد من الله في الخلوة يستحي الناس منه في العلانية وينبغي للعالم أن تكون محبته في العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها

لمن لا يستنساها ويحصى له مثاقيل الذر من عمله وإن ظهرت الحسنات
ولم يعرف نفسه ولا يعرف به شيئا من حقه له فيا أيها العامل في المواقف فإن
أحببت أن يحبك الناس أو يعظموا واحتسابك إذا علموا بذكرك وعملك
وقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك وعملك إن أسقطك الله سقطت ولا
يغرن الوجهين جميعا وإن جعلت لك آخرتك ساقت لك دنياك وإن خسران
الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا
(واعلم) انك ان غضبت على الناس في شيء ولم يسلك وأبديته لهم أو لم تبده
لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه إذا أظهرت أنك لم تعجبك
نفسك (واعلم) ان الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق
بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم ووجدانك ثناءهم عليك حسنات وأنت
تريد ثوابها من ربك لقد خابت أيها العبد حسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها
أصغر عليك من بعض سيئاتك فإن بلغ بك البلاء أن تفرح إذا حمدوك بغير
عملك أو بأكثر من عملك وجهله قال لك أحبط الله عملك ثم تصير إلى حال حب
محبي الأحوال إليك في أوقات الأعمال فتفرح وإن أتوك في وقت فراغك
عملك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر زمانك الحزن وتوهم الناس أن ذلك
من شدة الاهتمام بالآخرة وإنما ذلك منك تصنع محبة أن يحمدوك على ذلك
فأنت إذن قد هلكت من الوجهين جميعا لما خبث الله في سرائر نفسك وعلانيتها
واحتقر حسناتك جهدك واستكثرها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند
الله وتعظم حسناتك واستكثر صغير ذنبك حتى تصغر عند الله وخف من صغير
ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج حسناتك أن يعفو الله بها عنك كل
سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك إن الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين (وينبغي) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه ويقطع
نيته من نفسه ويرجع إلى الفقر والفاقة ويتوجه إلى الملك القادر على
ما يريد بالاعتصام والتوكل والافتقار والانتصار به على الأعداء ويجد
بعد ذلك الفرح والروح والفرج والنعمة ويفوض أمره إلى الملك الجبار كما
اختاره نبي الله صلى الله عليه وسلم فإن عرض له بعد ذلك هم أو روع فليعلم أن ذلك
بلوى من الله فيرجع إليه بشدة الانكسار والافتقار إليه ابتدارا

ويطالب

و يطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له فى روضة واحدة (فانظر) يا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب فى حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثرا الله على ماسواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان (واعلم) ان من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حى القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلا أحيا قلبه فى كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة لخفت عليه حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا صرم اصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان واذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لصحته بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحى تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لوقرض بالمقاريض لم ينتبه ولم يحى وذلك ان الله عز وجل يقول أومن كان ميتا فأحييناه وذلك ان قبل وأجاب الداعى ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعى فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم أنه ميت فقد حى بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على هواه فمن كان مقرا بانه عاص وليس يحول وليس معه الروع والغم الشديد وهو على حالته التى ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن أراده الله وفقه ونبهه من الزلة وأيقظه من الغفلة

وانما هذه كلها موارث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (وينبغي)
ان كان يدعي انه يسره طاعة ربه أن يرجو ما نزل عليه من الربح ثم ما يخاف
عليه من ذلك لان قليل الصدق يقبل ضعيف العمل والكذب في النية
في العمل يضعف ثقل العمل وثقل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب
(واعلم) أن ارادتك العمل على ما تطري ارادتك شيء يصح لك عملك ويراك
الله لبيك طالبا الناس واياها مصححا كل ما ترى في عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات
(واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت
بأكثر من عملك (واعلم) ان عدوك يتطرق الى استدراج نيتك واستدراج عملك وقد
يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة
وقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد
(واعلم) ان العدو اذا رأى في نيتك سقما رفعك في ذلك العمل ولم يثقله
عليك ان يفسده عليك مخافة أن تفطن بالسقم ووجدته ذاك الناس كلهم
أحمدوك في ذلك العمل ومدحوك اذا ظهر منك اسقم النية ويزيدك قوة
ونشاطا في عملك ويحسنه عندك وفي أعين الناس ويحببهم اليك فكلما
أثنوا عليك استعذب عملك وخف عليك وقد يعرفك داء الحسنات وداء
السيئات ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من
أعين الناس (واعلم) ان ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك
اذا أحببت الدنيا واستمت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان
العدو ربما افسد الحسنات أولا بسقم النية وربما افسدها آخرا بتعظيم
الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجبه الى معصية خلاك وذاك
واحذره على عملك كله من حيله الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن
أشد ما تكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا
صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وعالم وادعيتك منك ولا تدع
العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذرا طالبا
للخلاص كارها لفساد العمل لا تريد الا ثواب الآمر الله وحده وطالب
الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثوابا فان الذي قدر الله عز وجل أن
يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك فما لك بالصدق واجتهده

ذخرا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الأمن عليه (واعلم) ان الأمن على الحسنات أضرعليها من السيئات والأمن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك السيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك السيئة اردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها العظمها عندك فافهم ما ألقي اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يسوّي بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الأحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك من بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولابليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض

وينادى عليها الاعمال وترك الذنوب وربما دخل كل أمر فيه معصيته وهو مردود ويحال أن يتقرب الى الله بمعصيته لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم (واعلم) ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد بهما وجهه فاصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وسعت ثم عرضت عليك الدنيا فعليك ان تطهر حسناتك أو تراقى منها ما عملت (واعلم) ان المريد فى ترك المنية يخاف من الله ان يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو غنى عنها ويخاف منه أن يدخر منها وهو محتاج اليها ويخاف من الله أن يعصيه فيما احله له ويخاف أن يشبع مما اباحه له فمن قام فى هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها وأقام الاشياء كلها الى فى الدنيا مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عند ما اضطر اليها ويخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلغة فى وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها ايمانه والقيام بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك أن تأخذ منه فتفرح بها ولاان فاتت حزنت عليها ولاان وجدتها فرحت بها لانك منها على ثقة لهارته مدرمك لها واذا اخذت منها ان تنالها منت الحاجة الى حاجة تقلك حلاوتها وهى الدنيا فتشترى منها عما انا مصلك وأديت به فرضك ودع ما سوى ذلك يكابده غيرك والذى تحتاج اليه من الدنيا بيرها وها تستره عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طالب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طالب الدنيا جمع ما أحدث من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فقد قال للآخرة اه

(فصل فى الصدق والعقل) واعلم ان الاصل الذى يعتزيه مما تقدم ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق يدخله العقل واذا كان كذلك فينبغى الاعتناء بشأنهما (وما) قاله الشيخ الامام عبد بن زرق رحمه الله فى ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا أخى علما يقينا لاشك فيه

ان الصادق لا يكذب أهله ولا يألوهم نصحا فى ارتياده لهم فان أخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا أخى انى لما أطلت الفكرة وصححت فى ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولى النعم ومالك الامم لم يخلقنى واياك عبثا ولا هو تاركى واياك سدى وان لى ولك معادا نقف فيه بين يدى الملك الجبار للحكم بيننا وللفصل فينا وأنه لم يخلقنى واياك حين خلقنا للهزل ولا للعب ولا لفناء دائم وانما خلقنا للبقاء الابد ودوام النعم فى جواره وجوار ملائكته وأنبيائه أو فى الشقاء الدائم للابد فالعاقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وأفاق من سكرته فعمل وجد وأبصر فزجر النفس عن دار الغرور والخاذلة الخادعة الزائلة التى قد وات بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب فى دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب ببابه وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو ممتنعها أيها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار المقامة المسئول عن اقباله وادباره فى دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدى الملك الجبار الذى لا يجور هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فاياك يا أخى والنزول بمحلة المخدوعين (واعلم) ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخى انى لم أر نعمة متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التى جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذى أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاءوا بنور العقول فى طريق خيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان أهل اللب استدلوا به على خالق

أسموم وعلى خلق الخلق كلهم وأمم ويسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغير الأحوال فأول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا إلى الايمان وبالايمان وصلوا إلى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا إلى حالص الفكر ومجالس الذكر وصلوا إلى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا إلى الصدق في الأعمال وإخلاصها لله تعالى وورثهم ذلك البصائر في قلوبهم ووضعت الحكمة في صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذي ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله وسلموا إليه الخلق والأمر فصارت قلوبهم معادن أصفياء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن القدرة وينابيع الحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتتلذذ في حجب الغيوب وتخطر في طرقات الحسنات فالحمد لله الذي لا إله إلا هو العظيم الذي من بالأنعمه وأعطاه (واعلم) يا أخي أن من صدق الله أوصله إلى الجولان في ملكوت السموات فلبسه ثم يرجع إليه بطرف ما قد أفاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب ذكر لا تنقضي ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تبرح أبدا مع ذلك ملكوا الجوارح والأبدان (واعلم) يا أخي أن في ابن آدم مضغة إن صلحت صلح سائر جسده وإن فسدت فسد سائر جسده وهي القلب (واعلم) أنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح والقلب هو المحافظ على استخدامهم وذلك أنه معدن العقل والعلم والعناية فجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا أخي أني وجدت اللسان مترجما عن القلب إرادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء لصدأ القلوب وينقطع من وسن الأفئدة (واعلم) أني وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحجة عليه آكد فهي ما هما ألزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الأعذار والانذار ولله الحجة البالغة علينا وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف أن أحدا أتي الأمن قبل تضييع الشكر لأنه ليس من ولد آدم أحد إلا وهو

تخص بنعمة العقل الا قليل فنهم من حتى له من الشكر وحتى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستولى عليه فكان له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة عليه وعقله فيؤثر دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على قدر ما ترى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتتلف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام العقول وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة مقام الامانة فصار من قلة الاكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل فى الزيادة التى نحبها لانفسنا وبقبح اسرارنا نجرى بها فى ميدان الجهل وغلب علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو

ان يكون امره في البلد الذي لا يعرف فيه مع الخلاص الى خمول الذكر
اين ما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض
على الكسرة اليابسة ومداومة من الناس مالم يكن مسرورا والتمسك بالقرآن
والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) اني قد نظرت بعين النفس
والعناية بها فوجدت فعلا عظيما وخطرا عظيما والغفلة عن الخطر
من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند اولي العقول فكلما عظم الخطر وعلمت
انه عظيم وكنت من اهل البصيرة تركت عظيم الخطر وانتقلت من عظيم
الغفلة الى حال اليقظة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في ذكر الطمع وقطعه) وقال رحمه الله يا بني اوصيك يا اخي ان لا تاذن
املك في استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخلى اطماعه نور القلب من
ركون في تاليف ما بينك وبين الله بجود العاقبة واقطع اسباب الا
ويستريح قلبك ثم يصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسد عليك سبيل
الفقر ويسكن قلبك من العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين
واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وطاعة واطلب راحة البدن باجماع
القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة
اهل الذكر من اهل العقول والمعرفة وحسن الادب البارك
الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجري
فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعي الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول
الفكر واستجلب الذكر بالوحشة من الناس فان انواعها في مواطن
الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة
هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه يبرك بجملة المغترين من
اهل المكر والاستدراج وذلك لان الرجاء مفارقا يؤدي الى الامن والغفلة
فاياك ان تقيده بمشيئة نفسك وتخلص يا اخي الى عظم الشكر باستكثار
قليل الرزق مع كثير العصي تدلك واستقلال كثير الطاعة واستجلب النعم
بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب العز
باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد
الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادر بانتهاز النعمة عند امكان

الفرصة

الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخي والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجري بأهله بالحسرات واياك والثقة بغير المأمون فان الشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كرد الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا واعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في التزين) وقال رحمه الله وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختبار عواقب الامور واختيار مواردها وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) ان الاساس الذي ينبغي للمريد أن يبني عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأراد مأخذ التسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبد أبالخلوة وخمول نفسه فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عما نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أهله من محبة الله والا لم يزل متحيرا متلذذا متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل أهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى بأهل الضعف ويتريح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعي للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراني من يعرف فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا في ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا على عقله وعلمه مستحوذا عليه هواه وما التوفيق الا بالله

العلي العظيم (واعلم) يا أخي ان ما بقينا لا نشك فيه انا لم نبن أساس الدين على
طلب السلامة وله من الخطا ولا على حسن السيرة في الاخلاق والآداب
ولكنا انتدبناه على أساس الهوى وعلى ما تحمله على قلوبنا واستحسنته
أنفسنا واستثقلته ألسنتنا فصيانة أعمالنا ما في الزيادة من التقوى
رجعنا وتركنا حسن السيرة في الاخلاق والآداب فطرنا بعد ذلك فاذا قد
رجعت علينا اعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة في الدين ونقص السيرة
في الاخلاق والآداب بتطير بالامور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الحسد
والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الحسد قولا
وآدابا ومروءات تشتمل بعضنا بعضا على ذلك فاعتقاد ذلك تباعدنا في القلوب
وتعلمنا وتقاطعنا وتدابرنا فقلنا انا لا نأنس مع الرؤية وتباعدنا بالقلوب
مع فقد الرؤية بعدم الدين فانا لا نأنس ونعمل البرنا بالقلوب ونداهن تناسيا في
الظاهر بالقول وتصرمنا بالأيدي والأرجل في التمائل فاصبحنا مع
قبح هذا الوصف ومما نحن فيه لا نستأهل بخروجنا من النقص ولا دخولنا في
الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون والله المستعان واصبحنا لا نجد رجلا صادقا
نستأنس به ولا حانما نلزمه للزومه له ولا نعرونا بعدل الحزن فنسكنه بعد
صرنا بملاهي فضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونتعدى بغير القدوة
مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج
فنعوذ بالله من التولي عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله
جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أي ما وعده سبحانه من التفضل
والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لا يجب للعبد على الله الا من بعد
تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم الا بالمعرفة
والاعتزام على احتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على
العمل لا يكون الا من بعد ثبات الخوف في القلب والخوف لا يوجد الا من بعد
ثبات اليقين في القلب وثبات اليقين لا يكون الا من بعد صحة تركيب العقل
في القلب فاذا صح تركيب العقل في القلب ثبت وتم الخوف بما قد أيقن به
فخاف شدة العقوبة عند تكامل واجبات النفس حينئذ مؤنة العمل
طمعا في ثواب ما قد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت

به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحمق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ فى عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق فى قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله فى الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر فى طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤثروا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الانفس الامارة بالسوء عند ستر سرائر أعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعانى والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة فتعجلت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الاعقاب والرياسة والتوسعة لهم فى المجالس واغفلوا سؤال الله لهم فى عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم وأعمالهم وخسارة ما هنالك باقية وندامة ما هنالك ما ويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التى عاجلوا فيها أنفسهم فى الدنيا فنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها فينبغى للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغى تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلى العظيم

(فصل فى الغيبة والنميمة) وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبة انما هو من تزكية النفس والرضى عنها الا انك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه برىء ولم تغتبه بشىء الا وما احتملت فى نفسك من العيب أكثر وانما يقبله منك مثلك فلو عقلت ان فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر

نفسه ولو علمت ان حرمتك عظم بغيبتك غيرك وطلبك ابلك مرة من العيوب
لتحركك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف واغتياب الاموات ولو كانوا
احياء ادنى ما حملوا ذلك منك ولسامحوا (واعلم) ان ميت الاموات اجدى
العامة من ميت الاحياء وتعسر ميت الاحياء اموات القلوب وهم احياء في
الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت اوزاره وعظمت بليته فاحذر يا اخي
الغيبة لحذرك عظم البلاء ان نزل بك فان الغيبة اذا نزلت ونبتت في القلب
واذن صاحبها النفسه في احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع لاخواتها وهي
النميمة والبغي وسوء الظن والبهتان والكبر مما احملها الذنب ولا رضي بها
حكيم ولا استحسنها ولي لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل في الاستدراج) وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فاحد
المعنيين استدراج عقوبة لا ينبه تنبيها الى الانابة والمعنى الثاني استدراج
لا انابة فيه ولا رجوع نعوذ بالله من الاستدراج واصناف درج العبد على
درجته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من
يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج
بالتوسعة في تجارته بالوسعة في المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد
والعافية والسمع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بان يكرم
بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله ومنهم من يستدرج بنيل حظه من عمله
ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب في عمله والقوة على ذلك في بدنه
ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة في بصيرته فجميع من ذكرنا من
المستدرجين كلهم لا يخلون من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى الا
انه على الطريق ومنة ولى منها احسانه وقد عمي عن فتنة ما هو فيه من
الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة
ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور اجله وقد قال الله عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ
بالله من ذلك والمستدرج مفتون ولا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما
هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم

ان الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم

(فصل في اليقين) وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهي ان الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها الشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيما هو أعظم منها اذا عمل منها شيئا ظن أنه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم (ان قلت) ما بال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فيجدد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

(فصل في العجب) وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعني استدراج الملوك وغيرهم (لكن) بقي من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها في هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بالوتوامن الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجرية والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله

(فصل في التواضع) وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة

في العمل بالخير والعطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من الخير يكون فعله
على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فإن) كنت تسأل عن العجب
الذي دخل أصحاب الأعمال من العباد فيا حسرتك منهم وشدة بليتهم
فتوقها واحذرها واستعن بالله فإنه ليس شيء أعجب إلى إبليس الخبيث من
فتنة العابد لأن فتنة أهل الدنيا مكشوفة لطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم
بطلبها وقد تم علمهم من عملها وهو يعلم أنهم مفتونون فيها وأما فتنة
العابد فهي أخفاها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها ضررا لأنهم قد تركوا
عبادة الدنيا وجدوا في طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا
صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعو
إليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم إليه وأقبلوا على طلب الآخرة وإيثارها
بالصدق منهم وحسن الإرادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق في
كل أحوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي تركهم لها وفي طلبهم الآخرة وإيثارهم
لها بالجد والاجتهاد وجعل في كل نوع من ذلك فتنة لا تدفع إلا بالصبر
ووعد إبليس وعداه وعهده له إلى يوم القيامة بأن أسكنه وذريته
صدور بني آدم يجري منهم مجرى الدم وذلك أن أطاع منهم وإن عصى
ولولا أنه وأعدائه فليس للعابد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره
أو يزيحه عن المسكن الذي أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن
التي امتحن الله بها عباده ليتظاهر بما يعملون غير أن الله إذا أيد عبده
حبس الخبيث عنه ولم يكن له في الأمر عاقبة وقد منع الله الخلق كلهم على
الغفلة والتثبط وأيد الله العابد بمكابدة إبليس فليس أحد أحوج إلى صحة
تركيب العقل فيه من هذا العابد الذي قد قصد خلافه وقوي على
احتمال ترك الأسباب التي يصل بها إبليس إلى ابن آدم من فنون الشهوات
فحذف ذلك أجمع وجاهد نفسه ثم قرب من العقبة التي إن جاوزها كان
منحدرا إلى الجنة بإذن الله فتجرد له إبليس وعلم أنه لم يبق عليه إلا هذه
الدرجة إلى أن يدخل فيها نجا فلا يسلم في مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن
إلا من كان على مثل ما وصفت لك

(فصل في النية والعبادة) وقال رحمه الله ينبغي للعبد أن يصحح نيته

التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتي
ويستمر في عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة
نفسه واياسها اياها من عمله الطالب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها
لم تبلغ درجة العفو لعظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان
بازاء ذنب من ذنوبها لاستأهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف
بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من عماد التوبة والمراجعة ثم عملها
على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها
لتذكره شيئا من احسانها بأمنها عما قد عرفه الله من قديم اساءتها
ويذكرها عيوبها فتنقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا العدو ان شاء الله
تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقعه في العجب بالباطل فلو كان عجبه
عجب حقيقة في احتمال نفسه طاعة ربها بشاشة منها وسرور وزهد
فيما يكره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع
الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من
العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا
بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله
صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من
معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك
واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد في شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا
فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية
ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها
تحول بينه وبين معرفته ويرتجي أن يصير الى الآخرة وروحها يأمن فيها
على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة
الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك
النظر الى تركها

(فصل في العلم) وقال رحمه الله اعلم أن لدواعي الخير علامات يستجاب بها
دواعي الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لانه جعل ذلك في الدنيا بغيته
وأمله واذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما أن طالب الدنيا اذا

ادركوا آمالهم من نعيمها ورتبها أحاط بهم السرور وكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستمر كيد من كايده وهو مع ذلك متهم ربه واثق به في طلب الآخرة فلا يعمل ولا يبني أمره على طلب السلامة من الخطا وعلى أساس الصدق في ما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله اذا خاصمته من الآفات كلها أن يعيبه الله له ويكره ولاسيما اذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فإن تخاصك قليل عملك من بين ماه رأى أهل الشبه والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير ولكن في زمانك أسد تبه طالاخلاص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) ان المعرفة اذا استحكمت ولك لم تدخلك مع التقصير في العمل لقلة ذلك من درجة الى درجة حتى ساعك عاباب ما عملت من الخير او يأتيك الموت وأنت طالب لعامتها وكان الارض لا ... بره و كذلك العمل لا يصلح بغير معرفة و كلما ازداد العبد بالله معرفة ازداد به يقينا وكلما ازداد به يقينا ازداد لله حبا وكلما ازداد لله حبا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت حبا (فاذا) كان كذلك كان مهموما في حاله مسرورا وذلك ان المهموم على الحقيقة لا يأسى بأهل السرور في الدنيا ولا يجري معهم في ميادينهم وذلك ان المهموم جمع هومه كلها فصيرها بين عينيه ثم جعلها همّا واحدا فقصر به أمله وجمع به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمهموم بالحقيقة سهل عليه الغم على التسويف فعمل للنقلة من دار الهموم الى دار السرور (وسأصف لك) حال المهمومين ان شاء الله تعالى (اعلم) ان لله عبادا تدبروا فعرفوا والماعرفوا أيقنوا فلما أيقنوا واجتهدوا فلما اجتهدوا والماعملوا فلما عملوا فعملوا أشفقوا فلما أشفقوا اجتهدوا فلما اجتهدوا واجتنبوا المبارة واصبروا فلما صبروا أبصروا فساوى أنفسهم فلما أبصروا فساوى أنفسهم قصدوا بمعاهدتها القلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب

فنقلوا طباعهم عن الريب والدناءة وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب وألزموا أنفسهم محجة الطريق في أعمالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الاعمال التي لا تظهر للمخلوقين وأراحوا أبدانهم من ظاهر الاعمال الا اللازمة من أداء الفرائض المتوجبة فصارت أعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزنا وأجد ذكرا عند الله وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا أقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الايام مدافعة جميلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبتذلون ان أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من أن يحيط الواصف بها في الكتب والكلام في ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

(فصل في عيوب النفس) وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) ان من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه على قبح ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بفطن العقول المرضيه وبنور الحكمة الثاقبه وبمخالفة الأهواء وبفوائد المعرفة الشافيه وباصابة الحق في القول والعمل بالبصيره ولا يبلغ هذه المراتب العالية الا من تقلد حب الآخرة موقنا بها وراغبا فيها ومؤثرا لها على ماسواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

(فصل في الاشياء التي يستعان بها على معرفة عيوب النفس) وقال رحمه الله اعلم اني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يا أخي) انه لن يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم

قول
أي
اه

من القلب للطاعة وانه ان بعدملك من بعدك سرعة القبول او اوقة الهوى فادراه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وانه ان بعدملك من عدوك النشط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان بعدملك من بعدك التثبت بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا اخي ان القلب اذا اتراكمت عليه اقذار الذنوب واظلمه انفاس الشهوات عمي واسود وانتكس وطفئ نوره ولم تدم نظره عيوب نفسه واتصر نفسه عيوب غيره وتشغل به من عيوب نفسه وليس شئ اولى بالمذهب للارادة من ان يتوسلوا الى الله عز وجل بطالبهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من سرورا نفسهم وعلية اهوائهم واعلم ان القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما ان البيت اذا لم يسكن خرب.

(فصل في الحزن والخوف) وقال رحمه الله اعلم ان العلم والعمل بانه لم لا ينفع العبد الا باستقامة دينه والا عاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبهما هو الذي فرق بينها وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا ادوه لم تركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور والصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يردوه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع عليها ومن لم يترك هذه الفرائض كما لم يتركوها واتابا العمل في الظاهر باكثرها غير ان القلوب ممالة الى حب دار هذا القوم فيه والانفس مما قاله يحب هواها منفذة لها ماتي الحق من الصبر والمكروه (وساعطيك) دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا اخي ان القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا في الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت اهواؤهم تابعة للحق على ما احبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم تابعا فاستقامت لهم السيرة بطرقهم محبة الحق في مواطن غضبهم ورضاهم وطمعهم وخوفهم وكانوا اذا اشتغلوا في هذه المواطن ظهر منهم قول الحق في مواطن غضبهم وهم لهم في ذلك الوقت الزم واشد تمسكا منهم في مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم الصبر والورع والتقوى والتاني ووقفوا

منهم الحرص والرغبة خوفا منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه

(فصل في الزهد والخلوة) وقال رحمه الله تعالى اعلم انى لم أجد شيئا أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزونا مسرورا في حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذى يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدى الاعمال لطيف معرفة الاسباب التى بها يستديمون صالح الاعمال ويسهل عليهم ما أخذوها توطينا منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيهما على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضى فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو في ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى فقرت بالخوف أعينهم

وتعبدوا بالفكر في عادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم بأهوال القيامة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضع لهم أمر الآخرة حتى كأنهم إليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت في ذلك فلم أر شيئا أقرب ولا أجمع لذلك كله من حمية النفس عن الهوى وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الأفكار التي تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرغ للعبادة والبحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة في أعضائه كما يجري الماء في أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجيء به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد في الدنيا حتى إنه لو اجتهد في مثلها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه الصلاح فإذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حببت إليه الخلوة (فأول) ما يستفيد من حب الخلوة الإخلاص في العمل والصدق في القول فيما بينه وبين الله تعالى وفي حب الخلوة راحة للقلب من هموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الأخذ والعطاء ويخرج ذلك كله من صحة العقل وأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويجب إليه بالخلوة خمول النفس وإخماد الذكر في الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الإخلاص ويجب إليه بالخلوة الزهد في معرفة الناس والأنس بالله ويوهب له اشتغال المخلوقين حتى يعرفهم فراره من الأسد وهو غير مفارق لجماعتهم (ويعطي) من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وعلة الهوى بالصبر وفي الصمت والصبر إماتة الهوى (ويعطي) من حب الخلوة الاشتغال بأمر نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطي) بالخلوة كثرة الهموم والأحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ويجرنها من مجالس الذكر (ويعطي) بالخلوة الأعمال التي تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير وشرح ذلك من الصدق (ويعطي)

بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفي الرياسة من القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلاف في الوعد والتوقي من الكذب والايمان والحنث فيها ومخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعي الخوف وبالخوف الثابت في القلب يخشع العبد ويبكي من خشية الله تعالى في الليل والنهار وهي من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط في الدعاء ويجري ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ومخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير في العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره في عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة في القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) انه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذي يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرأ ذلك عنك واطلب الخلاص وهي

لذلك وتخوف أن مثلك لا يستاهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان
تفضل عليك ربك ببلوغ أملك فأتبعه الشكر واقصره وأشد يدا لانك
لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن
تسلب النعمة وترجع الى أسوأ حالاتك فاذا ألزم العبد نفسه هذين الخصلتين
وتمسك بهما رجوت أن يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
(وقد روى) عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسي الفتنة
وأن يحال بيني وبين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين
اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهدوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل ما أنت فيه من الفتنة
فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك
يا مسكين ولا سابقة لك الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الاسلام الا حلاوة
المعاصي وأنت نازل في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا في
الزيادة وأنت مع ذلك لا تأمن عليها أحبه ما عنده لك وأنت لا تعلم أنك مخدوع
(واعلم) أن المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه
ولا عارف بمكايدة عدوه فانت على ابليس صرعته لانه ليس نوع من
العبادة الا وله ضد من البدعة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا معاني
العبادة خاصة ثم اجتهد جهلا بابليس واياه المتابعة من قلة علمه بعبادته وما
يجب عليه فيها ولم تعرض له في بعض عبادته شيء وتصدى له شبهة فانها
الى تبطل عبادته من شهوة النفوس الى تسارع في قبول ذلك فيرى عنده
ان ذلك خير من ضدها وانه يجزى وثاب فيصدق بما يلقى اليه من ذلك
فتزهو النفس ترى صاحبها عنها ويحقق ابليس طلبته وبالخدع له فاذن
قد صرع وخذل ويجا الى نفسه فيلة عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة
عدوه ما يتصيره به المخلوقين وتسكن نفسه عنده أنه لا عدل لها ركاه
وطيبها وهي أخبث الانفس وأتبعها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما
سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الأذى مع مسألة رتبة اياها وشدة رضاه
عنها من تحمل لبس الخشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على
ظاهر العبادة مما يعتني به ويستميل به ابليس قلوب الجهال (ولقد)

قال

قال بعض الحكماء انى لا عد كلامى فيما لا بدلى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لا عد صمتى عما لا يعنينى غنيمة واحداث نعمة ألتمس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وأنزل ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقيعة فيه وهى الغيبة ويقال انها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الاعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البغى والنمام قاتل والمغتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لاحوال المتقين

(فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير) وقال رحمه الله سأل سائل حكيما فقال اخبرنى بأصل الاشياء التى منها تتفرع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الحكيم اعلم ان أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير وتجرى به المنافع وتصح عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وان يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصى كلها عقوبة من الله تعالى وهى من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لانك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت فى الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجريت حينئذ فى ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضى وطمعت فى العفو واذا علمت أن الاساءة التى اكتسبتها انما هى خذلان من الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة فاستجرت بها ولبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساءة مع ما تعرفه من كثرة احسانه فلم تتعرض

بعد ذلك اني عماكره وعدت الى المعاصي معاديتها مثلك ومن عرك
وشكره ان يعصيه احد من خلقه كلهم صغيره او كبيرة فراجعت
الاحسان مجتهدا وانت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في المعصية والرجوع
وان ذلك يفضل منه عليك فالتمست لطيف الشكر بعد الاعتذار عن
الاساءة لشدة المساءة لها وعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد
الاساءة فاذا انت قد صرت في جميع احوالك شاكرا ذاكرا ولم تعرف نعمة
الاحسان فشكرت حينئذ اشا كرا الشكور الذي وعد على الشكر الزيادة
ووعد لا خلاف له وعرفت الاساءة من ابن كان مخرجها فراجعت
الاحسان بالتسابق مثلا عملك وان دنت الاساءة لك ودعا لك اليها فهذا
الاصل الذي يتفرع منه فنون الخير وبه تعلق ابواب البر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

(فصل في كيفية ترتيب سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى)

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له اوضح لنا المنزلة التي ينال
الله ادنيا القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويطلعون على اسراره
والامر الذي يقربهم اليه ويقربهم منه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك
عندنا اسا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي فيهم
لا بد لطالبه من ورود كربه يتذكر لابد لطالبه عقله واصبر على صبرا لا بد لطالبه
عن وانك ان تفعل ذلك يفتح لك مفتاح الطريق وتسلم من تقصير طريق
المملكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدأ الامور والذي لا ينبغي شيء
الا به العقل الذي جعله الله دليلا ذكره ربه لخلقه ونور الهم فبالعقل يعرف
العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم
الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في ارضه وسماواته وشمسه
وقمره وليله ونهاره وعلموا ان لهم ولهذا الخلق خالقا وان لذلك كله مدبرا
وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة في الجهل
والنور في العلم فهذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفي العباد
بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته
على ان له ربا وخالقا وان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخلق خلقه لعبث ولم ان

لخالقه محبة وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذى لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذى لا ينبغى للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذى جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك فى قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفى به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وأن تجتنب سخط الله وان سرك وأن تدع كراهيته وأن أعجبتك وأن تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وتزهد فيما زهدك وأن تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل قد دللتنى على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن على فى ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمنى فى ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بينى وبين كثير من لذيذ عيشتى ونعيم دنياى وحملنى على المكروه وصرفنى عن كثير من السرور فصف لى امرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت على مؤنته وثقل على احتماله (فقال) الامور التى تقوى بها على العمل والادب الصبر الذى هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه تمامه فبالصبر قوى العباد على أداء الفرائض

والحلال والحرام وبالصبر قووا على احتمال المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل استمعت بالعلم والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما آمنت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم ينفعه العقل فرأس أمر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل وقوامهم الصبر فمن لم يكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن لم يصبر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو العصاة من القول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والادب (فقال له) قد بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبني فيه وقواني على العمل به مع ثقله على فصف لي أمرا ازداد بالصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا (فقال) صبرك على الطاعة وطالبك لها وهربك من المعصية وطلبتها هو الذي يرغبك في الطاعة ويبين لك فضلها (قال) قد شرحت لي أمر الصبر وفضله فردني به بصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبين لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر انهم يوفون أجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في مواضع من كتابه (فقال له) صاحبه قد دللني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزادني بفضله صبرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعاينته مع شدة منه على ثقل وصبر على خلاف ما اشتهي وحمل نفسي على ما اكره لطلب ذلك الاجر والفضل وابتغاء العمل والادب فصف لي أمرا يخف به على مؤنة الصبر ويسهل على لزومه ويخف على احتماله وتذل صعوبته (فقال له) اراك للصبر مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وتحب أن تكون قد قويت على ما دلك عليه العلم بسعادة من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا خفت عليه الثقل وقرب عليه البعد وانما في الدنيا مما يريد وانما الثقل والصبر فمثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه

فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى ما يريد (فقال له) زدني ما يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على (فقال له) الامر الذى يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختياره لك وساقه اليك (فقال له) صاحبه فاوضح لى كيف يهون على مؤنة الصبر برضاءى عن الله ويخفف على احتماله (فقال) ألست تعلم انك انما انتسبت الى الرضى وسميته صبرا لأن الامر الذى نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضا ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه عن شكر ما أنعم الله به عليك فصرت منها الى الدرجة الرفيعة ومنازل اهل الرضى وانما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته ينظر اليك فتعلم انك لا نظر لك من نفسك فترضى بما رضى به وترغب فيما رغب وتزهد فيما زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لى أمره فصف لى كيف يهون على أمر الصبر فى الزهد وكيف مأخذه فقد أرانى مع ما أصير اليه من الزهد مقيما على الصبر وأزداد أيضا مع زهدى فى الدنيا امورا احتاج فيها الى الصبر مخالفة لهواى ورفض الشهوات وما تنازعنى نفسى من لذاتى فقد أرانى ازددت ثقلا وضجرا (قال) أراك لا تقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بأوضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التى أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك أقصى الغاية من اراداتك فافهم قولى وتدبر نهجى فان الحجة فى ذلك واضحة والامر فيه بين ألست تعلم ان الدنيا كانت باقية فى قلبك وان حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزلها منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولأن سرورها عندك

سرور وثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب
وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما سره إليك نفسك من اللهو
والحديث في المال وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تعزه
فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك
عند أهل الدنيا وثقل عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يعاديك
الناس أو يقطع رجاؤك منهم أو يسمعوك ما تكره فيدخل عليك التنغيص
في سرورك وثقل عليك الورع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك
الإكثار منها وحرصك عليها وكراهتك للموت وسمع ما بعده مع أشياء كثيرة
يطول وصفها وكل ذلك إنما صار شديدا عليك لحب الدنيا وإنما ثقل عليك
الصبر ومؤنته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لأن سلاحه
الذي به يقوى وكيده الذي يصل به إلى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فإذا
أنت زهدت في الدنيا ورفضتها ورغبت في الآخرة وطلبتها سهل عليك الأمر
فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك
هاربة بلذاتها وأسك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع
رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وفل سلاحه ولا قوة له بك وتكون بنعمة
الله وتوفيقه من الضيق والعسر والهلكة وصرت إلى النعمة والسرور
والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لأنه لم
يكن بنفسك تشرح إلى الأكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت
الصلاة واشتغلت بها لأن نفسك لم تكن تنازعك إلى اللهو والخلوة إلى
حديث في المال وخفت عليك الزكاة والصدقة لأنك أعددت ما قدمته
أمامك ولا تريد منه شيئا بعد خلفك وخف عليك التواضع لأن الإياس قد
خرج من قلبك وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الناس
قد أيسوا أصدقك لم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيئا غيره وخف عليك
القنوع لأنك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك إلى غير البلاغ
والكفاية وخف عليك الجهاد لأن الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت
المقام فيها وأحببت الموت لما ترجوه من النعيم والسرور والحياة الدائمة التي
أمامك فالزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وغاية وأس

شيء من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله (فقال) له صاحبه أوضحت فبينت وارشدت فهديت وكشفت فاريت فصف لي كيف الزهد وما حده والذي ينبغي لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضح لي رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك في التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة في طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغي لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم الله علي ونهاني عنه فقد دلني عليه العلم لانه صار لا ينبغي لي المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لي الزهد الذي ارجو أن أنال به كرامة سيدي وأن أبلغ من ذلك ثمنه وأن ادفع به عني كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد في فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا في الله ولا ترجو أحدا من الناس ويستوي الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الافضاله وتنصح في الله في السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب في الله وتبغض في الله ولا تشغل قلبك بشيء غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتخمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون مثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد في الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعي واشتد له غمي واعتصر له قلبي واستصعب به علي أمري وتفرق له رأيي واشتدت علي المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر علي مؤنة منه وأخف علي حملا من الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسي العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان عالته نفسي وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره وصف لي

أمراً أقوى به على الزهد ونعينه عليه (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك
ولقد صعب عليك الدخول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت
عليك المداخل وما أوثقك ثم اشتد عليك من أمرك ما ذكرت حين لم تعلم
الأمر الذي له في الدنيا زهدت والذي به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من
أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك وجوه
المذاهب وخف عليك فيه المؤنة (فافهم) وولي بعقل وتدبر بحكم وجد به
قوة وحقة (واعلم) ان الله زهد في الدنيا ودعاهم إلى الزهد فيها
ووصفها بخصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية إلى
الزهد فيها (فأول) درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خاطب العباد في الدنيا
وجعل ما فيها زينة لها وزهدهم فيها وخاطب الآخرة ونعيمها وندبهم إليها
ورغبهم فيها وأعلمهم أنهم من الدنيا راحلون وانهم إلى الآخرة صائرون
فرغب العاقل في الباقي وزهدهم في الفاني فآثر الآخرة واطلبها وازهد في
الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك
(وأما) المنزلة الثانية من الزهد في الدنيا فإن الله عز وجل خاطب العباد في
الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم أنهم ميتون وضرب لهم فيها آجالاً لم يعلموا
في أي الأوقات والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم وبين
عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما استقر الموت في قلوبهم أسهروا في الليل
أعينهم واستعملوا نفوسهم من أهاليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم
وزهدوا في الدنيا وأهلها ورغبتها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان
وكان المقوي لهم على الزهد في الدنيا ذكر الموت وقصر الأمل فهذه الخصلة
شريفة من خصال الزهد في الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة في الزهد
فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عذاب النار
وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب الموت
ومفارقتها والتباعد عنها والخروج منها إلى داره وقراره تصديقاً منه بالدنيا
وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه
ما تركت لي إلى الدنيا والركون إليها سبيلاً ولقد استبان لي من قولك البر
والحق ووضح لي من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد

فيها

فيهما ورفضها فصف لى صفتك الشافية ونعتك النافع دواء الداء فلى تخبرنى فيه عن الامر الذى يدلنى على هذه الخصال ويقوينى عليها (فقال) الامر الذى يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها فى قلبك هو اليقين الذى لا يخالطه شك والتصديق بربك الذى لا يخالطه لبس فانه من صدق وبه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد فى الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) فصف لى اليقين لأعرفه (فقال) ان تعلم ان الله وحده لا شريك له وانه الحق المبين وانه كما وصف نفسه فى قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك فى قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذى لا يشك فيه (قال) صف لى التوكل لأعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم ان الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه فى جميع أموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق بأحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه فى جميع حالاته فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه (قال) ما الذى يدلنى على الفكرة ويقوينى عليها فانى كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لا تصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(فصل فى السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز) فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرره هذا السيد رحمه الله فى كيفية السلوك والاخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن ينتج له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال (فأين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ أن الغالب على من ينسب

الى الحرفة فى هذا الزمان اعاذنا الله منه كثرة الاجتماع وحضور السماع
والرقص فيه حتى كان ذلك شعار وما فى السلوك نسأل الله السلامة بمنه
(فمن) أراد الخير وليعتزل عن هذه الفتنة والاقبال عليه بعد انفى العمر
الحق الذى يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والا فبعض هؤلاء
يدعون الاحوال ويزعمون أنه يقع عليهم فى حال رقصهم وتواجدهم
الاحوال اذ ذاك ويخبرون باشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض
الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يقولون ويتنزلون فى تلك الاحوال ويخبرون
بمنازل أصحابهم فيقولون مثلا فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان
أحد الستين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك انها أحوال
نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب
المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يفعلونه محرم (قال) الامام
أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما ان تكلم على سورة الكهف فى
قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا
الله على هدايته شكرا لما أولاهم من نعمه ثم هاموا على وجوههم
منقطعين الى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء
والفضلاء الاولياء أين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام
خصوصا فى هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان
هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) ان هذا حرام بجماعة
العلماء اه (وقد) مر فيما أول الكتاب ان الفقير اذا قطع لا يصرف
الا فى واجب أو مندوب وان المكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى
ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى ضرب الطار على
حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا فى الشبابة على حدتها (وقاعدة)
أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ اتفق
الناس على منعه ذلك محال فى حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر
يدعون الاحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازل لا يتسلط فى
العالم الا من هو متصف بالاقتداء والاتباع وكيف يحصل لاهل التخليط
وارتكاب ما لا ينبغى ذلك محال (ومن) أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه فى

السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده (وقد) نقل الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه (روى) ابن ماجه في سننه والنسائي في صحيحه عن أبي واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فرأيت انك أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر ترداده عليها (ومن) ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا

السكين بعمل أهل العرق السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من الغط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (مع) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا اهمل السماع وهو اليوم على ما يشهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ زرين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين إلا وضعهم الاسماء على غير مسميات وها هو ذا بين الاترى ان السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما تعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضي الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون ان السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك (ألا ترى) ان الشيخ الامام السهروردي رحمه الله لما ان تكلم على السماع قال في أثناء كلامه ولا شك انك اذا حاسبت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجالس وعن حضوره اهـ ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده في حق السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضي الله عنه انه قال ان السماع لا يرجع مساغا الا بعشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا دو محرم أعني أن يكون فهم وامكان واخوان قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذي تقدم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بعد براحة وأن لا يكون بين احد منهم شيء الخ وان لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مساغا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعض السلف رضي الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم في تجربتهم عن تمام المدة الى دخول الى اخرج كجمع

السماع ثم رجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يمدهم فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشدهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخي والتسويف الشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذ عجز أحدهم عن تمام المدة التى دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا لان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ماتؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله فى أرضه وخلفاؤه فى خلقه وقد جعلهم الله عزوجل رحمة وكهفا للناس يأوى اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فانت ولى ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك ان ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لحالتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمات أو مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء فى ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر فى الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزنى رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول فى الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز فى الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبيه * أن يرتقى غير معانى نديه
أو يترك السنة فى نسكه * أو يبتدع فى الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابة * لناسك فى دينه يقتديه
الضرب بالطارات فى ليلة * والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال فى الورى * وليس فى التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبى الهدى * ولا صحابى ولا تابعيه
بل جاهل يلعب فى دينه * قد ضيع العمر بلهو وتيه

وراح في الله وعلى رسله * وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولي الله لا يرتضي * الا ما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله والورى * ان يمقت الله به ما عليه
بل صيام وقيام في الدجى * وآخر الليل لمستغفر يه
اياك تغتر بأعمال من * لا يعرف العلم ولا يتقيه
هذا كلوا الدنيا بدين لهم * ولبسوا الامر على جاهليه
جهل وطيش دينهم كله * وكل من دان به يرديه
شبه نساء جعلوا مأتما * وقمن في الندب على ميته
والضرب في الصدر كما قد ترى * ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا * فهم رجال الناس لاشك فيه
ولا تعب في القمس لائم * ودع الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وما يليق به من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وانكر عليه الاترى ان المزني رحمه الله لما ان نسب الى الشافعي رحمه الله انكر على من نسب اليه جواز السماع فيما تقدم ذكره

(فصل) واشد من فعلهم السماع كون بعضهم يفعلونه في المساجد وقد تقدم توقير السلف رضي الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان او غيره (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سال في المسجد فاحرموه (وروى) ابو داود والترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وان تنشد فيه ضالة وان ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصرها الى فيها وكذلك يفعلون في الربط والمدارس (وقد) ذكر ان بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة

احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعا افتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا القول الذي يذكرونه

ياشيخ كف عن الذنوب * قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا * مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى * ومشيب رأسك قد نزل

(فاجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وأما) الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (وأما القضيب) فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار

(وينبغي) للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوسي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط

لديهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشي رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا فى الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الأيمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالأيمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق بن شعبان فى كتابه الزاهي باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن زاد الترمذي ولا تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث زاد غيره والذى بعثني بالحق ما رفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره وأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان ابليس أوّل من ناح وأوّل من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وانى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس

عسرة تحصله حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه وجفا اباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اهـ (وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضي الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله ان هذا كائن قال نعم يا سلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤمن يا سلمان عند ذلك يكون الكذب ظرفا والزكاة مغرما اذل الناس يومئذ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخافة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما ولا يستطيع أن يغير هذا يا سلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفيء مغنما والمال دولا يا سلمان عند ذلك تكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج وعليهم من أمتي لعنة الله يا سلمان عند ذلك يعق الرجل والديه ويبر صديقه ويعق الشيخ قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطي شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتي بالذهب والفضة عند ذلك يأتي من المشرق والمغرب قوم يلون أمتي فالويل لضعفهم من قويهم والويل لهم من الله تعالى يا سلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير رياء وسمعة وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يا سلمان عند ذلك يكثر الربا وظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا تقام يومئذ شعائر الله يا سلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها في التجارة عند ذلك يرفع الحج ولا تحج أمراء

الناس

الناس تنزها ولهوا وأواسطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة (وروى) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كسب المغنى والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحما نبت من سحت (قال) عطاء بن أبى رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن عمير يترميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر اجلست سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو الا أربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب لعنتنى فما على قال السحر قال فما قراءتى قال الشعر قال فما كتابتى قال الوشم قال فما طعامى قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابى قال كل مسكر قال فأين مسكنى قال الاسواق قال فما صوتى قال المزامير قال فما مصائدى قال النساء (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الاكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لست من دد ولا دد منى (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد فى كتاب العين الدد النقر بالانامل فى الارض فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر فى الارض بالانامل فما بالك بطقطقة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخى اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء (وقال) الشعبى رحمه الله لعن الله المغنى والمغنى له وقال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق

في القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا
(وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد
العزيز رحمه الله تعالى الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض
الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغني عن الثقات
من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في
القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يا بني أمية إياكم
والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل
السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال)
ابن السكاك إياك والغناء (وقال) المحاسبي في رسالة الارشاد الغناء حرام
كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح في رجل كسر طنبورا
فلم يقض فيه بشيء

(فصل) وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة
والعقول يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدب الى بيت
التخييل ويثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة فبينما
ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم
كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت
مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدي من أسراره
ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب
والازدهاء والفرقعة بالأصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الأرض
برجليه وهكذا يفعل الخمرة إذا مالت بشاربها (وقد روي) أن اعرابية
دخلت الحاضرة فسمعت شدوا فما جاوزها وصحت قالت أو يشرب هذا
نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم ما يدري أحدكم من أبوه (وقال) محمد بن
المنكدر رحمه الله إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون
أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول
للملائكة أسمعوهم حمدي وثنائي وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
(وقال) بعض الزهاد الغناء يورث العناد في قوم ويورث التكذيب في قوم
ويورث القساوة في قوم (واحتج) خصومهم على اباحة الغناء بما روي عن عائشة

رضى الله عنها انها قالت دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفى فيحمل الحديث على اللغوى فقولها تغنيان أى ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لانذم انشاد الشعر ولانحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهى الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن والذ واطرب فالممنوع والمكروه اغناء واللذيذ المطرب ولم يعقل من هذا الحديث ان صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسئلة فافهمه وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) أليس قد أنشد الشعر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لاننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهى هذه المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم ما لا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لانسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه

الخاص والعام وإنما هم بحق عالمون بالله وفي الله ولا تتصف بهذه الأحوال
التي هي ثمرة صحبة تجعلوها الذريعة (قلنا) إن زعمت أنك فارقت طبع
البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت
على طبعك وكذبت على الله في تركك وما وصفك به من حب الشهوات
وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفتنة وادعى العصمة
فاجلدوه فإنه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون محتاجا إلى ترك ولا
مجاهدة ولا تكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان يجب
أن تكون أنت وأصحابك تمشون الليل والنهار لا تفترون وتطيرون
في الأرض وكان يجب أن تجمع سماع العود والطنبور وسائر الملاهي
بهذا الطبع الذي لا يشاركك فيه أحد من الناس

(فصل) فإن قال إبليس قد روي عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه
(قلنا) ما علمنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة
الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم وسنن
أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم إلى غيرها مما لم نذكرها وهذه
تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا في شرق
البلاد وغربها [illegible] مما ألفوا على مذهب مالك بن أنس تصانيف
لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعي
وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناء
وتفسيق أهله فإن كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء
بقوله وترك الاقتداء بالأئمة الراشدين (ومن ههنا) زل من لا بصيرة له نحتج
عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالآخرين منا وكل
من يرى هذا الرأي الفاسد خلي من الفقه عاطل من العلم لا يعرف مآخذ
الأحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا
يقرأ منه آية ولا رواية (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به
خيرا يفقهه في الدين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا إلا
حظر عليه العلم (فمن) هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره في مخالطة
أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسألة وغيرها أن لا يهتدي

لولا أن هدانا الله (فيامن) رضي لدينه ودنياه وتوثق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المسئلة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

(فصل) وقد روي عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام ان الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا اني نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا العذبتك قال فاقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضى فقلت يا سيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري وأمر بي الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا الا في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني أنال منهم فتنة وادخل عليهم به (وسئل) أبو علي الروذباري عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسي وكان من الصوفية رأيت ابليس في المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا باطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريري رأيت الجنيد رحمه الله في النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (فأين) هذا برحمك الله مما وصف الله به العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل بعضهم من شيوخهم على اباحة الغناء وقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة اذا سمع الحداء (قال) وقد روي ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فارادوا ان يبايعوه وقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على أن يأتوا بقوال فان أحسن الاصغاء علموا كياسته فلما اسمعوه القوال ضحك الصبي فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا يا ذوي الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحياء الى هذه المخازي وحسبك ان مذهبا امامه فيه الانعام والصبيان في المهد وهكذا يصنع الله تعالى بمن اتبع الباطل وجهلك بمن يقول لا تقتدي باخبار السلف وعلمائهم وتقتدي بالابل فلئن كان كل ما طربت به البهائم مندوبا او مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها واختها وتركب بنتها ويلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالالحان (فالجواب) ان مالكا قال ولا يعجبني القراءة بالالحان ولا أحبه في رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان اقرأ من فلان (قال) وبلغني ان الجواري يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء أين هذا من القراءة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها (قال) ولا يعجبني السر والجهر بقول لا يرجع في القرآن ولا يقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة حروف في القرآن والزيادة في القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل في الطرقات قال لا الا الشيء اليسير وأما الذي يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرأ في نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ في السوق (وسئل) عن القراءة في الحمام قال ليس بموضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك (قيل له) فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم (قال) سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن في ليلة فقال ما أجود ذلك لمن أطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من احدثه الحجاج (قال) وأكره ان يقرأ في المصحف في المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم

ما أذن الله لشئ كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشئ كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان اصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) في قوله تعالى وأذنت لربها وحقت أي سمعت (قال) أبو عبيد وجماعة من العلماء لا يجوز تلحين القرآن وإنما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (فان) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (قال) معناه التحزين (قال) شعبة نهاني أيوب ان أحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) عما رواه عبد الله بن مغفل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى ان أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل (والدليل) على ان التغني بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغني

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت نتغنى بها يا هذا تريد نستغني (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بألحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) أبو

بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لان الجوع فى خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره (وروى) أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالما بجوعك حتى قلت انى جائع (وقال) فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى اياهم بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد مخمر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب ان آكل مثل هذا الطعام وان يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم اضيافا منى فاتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنيته فقال يارسول الله تخيروا على أعينكم ثم اخذ المدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا وشربوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفى لفظ عن هذا النعيم

(فصل) ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ماهى فيه من الباطل استحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم وربما زينوهم بالحلى والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع (قال) الاستاذ القشيرى رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما فى الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشئ من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وأبدى سوأته فى العاجل وله عند الله سوء المنقلب فى الآجل (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خببها
أي أفسدها وخدعها وأصله من الخب وهو الخداع ويقال فلان خب ضب
إذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطي رحمه الله ومن نظر إلى الصورة
إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان الجيف أو لم يسمعوا إلى قول
الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة
النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية بن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضي الله عنهم كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر إلى
الغلام الأمرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما الشيطان من
الرجل في ثلاثة مواضع في نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة
يهواها القلب لا خير فيها (وقال) سفيان الثوري رحمه الله لو أن رجلا
عبث بغلام بين أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا (وقال) الحسن بن
ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الأغنياء فإن لهم صورا كصور النساء وهم
أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب
الناسك في عبادته من سبع ضار أخوف عليه من الغلام الأمرد يقعد إليه
(وقال) بعض التابعين رضي الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروي) أن أحمد بن
حنبل رحمه الله جاء إليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئني به مرة
أخرى فقيل له إنه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأي أشياخنا
(وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين
سنة فجاءه غلام حدث ليجلس إليه فأجلسه من خلفه (فأما) إتيان الذكور
فهي الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله تعالى أتأتون
الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم (قال مالك)
ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا وقال ربيعة وأحمد بن حنبل
وإسحاق (وقال) الحسن البصري وعطاء والنخعي وقتادة والأوزاعي وأبو
يوسف ومحمد هو كالزنا إن كان بكرا جلد وإن كان ثيبا رجم ولا فرق بين أن
يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية (والحجة) لمالك أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به (وأيضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم في رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فاحرقه بالنار (وروى) عنه أيضا أنه قال يرجم اللوطي (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى ما في البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (ويروى) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضي الله عنه يقتل (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي الانهار الجارية وفي شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا و يأتون بالطامة الكبرى وهي اللواط (قال) الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر والنادي المجالس والمحافل (ومن) ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسوق واشار الى ان ذلك من باب بلاء الزواج وانه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال ويلك أيها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفي الحديث) يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري أن أسكنه حبي (وأما) قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية في سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى في باب الاعتبار أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا ان في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فعدلوا عما امرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية

(فصل) واما الدف والرقص بالرجل وكشف الراس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذي لب انه لعب وهذيان وذهاب المروءة والوقار واما كان عليه الانبياء والصالحون (روى) أهل المعتبرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب (قال) وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ حتى يسكت ويغضون ابصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم يكن في السماع والرقص شيء يذم الا انه اول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون وفي حالهم كذلك الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى في كتابه فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يفر منه ويولي الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره واما ان كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال الامام الطرطوشي رحمه الله هؤلاء زعموا أن قرة أعينهم في الغناء والله هو الموفق

وجوه المرد

(فصل) وقال رحمه الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من السخافة افساد المال (روى) أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمرو بن العاص رضى الله عنه مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم أكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما فى السفه اعظم من تمزيق الثياب (وقال) انس رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من اديم احمر (وروى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن امثالهم) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل فى قوله تعالى لابليس وشاركهم فى الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان ما يؤول اليه مثله انتهى كلام الطرطوشى رحمه الله

(فصل) وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (ومن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب (وقال) مجاهد وزادان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل فى النار (وقال) ابن القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذى وغيره من حديث أنس وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نعمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن على رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلانى (وخرج) ابن بشران عن عكرمة عن ابن

عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (وروى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب فى اذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى بريدة وعامر حديث أبى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (وهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربى وأما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة (قال العباس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبرى) وقد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) ابو الفرج بن الجوزى وقد قال القفال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص (قال) أبو عبد الله القرطبى رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الامر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبى أيضا فى سورة سبحان فى قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على

النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض مرحا وذم المختال والراقص أشدّ والمرح الفرح أو اسنا قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الطرب والسكر فأ بالنا لانقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما أقبح ذا لحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص ويصفق على توقيع الألحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان وولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم و يصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتي لهم (وقال) أبو الفرج بن الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبي أيضا في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال في الآية مايدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستفززون استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه

(فصل) وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له ألست كنت تحضره قال مع من وممن وقد حكى عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما أحدث فيه اه (وهذا) كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد في قوله مع من وممن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئي وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء في المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال

او ازحال الدين واعظم من ذلك سيما اذا انضاف اليه ان يكون المغنى شابا
حسن الصورة والصوت ويسلك مسالك المغنيات فى تكسيرهم وسوء تقلباتهم
فى تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع
من غيره و بعضهم يبالغ فى اسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم
رائحته منه و يجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواشى من فضة ملوية
يضعها على جبهته ولهم فى استجلاب الفتن مثل هذه امور يطول ذكرها
(ثم) العجب من هذا المسكين الذى عمل السماع لهم وجمعهم له كيف طابت
خاطره او يسكن باطنه برؤية اهله لما ذكر ان ذلك كله فتنة عظيمة قل
من يسلم عند سماعه او رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون اين غيرة الاسلام اين
محتد الرجال السادة الكرام اين الهمم العالية المغيبة عن الحرام اين
اتباع السلف الاعلام (ويتحصل) مما تقدم ذكره ان كل من حضر السماع من
الرجال والشبان ومن اطلع عليهم من النساء او بعضهم افتتن وقل ان يرضى
بما عنده من الحلال فالنفس متشوقة بعدهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من
يصل الى غرضه الخسيس وهى البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك
لقلة ذات يده او غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما فى قصده ولو وقف
الامر على ما ذكر لهونت امرهم التوبة والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن
البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك و يعتقدون انه القربة الى الله
عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو اعظم فى الفتنة لانهم يعتقدون
انهم فى اكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعدى) هذه المفاسد الى
ان يخلوها لمن بعدهم امر فى الشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن
الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنه اكثر من ان تحصر وهذا مع
ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لاحدهم تصدق بمثل
ما تعطيه على المضطرين المحتاجين سرا لشح بذلك وبخل وما ذلك الا لوجوه
(الوجه الاول) خبث الكسب غالبا لان المال الذى يتحصل من وجه
خبيث لا يخرج الا فى وجه خبيث فلهذا لذلك جرت الحكمة (الثانى) ايثار
الشهوات والملذوذات (الثالث) الرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء
والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة العلو فى الظهور

على الاقران (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشدّ يده عليها وترك كل ما أحدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته وأهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولى ذلك والقادر عليه بمحمد وآله

(فصل) وقد تقدّم فى أوّل الكتاب ان تصرف المكلف لم يبق الا فى قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا فى حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملاذها وذاتها خاف غاوره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدّى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون خرقة الخرقة التى ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم وفى حق الفقير أولى وأحرى اذ انه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها ووقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا أعنى انه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثرهم (ألا ترى) انهم قد قالوا اذا رأيت الامير على باب الفقير فنعم الفقير لانه ما جاء الا لنسبة حصلت فى الفقير من أجل ما يتعاطونه من أمور الدنيا ولأجل ذلك جاء الامير لحصول الجنسية أو كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر بما أوجب ذلك فى حقه (حتى) لقد حكى عن

معصوم انه كان لا يتركه حاضر في الدنيا ثم حصل له في بعض الايام المعاتب اليوا واذا هذا ذي يدق الباب فدخل اليه وجلس تحدث معه في الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذي مر به وتاب الى الله تعالى وأطاع عنه واذا بالجندي قد قام وخرج من عنده (وهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قد قل بعدهم من يتمسك بطريقتهم أسأل الله أن لا يحاسبنا على شيء من حالهم (ومع هذا) ولا شك الاجتماع بهم أعني اذا جاء والى الفقير والى المسكين فقد وردت السنة بحسن السياسة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين وبازل بهم ولا شك ان احتياج أبناء الدنيا للمريد وخاطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لان الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو في حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا لان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم بمن هو دونهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن يباسطهم لكي يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة أحوالهم ليسرق طباعهم بالرفق واليسر وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوعهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوي لان مجالسة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحد من هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفي الجهاد من الفضل ما فيه فيحتاج أن يغتنم ما ساق اليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يحفظ على مقامه الذي هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما في أيديهم أو الى ما يرد من عندهم القائي أو الركون الى شيء من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافي قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك الامة عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما وغيره وافتتح بالكسب بشرط يشترط فيه وهو أن تريهم ان الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم في أستقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عندهم انهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وان ذلك متعين عليهم من غير امر لهم بذلك وكذلك مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع وكذلك في السنة عليه (ومما جاء له) فالفقراء

السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لاحدهم شيء من ذلك استعمل التحيل في التخلص منه (كما حكى) عن سفيان الثوري انه لما ان تولى الخلافة من يعتقده ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقي الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك أتيته وجلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال (وقد حكى) عن بعضهم انه أظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه احمالا من الخبز فوضعها وجلس هنالك فلما ان رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل بعضه فيه ويأكل بنهمة تلقاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال لخاف أن تشغلني عن أكلي أو أن تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء (القسم الثاني) انهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ ان ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي (وقد) قال بعضهم ما أقبح أن يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك بالمريد الذي خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافي ذلك (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضي حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الارسال

القوم فكان لا يرسل لمن يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاء ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فارالها وهذا الذى درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى التى تقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينتسب الى الفقرا (وبالجملة) فمن أتى الى زيارة المريد ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا له (والثانى) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه فى الحرفة من جهة شيخه أو من جهة العالم الذى اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد تقدم ذكره (وأما) القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من أتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنها مقصرة فى حقهم اذ أنه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيه فضل لهم عن ذلك كثرة الاثنين واما ارادوه شرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ فى الادب معهم وتوقيرهم وكبرهم واحترامه والاطف اصغرهم فى ارشاده وتهذيب اخلاقه وتهيئ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحدا من هذه الطائفة الاعن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا لا يصرفون الاعن ذواق فان لم يمكنه ذلك الاشتكاف مثل أحد بين أو ما يقاربه فالترك أولى به (وقد حكى) عن بعضهم انه جاءه أصحاب فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم فى بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم ظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شأنا فيكون دعاؤه لهم ذلك يعود عليه بركته (لما ورد) ان المرء اذا دعا لاخيه فى ظاهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض السلف كل حاجة أحتاجها واريد ان ادعو بها لنفسى ادعو بها لاخى فى ظاهر الغيب لانى اذا دعوت لنفسى كان الامر محتملا هل أرض به واذا دعوت لاخى فى ظاهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد حكى) عن بعضهم انه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا أخى أما كان لك شغل بالله عن زيارتى فقال له الزائر شغلى بالله أحوجنى الى زيارتك (وقد حكى) عن

بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلتى عن حاجة أخى حتى احتاج أن يبديها الى وهذا الذى ذكره جار على جادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) يعوض عن ذلك ما هو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجميزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير التزمنتى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجميزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزورنى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كلاما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تبتدئ أبا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتدئ أخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن بابه ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة

والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (ص) ح لة النفحات ما قدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل اوضه قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا اللفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم ويرى انه مضطر ويدعو ولا يستجاب له فتقول ان هذا يقع له الجواب بلسان الحال بل هو من هذا الحكم اذانه لو حصلت له حالة الاضطرار ما ردّ وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحس ما كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة وهو مضطر الى ريح يمشى بها والى غير هاد فلعل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفى هذا السكون عدم الاضطرار فاذا جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فاذا انكسرت السفينة فلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما تحتهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لا يرى ولا حيلة يقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار اذ كما قال (ص) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وما وقع الغلط الا فى صفة التفصيل لهذه الصفة الجليلة التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند ذكر صياح الديكة حضور ثم فرقة على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى ام الساب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع

عشر

عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لا اله الا هو الحي القيوم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم ومنهم من قال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر رمضان (التاسع عشر) في السجود (وبالجملة) فالدعاء له أركان وأجنحة وأسباب واوقات فان صادف أركانه قوي وان صادف اجنحته طار في السماء وان صادف اسبابه نجح وان صادف اوقاته فاز (فمن) اركانه الاضطرار وقد تقدم (واجنحته) قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (واسبابه) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (واوقاته) الاسحار (وما) تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة التكليف (وأما) من هو في مقام الرضى او ما يقاربه فقد يكون السؤال في حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكي عن بعض السلف انه قال تجاسرت البارحة وسألت ربي المعافاة من النار وكما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله عن بعضهم انه قال كل المقامات نلت منها شيئا الا هذا الرضى فاني ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك) لو اخرج اهل جهنم اجمعين وادخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم اجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفي أي وقت يقع له ذلك وقد يكون في بعض الاحيان الرضى في حقه أولى وافضل بالنسبة الى حاله وما اختص به في وقته ذلك وقد يكون في وقت آخر الدعاء والتملق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ثم نرجع) الى ما

كان له من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك في الرفاقة
في مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن كان من هذا القسم فمن الخاصة
فإن استطاع أن يكون له مرصادا فعل إذ أن احترامه من احترام شيخه
الذي أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع إلى قانون
ولا بد للمريد أن يقوم بحقه في الغالب إذ أن حقيقة أمر الشيخ أنه وجده
في بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر
لا يقدر أحد أن يجازي عليه إلا الله تعالى

(فصل) * وينبغي له أن يكون أهم الأمور عنده وآكدها الخلوة عن
الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لأن الخلوة سبب للفتح غالبا
(وليحذر) أن يميل لما تميل إليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع
بالإخوان أول النهار أو الليل إلى وقت نومه فإن النفس مجبولة غالبا على حب
الراحة والبطالة وهي لا تجد لذلك سبيلا مع وجود الخلوة ولا تجد السبيل
إلى أن تسرقه أو تميل به عما هو بسبيله إلا بسبب الاجتماع بالإخوان غالبا
إذ بالاجتماع تجد السبيل إلى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه
من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذي ليس له دواء في الغالب إلا التوبة
والإقلاع والتحلل وكان في غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر
بها إلا من نور الله بصيرته (وقد) قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي
رحمه الله في كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه أنه قال كنت أولا أسلم
من شري الناس فصرت أحلو لا أعم وصرت أحلو لا أفهم فصرت أحلو لا أعلم
فصرت أحلو لا أفهمه (فانظر) رحمنا الله وإياك إلى هذه المقامات الجليلة
إلى أن يصل منها إليها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه
كافة ثم إذا طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع في حق
إخوانه المسلمين فإذا سلم منه لكي يسلم الناس من لسانه ويده وتعديه
وإيذائه وسعيه وحسده إلى غير ذلك مما يتوقع من خلطائهم فيحصل بسبب
ذلك في القسم الذي شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالإسلام
حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد
تقدمت الإشارة إلى ذلك كله (فلما) أن حصل هذا المقام السني ترقى بعده

إلى

الى ماهو وأسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى أعمال الآخرة ينتجهما اذان الخلوة التى هو فيها اعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق (ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ماهو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة مالما عداما ذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ماهو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ماقد علم (فلما) ان حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ماهو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ بالطاعات التى يحاولها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن) حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (ألاترى) ان بعضهم كان يأكل أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون ان يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذاك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم

سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بالقوت فالقوت المعنوي الذي
حصل له هذا الذي تقدم ذكره اغناه عن القوت الحسي وهم لم يحكموه وتركوا
القوت الحسي (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله اعلم ان الله
عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال ولهذا الرزق
الذي تكفل به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا
وتارة يكون معنويا أو كما قال ولأجل الجهل بحصول هذا القوت المعنوي
حصل لبعض من ينتمي لكثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون
أو الانتقال الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة في الخلوة فيعافى
الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدي أبا محمد
رحمه الله يقول انه قد كان دخل في مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على
اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فاردت ان أفطر ثم حصلت لي عزيمة على
ترك ذلك فلما ان شعرت نفسي بهذه العزيمة غشي عليها فرأيت في تلك الغشوة
كأن انسانا يطعمني فأكلت حتى شبعت ثم سقاني فشربت حتى رويت ثم
استيقظت وأنا شبعان ريان فقمت أتمم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط وفرغت
المدة وأنا على تلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت
على ذلك بقية العمر رأيت اني لا احتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى
الغذاء خوفا مني على ترك السنة اذ ان السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه)
الذي ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو انه لو تمادى على تلك الحال لاشتهر
امره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر
ولا تقف على حد ينتهي اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأول فوائدها وأ
عظمها وأرفعها ما يجده لله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر
النفس والانكسار بها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها
واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثوري الاعمش
رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثوري انت تريد ان تكون
اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعي عن الخشوع فقال
يا أعيمش تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع
بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس لكن الخشوع ان ترى

الشريف والدنى سواء وان تخشع لله فى كل فرض افترضه عليك اهـ
(والغالب) ان هذا قل ان يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنيه والمراتب العليه فليشد عليها المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب
(فصـــــل) وآكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقتات منها فليحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه (اما) أن يكون يعرف أصلها مثل ان يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) ان يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما ان يكون بغير واسطة والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهى كثيرة لا تنحصر (وأما) القسم الثانى وهو أن يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فههنا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر ويضر (القسم الثانى) عكسه لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذى يسر ويضر هو الفتوح الذى يأتى من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك وتضرر فى نفسه لاجل فقره فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزأه فى شئ ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك (وأما القسم الثانى) وهو عكس الاول وهو الذى لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند من له جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو أخذه منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد فى هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله فى الوقت ولو قدر على ان لا يأخذ منه شيئا لكان أولى به وأرفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغى أن تكون يدهم هى العليا (كما جاء) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا

خير من اليد السفلى وقد فسره في الحديث فقال اليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة (وقد) اختلف الناس في هذا (وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلا فيد غيرك فوق يدك فهي العليا ويدك سفلى وان كنت مسئولا فيدك هي العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك بها لحيي سبعين شيطانا فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم واعانك عمروبه بان اشتد يدته بلبسه فهذه أعيت الشياطين عليه وقد لا تسمع نفسه بعد ذلك ان يعطيها الغير لئن يحرم من هذا الخير العظيم ويجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم وبتسوامه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هي العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل لاخيك المؤمن من الثواب في الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكى ان شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له انا جائع فهل من اطعمني فقام انسان ممن له اتباع فقال عندي فاخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع لقمة وبقي بها في يده مختلة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال هل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندي فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فاكل حتى شبع ثم رجع هذا الاول الى الجنيد فاخبره بما جرى فقال له احبس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لي طعاما فاخرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا ورفعت اللقمة وأنا أتفكر أي قصر آخذه في الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى ان آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا في الدنيا فتركته وصبت وأما هذا فنيته ان لو كانت له الدنيا لغدا بزهدها وبقيت له بعديما او كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بان الآخذ من هذه الطائفة يده

هى العليا اذانه فى حقيقة الامر يعطى ما يبقى ويأخذ ما يفنى فتأمل ذلك تجده سواباو ذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر فى هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لا يخالط الناس ويقيم فى البرارى والقفار أو يكون خرق الله تعالى له العادة لا يتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذى يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثانى عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان انت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرور العدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الا من وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) انه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما امكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المتسببين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه انه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذ منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا من كان مثله أو يقاربه لا جرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليمونا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الايام لا شئ عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا لانه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل

البيت خمسة من الاولاد فانقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فزيد فانهم فجلس في المسجد حتى صلى العشاء الآخيرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا اكل كل واحد منا اكل جزرة وهم في الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ما هم فيه وبقي أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وأنواع) هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الافراد من الاولياء لانه وان صبر في نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون في الغالب وان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولاجل) هذا المعنى قال سيدي أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع واطلق غيره في ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنك محمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) في ذكر ما ابتلى به بعض من ينتسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بعمل الكيمياء واستخراج ما في الارض من الاموال المدفونة فيها وهي التي اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر مما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من تسليهم استخراج ما في الارض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لو فعله بعض العوام فهو في حق المريد أقبح وأشنع اذ انه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا يطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه في طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله في دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكونون شركاءهم في الاثم وقد تمّ فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية في ذلك كله ولو لم يكن فيه من الملام الا ان من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قاتل للآخرة اذ هما ضرتان متنافرتان فمهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم

الإمام وردمن أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم على أنفسهم منها ومن طالب شيئا مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك مذموم يذهب بجمع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى أين هذا المقصود أو كما قالوا فقسموا ذلك أثلاثا فجلس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والاعدال وما يأكلونه فلما أن مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان أولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على انه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان أولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له ان يعمل سما فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما ان أقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم أكلا ما أتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة هنالك مطروحين فلما ان رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هنالك طرحى فقال للحواريين ألم أقل لكم هذا القاتول (وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) ان من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة منه فطالب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ لو كان ملء الارض ما أغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن كيسان رحمه الله

بإسناده الى ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فمرض فقال
أحدهم إما أن تمرضوه وليس لكم في ميراثه شيء وإما أن أمرضه وليس لي
في ميراثه شيء قالوا مرضه وليس لك في ميراثه شيء قال فمرضه حتى مات ولم
يأخذ من ميراثه شيئا قال فأتي في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ
منه مائة دينار فقال في نومه أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته
فقالت امرأته خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش منها فأبى فلما
أمسى أتي في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال
أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى
فأبى أن يأخذها فأتي في الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ
منه دينارا فقال أفيه بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى
السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار فأخذهما
منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطونهما فوجد في بطن
كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة
يشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك
قال ما تصلح هذه إلا بأختها فاطلبوا أختها وإن أضعفتم قال فجاؤه فقالوا
أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال
فأعطاهم إياها بضعف ما أخذ بالأولى والله سبحانه وتعالى أعلم (فانظر)
رحمنا الله وإياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التي
عرضت عليه أولا (فالحاصل) من هذا أن البركة كامنة في امتثال السنة
حيث كانت لأن من فعل مثل هذا الاستشراف فهو بعيد وإذا عدم
الاستشراف جاءت البركة (ولأجل) هذا المعنى تجد كثيرا من أهل هذا
الزمان الغالب عليهم ضعف العيش وقلة ذات اليد إلا أنهم مع ذلك لا يسبقهم
غيرهم في أمر الآخرة وما ذاك إلا لوجود البركة الحاصلة لهم فيما يتناولونه
من أمر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب
ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول
بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدي أبا عبد الله الفاسي رحمه الله يقول إنه
كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع

وسأل

ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه مانزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابتى فبقى كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال انى كنت أجمع بين الماء والاحجار فى الاستنجاء فابتليت بانى اذا أخذت حجرا أستجمر به أجده ذهبا فأرميه وآخذ غيره فأجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك المانزل بى فبقيت أتضرع الى الله تعالى فى دفعه حتى أزاله عنى فصرت آخذ الحجر فأجده حجرا كما هو (وقد حكى لى) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور رصدا وقامعقوحامـلوءا ذهبا قال فكنت أولى وجهى عنه فلما ان كان فى بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت وجهى فردته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد (وقد حكى) عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى فى المنام كل ليلة قائلا يقول له انك بخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه انه اذا فتح له من الغد بشئ يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فأول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فأعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لى بها عندى قوت يومى فقال له اعطها فى أجرة المزين فقال له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لى بها فقال له هى خمسمائة دينار فقال له المزين اما قد قيل لك انك بخيل فوجد فى نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة فرمى بها فى الفرات (فاذا قيل) مثل هذا بخيل فما بالك بمن ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الأمر لآرائنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر من الهواجس فى أنفسنا بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول ان ماذكرتموه لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع ان ما تقدم ذكره عن الشيخ أبى عبد الله الفاسى فى هذا الزمان وقع مثله

كثيرا من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) ان من اتخذه من غاية ما تقدم ذكره أعظم من الستشرف فترتفع البركة منه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى هذه البدعة ما أكثر قبحها وشناعتها (الاترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب بغيرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله نهارا سواء كان مسجدا أو غيره من املاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا أمر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد أن يخرب مسجدا أو دار المسلم لله وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويغيرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يلقيها في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده واما بشئ أو كثرة الحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (يدلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى دل ان تخربها دارا أو كنيسة أو بيعة والكل في بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور سلطوا على نهب المسلمين في أبدانهم وحمارتهم في أموالهم فيكتبون أوراقا في دروة الحائل الفلاني من الناحية العلانية فيه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وتحت كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا فيه كذا وكذا تحفر قدر كذا وكذا تجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شئ من ذلك صحيحا ففيه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك انما هو من الامم الماضية فلم يدفنوا شيئا الا وقد أحاطوه بمهالك عظيمة فقل أن يصل احد الى ذلك الا بعطب نفسه أو عطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك في الارض فلا يخلو اما أن يكون في موات الارض من أرض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذي يوجد منه

الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثاني الندرة توجد في المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (وأما) ما يوجد في غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع أخذ عنوة والثاني أن يكون أخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولاد أولادهم وذلك موجود في الغالب اذ أن اولاد الصحابة موجودون بين اظهرنا في هذا الزمان وان كانت صلحا فما يوجد في ذلك الموضع فهو لاهل الصلح فان عدموا فلأولادهم ثم لأولاد أولادهم وهم ايضا موجودون وهلم جرا وللمسئلة فروع موجودة في كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا ان واجده ليس له فيه شئ الا التعب واشغال ذمته بشئ كانت عنه في غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وماشاكله اذ أن غنيمة المسلم انما هي براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى في اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم اذ أنهم مختلفون في فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده انها ستتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم انها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام سحت (ومنهم) من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز أيضا لان الذهب المعدني والفضة المعدنية ينفعان لامراض ولهما خاصية في الادوية وغيرهما مما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا أو يموت بسببه لانه لابد أن يكون في غير المعدني عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين انها من عمل يده وليست معدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ في هذا الزمان

المعنى كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الإيمان سوق يباع فيه لما ساوى إيمان أحدكم كبيرة فيسئل عن ذلك فيقول كل ولد لما يتوكل على الله تعالى أن يصه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب إيمانه ويقول وفضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الإيمان الذي أعده لخلاصه من تلك الأهوال ما دام له التوكل على الله تعالى في كسرات يقيم بها صلبه ويقول لا بد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص إيمانه في هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الأهوال وفضل الله أعظم ورحمته أوسع في هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى نبتلي عباده لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبإرادته ما قسم الأحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لا تضره سادلته ذلك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

(فصل في دخول المريد الخلوة) وينبغي للمريد أن لا يدخل الخلوة بنفسه لأن الخطر في ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل شاق أو غير ذلك من المهالك لأن الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام في وصيته لولده يا بني عليك بذوي التجارب اه لأن من جرب قد دخل في المخاصة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يجب منها وما يحذر وما ينبغي أن يعمل وما يستعان به

(فصل) وآكد ما عليه في خلوته الالتجاء الى ربه والسكون اليه وانقطاع رجائه عمن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للإمام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني رحمه الله ولقد قال شقيق البلخي رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) ابن الأعرابي انك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم أربابا من دون الله (وقال) اذا أردت أن تكون في راحة فكل

ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دار حول الشهوات فانه يدور بدرجاته فى الجنة لما كانها فى الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ الرازى العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع (وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق (وقال) أبو حفص عمر النيسابورى لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل يا أبا حفص هل لهذا فى القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندى كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبى رحمه الله الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك (وقال) الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالى من أكلها من أحمر وأسود (وقال) شقيق بن أدهم البلخى رحمه الله تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد فى الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية فى عمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا زلات السلف دينا ومناقب

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والجنة
راغبة اه (وينبغي) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن في
العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا)
كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون عنده
من المكاشفات وخرق العادات ما يغذي به المريد في خلوته فان كان كذلك
فهو الكبريت الاحمر الذي لا يوقف على نظيره والسلامة بل الغنيمة موجودة
على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقد ربما يحمل من المجاهدات وقدر
ما يشق عليه منها وقد ربما يخاف عليه ومن سعادة المريدين وجدان من هذه
صفته (واما) أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق
العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع
على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة
العادات (والحذر) الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب
(واعني) بدخول الخلوة ما يستعمله المريد من المجاهدات واما لو خلا
بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج فيها الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه
مطالب به في الخلاء والملا لا فرق اذ ذاك في حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم
في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لاجل حال الزمان فما أسعده
ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضي الله عنهم
أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (ألا ترى) ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يرى أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الاسواق يتجرون
وفي الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المريدين بعد
انقراضهم رضي الله عنهم (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة وسيدي أبو
محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للنساء الابكار اه
(وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الغش والعلائق فاحتاج المريدون
اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم
السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل
الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها
والا يأنس الى ما يطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن

كون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم أن الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (وأخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدّن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الازانه وما كان الخرق فى شئ الاشانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الامر بندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكروا وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يعمل ذلك تحير فى طريقه وحير من لاذبه هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم رحمه الله مولاك باسك الديار ايمة والجنة راعيه اه (وينبغي) ان يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن في العلمين علم الحال وعلم السنة ان امكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا) كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من احد امرين (اما) ان يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يغذيه المريد في خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذي لا يوجد في عصرنا هذا لان ذلك العلم موجودة على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفته (واما) ان يكون الشيخ ليس من اهل المكاشفات ولا ظهور خرق العادات فلا بد ان يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة العادات (والحذر) الحذر ان يدخل بنفسه فيقع في مواضع العطب (واعني) بدخول الخلوة ما يستعمله المريد من المجاهدات واما الخلوة بنفسه دون مجاهدة ولا يحتاج فيها الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطالب به في الخلاء والملا لا فرق اذ ذاك في حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لاجل حال الزمان فما اسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين اعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (الا ترى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يربي اصحابه تحت ظلال السيوف وفي الاسواق يتجرون وفي الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المريدين بعد انقراضهم رضي الله عنهم (وكان) سيدي ابو محمد بن ابي جمرة وسيدي ابو محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للبنات الابكار اه (وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمظالم فاحتاج المريدون اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) ان لا يدخل الخلوة المعهودة عند الناس الحكمين الا بعد المعرفة بصالحها ومفاسدها والدسائس التي تطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ ان

يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (وأخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جانبه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا حكم به نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يعمل ذلك تحير فى طريقه وحير من لاذ به هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل

على أن يصل إلى ما وصل إليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر إلى من
هو أصلح منه فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة
حتى يلحق بمن نظر إليه (وهذا) المعنى الذي أشار الشيخ إليه قال
عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا
صابرا أن ينظر في الدين إلى من هو أعلى منه فيقتدي به وأن ينظر في الدنيا إلى من
هو أقل منه فيحمد الله الذي فضله عليه هذا هو البر والرحمة اللائقة من
عليه بذلك ولا تحصل خلاصة الكلام بمجرد آله (وأما قوله) ونظر الأعلى
للأدنى من غير الأعلى يوجب التعب له ولأتباعه (مثاله) من كان من أهل
الفضل والخير وأقامه الله في مقام من مقامات أهل النهايات إذا جاءه أحد
ممن يريد أن يرجع إلى الله ويتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذي
هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج فهذا هو التعب مع نفسه
لا شك فيه لأنه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على
ذلك ومن معه في التعب أكثر لأنهم يدعون إلى مقام لا طاقة لهم به
ولا يقدرون عليه (ولأجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السنة والخير
اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لاذ بهم وقصدهم إلا في
الاقتداء وأما البركة فلا بد من حصولها عملا بالحديث الوارد هم القوم
لا يشقى بهم جليسهم نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم آمين (وأما) قوله
ونظر الأعلى للأدنى من جنسه يوجب الراحة له ولأتباعه (مثاله) الرجل
الصالح المتمكن في طريقه إذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه
باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد
فيطالبه من جنسه على لسان العلم بما يصلحه وما هو أهون له على ما أراد
ثم يرقيه بعد ذلك شيئا فشيئا حتى قد يبلغ في أقل زمان إلى المرتبة العليا
بحسن تدبير هذا السيد وسياسته إياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم
ممن تقدم وأنفعهم وهو الجاري على السنة لأن الله عز وجل لم ينزل الفروض
أولا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولا وإنما أمر أولا بالتوحيد لا غير وأمر نبيه
محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس والتلطف بهم فقال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما أن ظهر المشركون على المؤمنين أمر

وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما ان كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئا فشيئا فلما ان تقرر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فلما ان تقوى الامر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما أن تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا في حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم وخاطبهم أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذي أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيرا مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد) قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل في التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول (ولاجل) هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام في السوداء حين سألها أين الله فقالت في السماء فقال لصاحبها اعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفي ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام هي الألهة في الارض فاله السماء واله الارض هو الله الواحد الاحد الموجود لا أنه سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صنعته ومعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه السلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال له عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لاجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) * وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو
بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحدهم فينبغي له أن ينظر الى حاله بعد
انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة
أو خشوع فالتشديد عليه وان كان غير ذلك ولا حاجة تدعو الى العودة اذا
خطاه تمشي لغير فائدة (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله بعينه كان يقول
لا ينبغي للمريد أن تردد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل
نحلة السانية لا تزال تمشي طول نهارها وهي لم تبرح من موضعها ذلك (ولا
ينبغي) أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شيء اذ أن ذلك محتمل لوجهين الأول
أن يكون المرور من الأكابر والعصاة لكن أصحابه مغلوبون مغرورون
غيره مقصور عليهم لا يعدلهم فاذا لم يعد المريد بزيادة عند زيارته فيعلم أنه
ليس له عنده نصيب فتركه ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصورا على
نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يحتمل فيه بين أن يكون المريد من أهل
الغير لما تقدم ذكره فان كان كذلك فحكمه ما سبق وان لم يكن في تلك
الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعي
من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك
بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما
تقدم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط
والعاقل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا
أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارادته على شخص واحد يعول
عليه في أموره ويحذر من تضييع أوقاته لغير فائدة (قال) سيدي أبو مدين رحمه
الله عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك انه لان الفكر فيما
مضى هو من باب تذكر الاطلال كما تقدم والفكر فيما يأتي اذ غاب من الغيوب
تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات
الغيبيات فما أولى كثرة

(فصل) * وينبغي للمريد أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى
عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن
شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) أن المريد يصبح

عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ماقدّر له ثم يجلس بعد ذلك فى مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقده فيتكلم معه فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح له فى شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الاشياء بالشكر زادت أو تمادت وان رأى وهو الغالب أنه فى نفسه لاشئ وانه لم يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم انّ عذابى لشديد والكفر عام الاترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء انهن أكثر أهل النار قيل بم يارسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكر كما تقدّم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده (ولا) يظنّ ظانّ أن قول من قال ان الصدّيقين لا يكونون فى يومهم على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون فى اليوم الثانى ترقيا ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أوقالت لا ازداد فيه علما لابورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثانى فلابدّ له فيه من أداء الفرائض وتوابعها ومايتلقاه من الامر والنهى والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته فى يومه وذلك ترق لاشك فيه (الاترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى أخرجه مالك رحمه الله فى موطا ئه ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوما فأثنى الصحابة على الاوّل فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثانى فقالوا لابأس به فقال عليه الصلاة والسلام ومايدريكم مابلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام ومايدريكم مابلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ ان الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المريد وامتثل ما كلفه فهو زيادة فى حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة على ماتقدّم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل

له والحمد لله فلا بد أن يشكر هذه النعم ترك النظر إلى من من عليه بها
وأحسن إليه بها

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فإما أن
يعرف ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها إذ أن الخواطر والهواجس
والهواتف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وشبهها فاستشكل
عليه أكثر ما يقع منها ويلتبس الأمر عليه فإن وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن
يخلص ويذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لأن المبتدئ إذا لم يقدر على
المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تنحصر فإذا كان ميز الخواطر
وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) أربعة رباني وملكي
ونفساني وشيطاني (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يقول الرباني أولها
وهو مثل لمعة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلي مع السابق فما
ذاك إلا وقد استقر هذا في محله وحدث وسول وشهوى ولأجل هذا المعنى وقع
الخلف عند بعض من ينسب إلى شيء من هذا المعنى وما ذاك إلا بسرعة ما تقدم
ذكره فيخبرون بأشياء قل أن تقع في العالم وإن وقعت فما صادفوه لأن
ذلك من جهة أفكارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الأول فقل أن يخبروا
بشيء إلا وقع كما أخبر والله لأن ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال
تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر)
ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن
التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد له أن
يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه وإلا تركه لأن التكليف لا يقع إلا من
جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه إلا على سبيل التتبع
والتأنيس (وأما) الخاطر الملكي فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خيرة إذا كان
سالما من الوصول إلى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فإن كان
كذلك فليس من الملكي في شيء (وأما) الخاطر الرابع وهو أردأها فهو
الخاطر الشيطاني فهو لا يأمر بخير أصلا إلا أن يكون ذلك الخير يؤدي إلى الشر
ويقع الفرق بين الخاطر النفساني والشيطاني بأن الشيطان لا يريد إلا
الوقوع في المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فإن عجز عن هذه المعصية

تركها

تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هي كائنة ما كانت (والخاطر النفساني) هو الذى يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لابد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا انت ما ألقيه اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها اولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لاشك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق

(فصل) جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلابد له من الخلوات اذ انه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (الاترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم ان يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيئان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا احبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) أيضا قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك متشدد فقال مالى لا أتشدد وقد رصدنى أربعة عشر عدوا أما الاربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال ثقتى بالله

ورأيتني عيانًا في أيدي الناس (وقال) ما رأيت يقينًا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء عن عاه (وقال) ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسانه منه لموضع قدمه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفًا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اه (وقال) نفعهم إن لم يكن في الهدى خمس خصال وإلا فلا ترجه عمل حسن واتباع السنة وصحبة الأكابر ومن أبى بأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن) كتاب سير السلف أيضًا وقد قال أبو سفيان إذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيئًا (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضي ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش أفضل منهم يقينًا (وقال) من عرف الله لا يسر إلا به (وقال) لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله (وقال) من نظر إلى ولي من أولياء الله بقلبه وأكرمه أكرمه الله على رؤس الأشهاد (وقال) ذو النون المصري رحمه الله من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه (وقال) من نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا هلكوا (وقال) ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم أوصني فقال أقل ما في هذا الأمر بذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية اه (وقد) قيل إن لقمان عليه السلام كان عبدًا أسود نوبيًا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنيني (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للإمام أبي الوليد الباجي رحمه الله قال وروي عن أبي الدرداء أنه قال لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما ينتقى أطايب التمر (وروي) عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد

نفسك

نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على خدي أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكي فقال له ما هذا يا بني فقال أخبرني ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يا بني (وقال) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الي من أن أتصدق بألف دينار (وقال) ابراهيم بن ادهم ان للذنوب ضعفا في القوة وظلمة في القلب وان للحسنات قوة في البدن ونورا في القلب (وقيل) لسفيان الثوري رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فطلت فيه * كأني ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقي) حكيم حكيما فقال له اني لأحبك في الله فقال لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا (وقيل)

لمحمد بن كعب كيف أصبحت يا أبا حمزة فقال أصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب
يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنا ونتمقت إليه ونحن إليه فقراء (وقد) قيل
لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين معيشتك فقال نرقع دنيانا بتمزيق
ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع (وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف
أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي اهـ كلام
الناجي رحمه الله (ومن كتاب) سراج الملوك أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله
سمعت منصور بن عمار يقول لما خلق الله آدم قال إني جاعل لبصرك طبقا فإذا عرض
لك أمر لا يحل لك أن تنظر إليه فأطبقه وإني جاعل للسانك طبقا فإذا عرض
لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فأطبقه وإني جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه
على ما لا يحل لك اهـ (وقد) قال بعضهم الأصحاب ثلاثة صاحبك
وصاحب صاحبك وعدو عدوك والأعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك
وصاحب عدوك (ومن) كتاب الناجي أيضا رحمه الله وروي عن
بعض العلماء أنه قال إنما يدخل الله الجنة من يرجوها وإنما يجنب الله
النار من يخشاها وإنما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يا بني
خف الله خوفا لا تأمن فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه
فقال يا أبتاه وكيف وإنما لي قلب واحد فقال يا بني إن المؤمن لو شق قلبه
لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل أحدهما على صاحبه (وقال) عبد
الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف
يطمئن إلى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني
لا شك في الموت فإنك كما تنام كذلك تموت ولا شك في البعث فإنك كما تستيقظ
كذلك تبعث يا بني إن الإنسان أثلاثة ثلث لله وثلث لنفسه وثلث للدود
والتراب فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان
أو شرا وأما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثوري ما أمن
أحد على دينه إلا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الإيمان
عند الموت (وقال) إبليس لعنه الله إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلب
غيرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه (وقال) ابن القاسم قال
مالك بلغني أن عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه إنك تمشي على الماء

وقال

فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان في بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا انى وقع فى نفسى انى مثلك (وروى) عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بى الشيطان أنفا حتى رأيت ان لى فضلا على من خلفى لا أؤم أبدا (ويروى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا ينقطع منتهاه (وقال) الاصمعى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغنى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اه كلام الباجى رحمه الله (ويروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد وقد أنشد بعضهم

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل وان تدعو له الملائكة ويحشر فى زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخادمه يا أبا عبد الله ان معى فى قميصى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لاذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت ان داخل قميصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن امى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى

وحدي وادخل قبري وحدي وياتيني منكر ونكير ويسألاني وحدي فان صرت الى خير كنت وحدي وان صرت الى شر كنت وحدي ثم اقف بين يدي الله تعالى وحدي فان بعثت الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي فمالي وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشي ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا ابا عبد الله اصل الاسلام في هذه الفرائض وهذه الفرائض في حرمين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغي ان يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغي ان ينتهي عنه اه

(فصل) وينبغي للمريد أن يتعهد حاله في الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وسماع فوائدهم مع الضبط عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في كتاب آداب الصحبة الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار ان يختلج فيها ما لا يرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه وما يعرض من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته في دقيق وجليل وما يجري مجراه (والصحبة) مع أصحابه وأهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي (والصحبة) مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد آذني بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا ان يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فاذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له ظاهرا الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه والنصيحة له في جميع أموره والصلاة والجهاد معه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم (والصحبة) مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما والعجز وعندهما والدعاء لهما في كل الاوقات ماداما في الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ابر البر ان يصل الرجل أهل ود أبيه وعن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شئ ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم مالم تكن اثما أو معصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام وورثته فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والسكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث اكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

*من دعانا فأبينا * فله الفضل علينا * فاذا نحن أتينا * رجع الفضل الينا*

(فصل في آداب صحبة الاعضاء) اعلم ان لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى اخيه نظر مودة ومحبة يعرفها

بوصله ومن حضر الناس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لا يصرف نظره عنه وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشتهٍ لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كانت لا يصرف بصرك عنه ولا يقطع حديثه بشئ من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته وبه واظهرت له عذرك (وآداب اللسان) ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم ان اخاك يكرهه من حديث او لفظ او غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهمه بل تكلمه بمقدار فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) ان يماشي اخوانه بلاتقدم عليهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما علم من رغبتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه متوكلا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة اعنى آداب الظواهر هي عنوان على آداب السرائر (الاترى) الى ما روى في الاثر عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فرعاية الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب والجمع بينهما هو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما (وصية) اخلاص الباطن الصدق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم واداء ما تقدم ذكره وفي الرجاء ان يكون من الموفقين

(فصل) قال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله الاخوان اربعة اخ كالدواء واخ كالغذاء واخ كالداء واخ كالدلي (فالاول) معدوم (والثاني) معدود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (اما الاول

الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجالس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا أولا فهم دواء للخلائق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى الله تعالى المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك عندك مثل أبيك وهو أعلاهم (والثانى) أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذ ذاك اه أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما أخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك فهو حال المريد مع شيخه اذ أنه ليس للولد مع أبيه حديث فى شئ لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضى شيخه واذنه (وأما) الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ دينارا أو درهما أو ثوبا أو غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا أخاه مثله وان أكل طعاما أطعم أخاه منه أو مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى أن يكون عندك مثل عبدك أعنى ان العبد يجب عليك أن تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه اذ أنه لا يشبع المكلف وعبده جائع ولا يلبس

وبعده عن بابه الى غير ذلك (وقد) خرج البخاري من حديث سعد المعرور
ابن سويد قال رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه
عن ذلك فقال اني ساببت رجلا فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي
النبي صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم خولكم جعلهم الله
تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس
ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم اه (فان)
تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فدنى أو ينبغي له أن لا يدعي الاخوة
لعجزه عن القيام بحقها اذ انه قد يشبع وأخوه جائع وقد يلبس وأخوه
عريان فيوجب على نفسه حالة لم يكن عليه فيعمر الذمة بالحقوق لغير
ضرورة شرعية (وهذا المعنى) قد كثر في هذا الزمان فاذا أخذ الطالب بأحد
من الفقراء طالبه بالاخوة فان أخاهم اساءه وجب عليهم حقوق
كثيرة ثم انهم يهجرون بعد الاخوة معه ولا يرجعون اليه فالساعة بعد ذلك
ولا يدرون كيف حاله أبات جائعا أم لا أو هو عريان أم لا (وقد) يكون منهم
من يتفقده لكن بالرؤية والسؤال ليس الا دون اعانة ومشاركة فيعلوا
ذمتهم شيء كانوا في غنى عن ترتبه فيها (الاترى) ان العبد اذا لم يقدر السيد
على نفقته وكسوته أمره الشرع ببيعه فالبيع في حق العبد مقابله في حق
الاخ فانك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت أخاك منزلة بيع العبد عند
العجز كما تقدم (يشهد) لذلك ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
آخى بين المهاجرين والانصار كان الانصاري يقول لاخيه من المهاجرين
عندي من المال كذا وكذا فلك نصفه ولي نصفه ولي من الزوجات كذا
وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكان المهاجري يسأل عن السوق
وعن الحطاب يعمل فيها فهذا أصل مقرر في الشريعة المطهرة (وقد حكي)
ان بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه في الموضع الفلاني وكان ذلك الموضع
لا يدخل له أحد الا للمجالسة فأتوه فقال أخي يقع وأما المجالسة فرجع الى
بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأجنبية عند أخوه الى بيته
واخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاء مستغفرا آتيا الى بيته فسأل عنه
فقيل له انه دخل الخلوة فقال أخبروه بأني قد تبت الى الله تعالى

وجدت اليه فاخرج اليه الابعد أن تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قدغرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعها اذأن من ادّعى ماليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلاشك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أوعاشرتهم بملابسة ما تجد من كثير منهم الاذية البالغة اما في دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذي لاشك فيه فان أنت خالطته وجدت ماذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلاشك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (الاترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شئ مّا قابلك بانزعاج وشاق سيئ وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت في الناس الا أنا حتى تأمرني وتنهاني أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردّها سيآت وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هي الدفلى اذا تناولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاولين فيا سعادته ان ظفر بأحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذأن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان

(فصل) من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودّد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة نسبه له العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظنّ بهم فسببه له طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسببه الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسببه التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسببه التخلق بأخلاق

الشاكرين (واذا) تمامى الشرح له فسبيله تطهير القلب من دنس هواجس النفوس فى حق اخوانه المسلمين (واذا) قام هم بالوفاء فسبيله الدمن صفة الحل والتسمية بأهل الفضل والاتقين بالخلف وايجدر من أن يطالب الخلف الفانى اذا أن كل ماجاء من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا) قام هم بربع الاذى عنهم جملة فسد له عدم الفراغ والاشتغال بوظائف التكاليف (واذا) قام هم برؤية الحسن منهم فى كل شئ والتعامى عن القبيح فى كل شئ فسبيله العبرة فى مشاهدة المحاسن والاستعمال عن القبائح بعيون النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن (واذا) تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق ويكون ذلك منه دون فاقة واعانة له لاعتقاد الاثرة لهم عليه (واذا) أظهر ذلك لهم فى بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لايرى لنفسه شيأ حسنا ما فسبيله العلم بأنه لافاعل للأشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لايريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخالق فى حرب العدم فانهم لايملكون لهم شيئا (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه فسبيله ترك الفراغ وهو أنه لايمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له اسباب ذلك الربح أو خير رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وحدثهم وأماط الاذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاخلاط بهم والتلطف فى نفع من رل منهم فسبيله طالب حط الاوزار والظفر بجمة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الفرض لطالب أدائه كما وجب فسبيله طالب التقرب الى الله عز وجل (واذا) أحسن لكل مخلوق بصور الاحسان اليه فسبيله طالب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم باحتقارها لها وطالب الرقى عن الارضيات (واذا) قلل الطعام بحيث لايدخل عليه بضرر فسبيله التحقق بالعبادة والتهيؤ لفهم عن الله تعالى

والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا) ترك التنعم بلاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك الهمز والاحتقار بالخلق فسبيله طلب التبرى من صفة الجاهلين (واذا) ترك الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا (واذا) ترك الحزن على مافات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذاجمع همومه عليه فسبيله الفرار من تفرقة القلب فى شعاب الغفلة (واذا) فوّض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع جلال الربوبية (واذا) توكل على الله ثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت بالتكاليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها فسبيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفى والجلى كالخبز لا يشبع والماء لا يروى والثوب لا يدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك التملق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله تعالى فى حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن الخلق بباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسبيله سدباب الانس بالمخلوق (واذا) ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسبيله سدباب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسدباب الشركله فى نفس أداء المفروضات اذهى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فمت فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) أردت أن تعرف منزلة قربك عنده فلازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة

الحق والحلال الروبية (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين دون الحاجة أو جاءت بيده مطالب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية (ومن) آكد ما يحتاج اليه المريد في ذلك ان لا يزال نفسه في صورة مرشد ولا مؤمن ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل سبب طلبه العلم اه (ومن) كتاب سير السالك قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال أيضا) الصابر أمن مال صبره مناس اه (ومن كلام) يحيى بن معاذ رحمه الله يا هذا لا تحرك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق اوان تشكو حالك في دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بالا يعنيك أو تجيب الى أمر لا تتحقق رشده ولا تأمن ضرره يا هذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك في كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فتب اليه وانظر الى الخلق هياكل مصرفة واستار مسخرة ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحته الشريعة وحسبك من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكرك واجب وسواه مجاز كان فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالاولاد ينبغي ان لا يهمه شأنهم ولينظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان ما كتب لهم ان يعيشوا وما كتب عليهم ان يموتوا فان وجوده وعدمه في حقهم سيان اذ انه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا اولياء فان يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له في دفع الضرر عنهم وليقل قد استودعتهم من لا تضيع لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليطب عولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد بعد الاجتماع بالناس ومخالطتهم بالادنية والجاه فيهم فيتعين عليه ان ينظر في أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش حسابا نفسه في الذي قبل فيه فقد يكون حقا فان وجده في نفسه علم ادراك

ان

ان من قال فيه ما قال اتاه ونذيرجاءه من عند ربه ليتوب أو يتوقع به الشكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل لمن قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان عمثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من راى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ولاشك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) ان يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية منه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب عين بن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكرا الصورة خنثى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرنى مخبر أن تسعة أعشار العافية فى الخمول والغنى من الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حيلة حسنة فى الخلاص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها واخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذ أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق اللجأ الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال افتكر فى الموت تهن عليك المصائب (وقال) ما رأيت أفقه من النفس يعنى فى شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية (وقال) ليس الا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعو الى شر كثير وفى الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون

توبة مرقعا وبه باليا ومسكنه حقيرا في ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شيء قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) أطمع في رحمة الله عز وجل على أي حال كنت من التقصير ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد وإياك واليأس من مولاك فإنه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الأماني فإنها اغترار به واعلم أن الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وأن المؤمن لو علم كنه عقاب الله لما تنعم والسلام (وقال) اذا كان الماضي لا يرجع والقدر لا يتبدل فالراح الهم سعادة معجلة (وقال) خمس يؤلمك عملها في الدنيا وهي في الآخرة أشد ايلاما الا أن يتداركك الله عز وجل فاستعمل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وإفشاء سرك اليهم والشكوى حالك الى الخلق (وقال) لقد رأيت ما أراه من كد الخلق للدنيا وتصرفهم عليها في أعمارهم ولقد رأيت ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط حرصهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة نفروا منك وان سكت عنهم أنموك وان نازعتهم في دين أو دنيا أهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم (وقال) رجلان أكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما الا أن يتولاهما الله طالبا طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثر هواه وأمنيته عاش دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي سعى اليها ومن تباعد عن الرتب التي يحكمه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين وتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم الفضل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا الأصدق قول من قال مكالمة الجاهل تعمي للعقل (وقال) الراحة في الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غني عاقل أو أحمق مغرور (وقال) يا هذا ان كان الهرب من الناس مرة فالهرب منك العامرة فقد بان لك بالتجربة المصيبة والدلائل البينة أن مكالمة الناس عبادة والصمت عنهم سلامة ثم لا يصرفك ذلك عن الصدر معهم والخوض في أحاديثهم وكأنهم مقهورون لطباعهم سامعون من حالهم

مبصرون

... مرون بعيون رؤسهم الامن رحم ربك وقليل ماهم فما يصغي اليك معهم غالبا الامتهم أو مكذبا وغير محصل فاصحبهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الاجوابا بما لا ادرك فيه عليك في دين أودنيا فان أنت صبرت على اذاهم كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب في العاجل وندامة في الآجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثير بالاول بأسوأ من الاغترار بالثاني فالرأى ان يعدا جميعا في حزب العدم حتى لا تأثير للاضطرار اليهم ولا للجفا مع امتثال الامر والنهي فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذي يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والصبر في طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليقة (وقال) من تفكر فيمن سلف ونظر في المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك في كلامه فائدة (وقال) من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لا فاعل للموجودات الاهو اقتصر في كل مارام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وافد عليها عمل لها (وقال) الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الاعيش الدنيا أوعيش الآخرة ولن يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس (والثاني) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر أيهما شئت والسلام (وقال) يا هذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير في صحبة غير الله (وقال) ما أحقك بالنوح على نفسك ما أولاك بالقاء التراب على

وأسك وما اعملك عملا ... اسبت عطايك * ام امت عقاب ربك بادر يامسكين واحدرسد الامر وقطع الاسباب * واستبدل صحكك المراحة رحمة ولا تك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالزم في الطريق مع اهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا بحوائجاسيرا من القول لعطة او نحوها فان سئلت من اين نقل من أرض الله فان قيل لك ماشأنك فقل أبتغي فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله * فان تصاحبت لم تفترق وادا دخلت الدار فلا تصحب وما احدا صحبة توجب عليك حقا واحسم التعارف المنقطع وافتقر الى الله في حوائجك فانه لايصحبك ان شاء الله فانه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مع الوسع (وقال) حلفان لا ارضا هما الفقر الغني ومدلة الفقر فاذا عدمت فلا تكن مطرا واذا افتقرت فتبه على الدهر (وقال) رحمه الله الدنيا دار البلاء والبلاء لعط شيرك تحته انواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب وذهاب المال * واذى الناس * والاسقام * والجوع * والعطش والقمل والذباب * والعقارب * والحيات * والسباع * وفقد الوطن * والبرد * والحر والعري * والشهوات كثيرة والمطر والفرح الى غير هذا مما لا يكاد ينحصر ما وقع * ولابد كل وقوعه في محله ولا يستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لانها ليست بدارها ولا تعامل شيئا من البلاء الا بالصبر وما بين النفس عليها بي وقع منها يثر الاستعانة بالله تعالى في زيادة الصبر والامداد بالمعرفة (وقال) من تفكر في امسه وغده ضم ما في يديه من يومه (وقال) بالله المستعان والعلماء الائمة والى الصبح * والقرآن حبل العصمة * والسنة طريق السلامة والحكمة مفتاح الرشد * والهمم مثمرات العزم * والتصبر عره الصدق والطمع بيعة الصبر * والاستعانة درج الوصول * والتضرع امارة الخلاص والصبر ظنة الاجابة * والالحاح مقدمة المنة * والتواضع سلم الشرف والرضا حاق الايمان * والزهد شعار التقوى * والتوكل حرية المروءة والتعويض علم السعادة * والخوف اثر الجد * والرجاء افادة الجهد * ورحمة الخلق دليل الطهارة * واحتمال الاذى عين الفتوة * والجزاء على الاساءة بالاحسان حلى المروءة * وتلاوة القرآن باكمه ورده من الروح * ومخالفة

الهوى قتل النفس * وذكر الله رأس مال العابدين * من ترك الشهوات قرع الباب * ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب * قيام الليل بستان العارفين * الاحوال مبلغ القوم * من رأى لنفسه فضلا على شئ من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنة السلو عن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب * من هانت عليه نفسه فهى على غيره أهون * ومن صحب التسويف أداه الى الفوت ومن فاته مولاه غرق فى بحر اليأس * الدنيا سلامتها غرر * ولذاتها قذر قال الشاعر

نفير لباسها نفثات دود * وخير شرابها قئ الذباب
واشهى ماينال المرء فيها * مبال فى مبال مستطاب
ومن قرب يعود الكل تربا * بلاشك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت فى كتب بعض الحكماء ان أربعة لا ينبغى للعاقل أن يأمنها فطلبتها فى حفظى فلم أجد منها سوى واحدة وهى المرأة وان أبدت الود وأظهرت النصح (ولا) يبعد عندى أن يكون الثانى السلطان وان أبدى التقريب والمصافاة (وأن) يكون الثالث المال وان كان جما وافرا (وأن) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع بهذه الاربعة فخانته أوثق ما كان بها وأسلمته أميل ما كان اليها (وقال) الراحة كلها فى الرضا باختيار الحق لك * والتعب كله فى اختيارك لنفسك ومدافعة الايام شيمة الكرام * واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل * واطراح الأمل سعاده * وانتظار الفرج بالصبر عباده (وقال) يا هذا اذا رأيت انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد أو أشد وان قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر فى الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اما تذكر أن تعلك فى الدنيا قديما وحديثا انما جاءك من معرفة الناس

(فصل) وينبغى للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر فى الورد على ماسبق من الصلاة والصوم بل كل أفعال المريد ورد (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من اخوانه ويكون نائما هو فى ورد النوم فالنوم وماشا كله هو من جملة الاوراد التى يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا)

كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما أن وقت ورده بالليل يكون
معلوما وكذلك اجتماعه بإخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله
وخاصته يكون معلوما فكل ذلك ورد من الأوراد إذ أن أوقاته مستغرقة في
طاعة ربه عز وجل ولا يأتي إلى شيء مما أبيح له فعله أو ندب إليه إلا بنية التقرب
إلى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعني التقرب إلى الله تعالى وهذا على
جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من
حال يرد يكون سببا لترك شيء من ذلك ألا ترى أن المندوب في حق المريد مثل
الذي تعين عليه إنه إذا حصل له بكاء أو تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا
يقطعه إذ أن المقصود إنما هو حصول مثل هذه الأشياء فإذا حصلت للمريد
فقد حصل على درجة مشيدة عليها ويعز ألا يعطاها بعد ذلك إن
فقدها ولأجل هذا المعنى قال الأستاذ أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا وجدت
لذة القراءة فلا تركع ولا تسجد وإذا وجدت لذة الركوع فلا تقرأ ولا تسجد
وإذا وجدت لذة السجود فلا تقرأ ولا تركع الأمر الذي يفتح عليك فيه فالزمه
أراد بذلك إذا طلب شيئا فإذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا
يقتصر في هذا على الصلاة ليس إلا بل هو عام في كل أمر أراده ولو حصل له شيء
من هذا في الاجتماع بالإخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع
بركة الإخوان وهي متعددة بخلاف ما لو كان وحده وإن كانت الخلوة فيها
الفضيلة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالإخوان الخير المتعدي حسا
لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن يكون أوقاته وحركاته وسكناته
وأنفاسه في الخلاء والملأ مضبوطة بالاتباع في كل ذلك (وينبغي) أن يقتصر
في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواء فإن حصل له
شغل أو شيء من العوائق فلا بد من إقامتها بالنهار لأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان إذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم (وينبغي) له أن
يكون أشد الناس حرصا على عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل
الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتأكد تحصيله على ما ينبغي
(وإذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين (إما) أن يكون في بيته
وحده أو مع غيره (فإن) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة

وإن

(وان) كان مع غيره أعني من الاهل وماشابههم (فلا) يخلو اما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدى به أم لا (فان) كان كذلك فاظهاره أولى وقد تقدم انه لا يخرجه ذلك عن عمل السر معهم (ثم) الامر في ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الاهل أو الاخوان من اذا رأى شيئا من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شئ منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم في المتعلم انه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لان المريد لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعضهم انه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وماذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون انه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذى حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لا بد من اظهارها وهى أكبر الاعمال وازكاها (لما ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه لن يتقرب الى المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم الحديث بكماله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه (فيتعين) أن يحمل ما ذكره على الاوراد التى هى من أعمال القلوب وهى الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بما دل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان في حال التجلى فهو مستغرق الاوقات حتى لا يرى غير ما هو فيه لكثرة ما هو فيه من النعيم اذ التجلى ليس شئ من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ما تقدم ذكره من قول الحفظة ما ورد ان الملك اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى

السنة خرجت على هذه الرائحة [illegible] فلان هذا ودوى قلمه ما وراءه وعمل
من أعمال الباب دلت عليه الرائحة الصادرة منه بخلاف ما يحسن لبدنه
اذ القصد الى ليس من عمل البدن ولا من حاجته بل هو فيض من المولى سبحانه
وتعالى وفضل منه وإحسان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان
واوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية ان يعمل على تحصيل هذا المقام
السني لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة
الشاملة لخيرهم وعامهم الخاص منهم لا يزول ولا يحول الى ان يأتي امر
الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول
الى هذا المقام السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحاله وقوته واجتهاده لانه اذا ما
نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة
عليه وليحذر أن يكون همه الطبع لا يرى النعم الا في المأكول
والمشروب والسعة في الرزق لان هذا ليس من حال المريد في شيء بل هو
من حال ابناء الدنيا والله عز وجل من كرمه وإحسانه وفضله وامتنانه يعطي
لكل قاصد ما قصده وقد تقدم ان المريد [illegible] ما فاته من الدنيا (وقد)
كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج الى شيء من الاشياء فقلت له
اليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد
الجوع وكسوته العري فهو يجد ذلك في كل موضع حل فيه واذا كان كذلك
فلا يحتاج الى احد (والمقصود الحاصل) انهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف
ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه فلو كانوا
بالحقيقة عليه فأنعم عليهم وفتح لهم واجتباهم وتجلى لهم بصفاته
الجليلة الجمة له الحمد أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه
وعليهم وسلم انه ولي ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد
يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك في حال بدايته ثم يأخذ نفسه
بالتدريج والترقي في الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته في أنواع
العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا في الغالب وقد تقدم ذلك لكن
المريد في بداية أمره ينبغي على ما سبق من أوراد العلم وأمهاته ولا حد لها
لأنهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة ولا بد

المريد الا غلبة وقد تقدمت حكاية بعضهم فى السنة التى أخذته وهو جالس فى مصلاه حين صلى ركعتى الاشراق فحرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتهيأ الحالة النوم ولا الاذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحوالهم فى أعمالهم قل أن تنحصر (لكن) بها فقط على السنة وتشديده عليها وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم انه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم ان خوف نارك منعنى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى فى الفراش وان كان يعلم انه لا يتأتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة فى كل أحواله فهو المقصود الاعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط) اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فيشدّ على ذلك يده وليحذر أن يميل أو يغتر بما قد أحدثه بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى وقد تقدّم ان الخير كله فى الاتباع وعكسه فى الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة ومافاقوا على غيرهم الابذلك لانهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر فى كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن بقلبه اليه وان كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت اليها ويفتقر الى ربه ويعوّل عليه والمريد من أراد ربه دون كل شئ سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته لربه وايثاره على ما سواه والصوفى من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه بحضرته السنية ارتضاهم (واذا) كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم فالثوب اللطيف أقل شئ يدنسه (وقد) تقدّمت حكاية سيدى الشيخ

الجلال أبي علي بن السماط رحمه الله في دخوله المسجد حتى قدم رجله
اليسرى فمشى عليه لأن هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فإن
وقع لهم شيء ما من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فإذا وقع في وقتهم وحذروا
العقوبة من الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فعجلت لهم عقوبته
فنصروا إلى الله وابتهلوا إليه مع وجود التوبة النصوح منهم (وإذا)
كان الأمر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شيء مما يخالف
الاتباع ولو قاله من قاله (وليحذر) من البدع التي قد ربما بعض الناس
(وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء (فمنهم) من استحسنها وأنكر على من تركها
وهذه طريقة أكثر أهل المشرق (وذهب) بعضهم إلى أن من فعلها ومن
لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة
الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة والسلف الصالح من الأئمة رضي الله
عنهم أجمعين إلى التصريح بأن ذلك بدعة من فعله أو استحسنه وقال لا حرج
على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه
الله يقول من أعجب الأشياء صوفي سني يعني بذلك والله أعلم ما هو أبعد له
من العوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع إليه (فمن ذلك)
ما ذهب إليه بعضهم من أن المريد إذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو
المسمى في عرف العجم الخانقاه والرباط مأخوذ من الربط لأن ساكنه مرابط
فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى أنهم يصونون رؤية القيد في النوم ويكرهون
الغل فهذا مثله (ولهم) فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه
(لكن) لما أن كثر وقوعه والقول به والإنكار الشديد على من ترك
شيئا منه وإن اتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه
إذا قصد دخول الرباط كما تقدم شمر كمه ويبتدي في ذلك باليمين وهذا إذا
أراد دخول الرباط أو تناول شيئا طاهرا وأما إن أراد أن يدخل الخلاء فإنه
يبتدي بتشمير كمه الأيسر ويبالغون في هذه الأشياء ويسمونها آدابا (حتى)
إنه قد حكي عن بعض من يوغل في هذا الشأن أنه خدم شيخه سنين متطاولة
فلما أن كان في بعض الأيام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الأيمن قبل
الأيسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطائه على زعمهم فقال يا سيدي

إلى

الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الخاطر المجمل بخرقة
سنة واحدة كيف وقع بها هذا في أمرين عظيمين أحدهما تعب السفر
الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته والثاني اخباره شيخه بما ليس
في باطنه وطائفة الصوفية برآء من ذلك كله (ثم) اذا سافر أكثرهم يشد وسطه
بشئ ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على
كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التي
أحدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله
عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الارض حائل لا حصير ولا غيره وما ذاك
الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) أن أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الارض لم
يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم ألا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة
واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك
محمول على شدة الالم الذي يوجد في ذلك الوقت بخلاف الالم الذي تحمله البشرة
فلا يرخص فيه والخمرة هي شئ مضفور من الخوص قدر ما يضع المصلي عليه
الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول
بين وجهه وبين الارض شئ لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) أولى
الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر
لا يدخله في الغالب الا من هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة
وانما هي عوائد انتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة
لان السنة هي الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه
اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن
المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى
فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر
اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمروه
بترك السلام لاجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت
على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم
من ذكر تعليلهم لذلك فليس بالبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه

لم يمنع من ذكر الله في حال من الأحوال إلا في حال موضع الخلاء فإنه يكره
فلا بأس بذكر الله تعالى هناك عند الارتياع وما أشبهه وليس يذكرونه
والسنة عند اللقاء المؤمن لأخيه السلام لا ما يحدثونه واستقباله (م)
بأمره عند إرادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج إليه من في
الرباط من الشبان أو من غيرهم فيؤذونه بالشتم ويقلبون الإبريق عليه ويخرقون
خرقته ويكسرون الإبريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى
ينفروا من دخوله ويعللون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله
للأذى إذ أن هذه الطائفة لا نظير لمثلها وهم أشد الناس كظما للغيظ
وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لأن الوارد إذا علم أنه إذا
امتنع لذلك وتعصب لا يدخلونه الرباط فإنه يصبر لذلك على أذيتهم لأجل
ما يرجون من حاجته وإن كان سيئ الخلق فالذي أن يكون فإنه يستعمل
صفة في هذا الوقت والحالة هذه (ثم) يخرج إليه الخادم وأخذ السجادة
من كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد
يتبعه حتى إذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم
السجادة فيعرف موضعها وهذا بعيد جدا ألا ترى أن السنة في السلام عند
اللقاء إنما هو التأنيس بالبشاشة وما شاكلها من الإكرام للضيف والوافد
فعكسوا ما فعلوه وأما كسر الإبريق فلا خفاء أنه إضاعة مال وهو محرم
وكذلك خرقه فوضعوا الشتم وخرق الخرقة وإضاعة المال موضع الإكرام
والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الأمر إلى عامة الناس إذ أن هذه
الطائفة يلوذ الناس بهم لما علقه بحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين إلى
اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والإقبال على العبادة والدار الآخرة
ويرون أنهم متقون لا يخالفون ولا يبتدعون فإذا صدر منهم شيء من هذا
اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل
وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والأجداد ويلعنون
أنفسهم والوالد ابن يطرأ إليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا
(ومن) كتاب السنن لأبي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا

على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخارى) رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد فى ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبى بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبى أمرهم ولا يعتبون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا أن أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح الجمع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (ألا ترى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء (ثم). ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك بانه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه فى فرشها له اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القلب فى جهة اليسار فينبغى أن يكون فتحها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل فى شئ لان التفاؤل الشرعى انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة فى الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب أولى وأحرى (ثم) انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت

له حاجة أو لم تكن كان على وضوء أو لم يكن فيأخذ الابريق ويدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه في موضعه الذي أخذه منه ويحول بزبوزه الى جهة القبلة ويأتي وكذلك في كل موضع يضعون الابريق فيه إنما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها إنما المخاطب بها المكلفون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه شيء والتزام هذه الأشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما تركته لكم فاعفوه (وإذا) كان الأمر كذلك فلا حرج في وضع الابريق على أي صفة كانت وكذلك في بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين وما لم يرد فيه شيء فقد وسع الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فإذا فرغ منه مشى قاصدا الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا بغيره فإذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طرف السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوي كما هو ثم يقدم رجله اليمنى في وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويعيدون هذه الطية فعل السجادة حتى لا يقع ذلك غيره وهذا كله من محدثات الأمور التي ليس لها أصل في الشرع الشريف فيتعين اطراحها وترك العمل بها (ثم) يصلي ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها لأن هذا الوضوء إن كان لأجل دخول الرباط ليس إلا فلا شك أنه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للأكل والشرب أو دخول السوق فلا تؤدى به عبادة بشرط الوضوء فيها وإن توضأ لدخول الرباط ولغيره فيجري فيه الخلاف الذي بين العلماء إذا أشرك في النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه أنه لا ينبغي أن هذا الفعل كله إنما هو لأجل رؤية الناس له وأنهم لا يتركونه يدخل الرباط إلا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه في شيء من هذا كله فينبغي له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من فعل ما فعله لأجل رؤية

الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكر اقى اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذى فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من السنة فى شئ لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه واما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها (ثم) انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذى لا يخلو فى الغالب من التمشيق والتزكية وترفيع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ماهم (واحتجوا) على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر الفقراء بها بأن مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم عما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن بمشايخهم وقد أمروهم بذلك فلا عتب عليهم فى فعله بل هم فى عبادة وخير وهذا الذى قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شئ أو استحسن شيئا جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه (ولا حجة) فى كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع مادام واعلى الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ماقال اذ أنه لم يقصد الا خيرا ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع فى يده فمن وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ أنه لا يتبع أحد فى الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث الورود على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا أى فبعدا فبعدا فبعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الامر كذلك فلا ضرورة

تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتفال والمقصود أن تكون السنة واتباع
السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده ولا يعرج على غيرهما ولو قال من
قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وما
ذاك الا أن المريد يحافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى
يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم
انه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث الا ترى الى ما حكى عن بعضهم انه جاءه
مريد يزوره فقدم اليه شيئا ليأكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له
المزور من شيخك يا بنى فقال له يا سيدى الناحية التى توجهنى فقال له كل
رضى الله عنك وعن زيارتك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء
الاكل ان يكون بناحية اليمين فلما ان رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله
من شيخك ليتنبه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من
الفطنة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة
والاتباع ونفع الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية
عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع
لانقطاعه الى الله وتذلله اليه وقد تقدم ما فى تلك الثياب المذكورة من
السرف وكذلك ما فيها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لا ضرورة تدعو
اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين
مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم
(فصل) واعلم ان طريقة الصوفية لطيفة وأول شئ يدخل الخلل فى اللطيف
لاجرم أنه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك ان كل طريقة ادعاها
الانسان فحقيقته مباشرة هذا الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها
غالبا وذلك لوجهين أحدهما ان طريقتهم مبنى على الفتوة والستر والعفو
والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيئا يخالف طريقتهم
ستروا عليه وجروا على أذيال الفتوة والثانى ان كثيرا ممن يتعرض له فى هذا
الزمان أول ما يقع منه أن يقول لك حدثنى ويقوم فى حجبته كثير من الناس
فتنداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من الخطوط التى ترد وهى كثيرة
ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع وظن من لا علم

عنده

عنده بعالمهم السيء ان سكوتهم رضا منهم بشيء مما رأوه أو سمعوه ألا ترى انهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه ما يخاصون به مع حبته من هذه الغمرات وسر وابه واقبلوا عليه لا لحظ دنيوي بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطر الى من يوصله اليه (وقد ورد) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل الى شيء من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد تقدم) أن اللعين بمكيدته وشيطنته يتتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك ان يبدل مكان كل سنة ضدها (ألا ترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغي وهما اضاعة المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض وهذا محرم في حق الرجال متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب (فالحاصل) انه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من التعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح ما يغني عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

(فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة) وهذا باب متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما يقع منه لكثرته (لكن) نشير الى شيء منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) ان كثيرا من الناس يدعي الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله

وإن عنده من ذلك طرفا (وبعضهم) يزعم أنه حصل له من ذلك الأمر حاصل ومنهم من له القدرة على تصديق الحكايات والمرائي التي يختلقها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجريه ودعواه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعي رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو في اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الأمر إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع أنا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرائي في دار الفناء (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يحل هذا الإشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد أن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل أوليائي لم أروكم الدنيا هوانا بكم علي ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندي إذهبوا فاخترقوا الصفوف من سلم عليكم من أجل أو زاركم من أجل أو أطعمكم لقمة من أجلي خذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون إلى الحشر وهم يجرون أذيال الحرير فيقول أهل الحشر يا ربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم في الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة أو كما قال (وقال) سيدي أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فإذا كان المرء إذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة في كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فيذهب الإشكال والحمد لله وما هو الصواب والله المؤمل في الثواب (ومنهم) من يشير إلى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عري عنها بالاتصاف بضدها (ومنهم) من يدعي رؤية المشايخ ولقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعي صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقتهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه (ومنهم) من يدعي رؤية الخضر ثم إن بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى لقبول منه حتى اعتقد قال بعض من

ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه فى كل يوم ويقف على بابه أو د كأنه وبفتقده وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول واختمال لا أصل له ولا فرع مع ان هذا الاثر كرا اذا وقع من أهله فى محله (ومنهم) من اذا اراد أن يأتى شيئا مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف عند ذلك أنه رأى ورأى وانه خوطب فى سره والغالب انك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا قوم عليهم أحد من أهل التمويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التى يدعيها أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس الزهد فى الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه يجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرئى من الناس وذلك انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة (اللهم) الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى اظهارها (مثل) ما حكى عن بعضهم انه كان فى مركب موسوقة قمحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة المسلطين على الخلق فى وقته فسمع النواتية وهم يقولون ان هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شئ أخذنا الظالم به فالرأى ان نرمى الركاب فى البحر ونبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا القمح فى البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم ان يأتوا بالكيالين بقفائهم فقال لهم كالوا ما بقى من القمح فكالوه فوفى ما عليهم أعنى ما كان على النواتية مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما علمتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين (فما) كان مثل هذا فهو والذى يظهرونه للضرورة الشرعية مع ان لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من

وحاهاه في استعمل تلك الادوية (لكن) لو حضر أحد من أهل السنة ودخل معالاحترق صاحب البدعة والرعه له وحرج الحق سالما (وقد) وقع ذلك في حكايات تطول تتبعها ما الحكاية المذكورة في مصباح الظلام للشيخ الامام الجال لى أبي عبد الله بن النعمان رحمه الله وماجرى للسني والبدعي في دخولهما النار فخرج السني ولم يحرق واحترق البدعي جميعه اه (وقد) كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لي سيدي أبو عبد الله العامي رحمه الله والله لولا اني أخاف من سيدي الشيخ ان يطردني لاحدث الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحرق منا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعي الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا وينته في صحفه ويؤتى بها اليه فيصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل فيحل فيأتيه ويطعمه من هنالك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر في وقته فجاءه اليه فلما أن جلس عنده قال له تريد أن تطعمنا من هذه السنة التي تطعم الناس منها فقال نعم وأمر بالفطير على العادة فأخذ يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له وأين ما تدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره ووبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الحيات والأفاعي ونحوها وهذه مفسدة من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بما لا حقيقة له اذ ان مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة وهي عرفي من الناس وذلك محرم اذ لو كان صحيحا لكان أكلها الاصول الاربع مذهب كثيرا ما يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية ان يؤذنون على كل أكلة من أكلاتهم بالدبس بالمعاد ثم ان كان ذلك من ضرورة فهو من صنعة المارعات والسيماء وماشا كلها وليس من باب الكرامة في شئ (وكنت) أعهد له هذه الاشياء لاد المعرب تعمل على أبوابها وتصاحك الناس عليها في لهوهم ولعبهم ويتفرجون عليها وهم في هذه البلاد في بعض الاماكن

يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها (ومنهم) طائفة استحسنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية وأما اذا كان لضرورة مثل التداوي وغيره فجائز (ومنهم) من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور أبدانهم ويطاولون ذلك بأنه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس اللبف والاشياء التي لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا أيضا من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة في الصلاة ولا غيرها (وأشنع) من هذا كله وأقبح ما اتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين في يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب (وبعضهم) يجعل في عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون في آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من حديد كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصي حتى لا ترتكب ولا خفاء في تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له في الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصي يأتون بنقيض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضي الله عنهم لأن أوتمن على سبعين عذراء أحب الي من ان اوتمن على شاب (وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشي به في يده (وقد ورد) ان الحديد حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة (وأشد) من هذا كله ان أكثرهم يدعي أنه على الحق والصواب وان طريقته هي المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون في أشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهي عندهم كأنها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يخلو اما أن يكون وليا لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان وليا

فالولي لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أحد ما يمشي عليه لفعل حتى
لا يكون مع الناس بالسواء فكيف يباشر الاعلام على رأسه وهذا من باب
الشهرة والدعوى وأهل الايمان برآء من ذلك كله (ألا ترى) الى قول عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما أن سأله أن يعظ الناس
ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني (فكل)
من أراد الظهور والتلبس من أهل الطريق في شيء فهو عكس حالهم ولو لم
يكن فيه الا انه بدعة ممن فعله فكيف بما جر اليه هذه المفاسد التي وقعت
بسبب الاعلام اذ انهم يجتمعون رجالا ونساء فاذا أسرعوا في الذكر وا
الله تعالى جهارا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل
الاعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى
يخرجوا اليهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا ونساء واختلطوا
بهم فصاروا واجتمعوا بين رجالا ونساء شبانا وهذا فيه ما فيه من مخالفة
الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة أن المرأة لا تخرج من بيتها الا لضرورة
شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم ذكرها من
الستر والمشي مع الجدران ولا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن
لملاقاتهم خرجن منكشفات في الغالب وان تستر بعضهن فبعض تسترن ويرفعن
أصواتهن بالزغاريط ويسمع لهن ابدا الصياح وذلك كله مرقي من أشنع
وعلامهم هنا أقبح هذا وانه بدعة ممن ينتمي الى طريق أهل الدين والصلاح
وكيف ما كان يزعم انه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على
انعكاس الامور (وبعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا وهو اضاعة المال وهو
وقود الشمع نهارا بين يديه ويقصدون بذلك القربة الى الله تعالى
وهيهات فان التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال أوامره لا بالوقوع
في نواهيه فهو عكس المعنى والقلب أسأل الله العافية من ذلك كله بمنه (ثم)
مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومعاشروه فان تحضر
من ذلك انه أمر محال كثيرهم بسبب كلفه لهم أشياء من الاطعمة تليق
بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعتب على من أخطأ أم لا يضارونه وليت
هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يتسخطون لما يلحقونه في تلك

الضيافة على الرؤس من غني وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعمن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن وبعض من يعجز عن الهروب يتحن مع كبراء أهل البلد فما يوجبون عليه مما لا قدرة له به وتفاصيل احوالهم في هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وتقي برءاء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم الا ما ذكروه لكان فيه من المحرم ما فيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولأصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذى نزلوا عنده فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بدّ له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الاخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا لخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلابس بعض الرجال ويزعمون انها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكروه بل افتعال منهم وتقوّل باطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد دارت كبائر أمراء ها مما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو سبيله من المخالفة والضلال (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأي فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل الامن اقطاعه مع ان الوالى مأمور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الامر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشيء مما تقدم ذكره في أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدى بالوالى في هذا الفعل

الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيئا قبيحا وهو انهم تخارجوا في الدين وزندقوا يقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا منهم جهل وتقص للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى في كتابه العزيز ويأبى الله الا ان يتم نوره فالشريعة والحمد لله محفوظة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتي أمر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات لفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء أو سننه أو فضائله وكذلك في الغسل أو في التيمم أو في الصلاة يجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا جهل المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه في صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله في أمر وضوئه وصلاته اللذين هما قوام دينه وصلاحه فما بالك به في غيرهما (وقد تقدم) ان من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى (فاذا) كان هذا حال الشيخ في حق نفسه فكيف بمن يعطى له الاجازة فكيف ينصح غيره اذا الغالب ممن ينتمي الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكروا عليهم ما هم فيه فكيف يعلمهم أو ينبههم على ان هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها في الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التي يعطونها شبيهة بالعلم الا ترى انهم لا يعطونها في الغالب ان سألها حتى يعطى على ذلك شيئا من الدنيا بحسب حالهما ويسمون ذلك شكران الدخول في طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ويخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر أصحاب الشيخ المذكور ولا ذمن لهم يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويتعاطون كما تقدم (ثم) مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن في السن ولمن له ذوق في العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان وهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين في بعض الاحيان والا فاكثر بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التي

بايديهم هذا حالهم مع من سال الاجازة منهم (واما) من لم يسالها فهو على قسمين اما ان يكون له وجاهة او جدة او احدهما او يعلمون من حاله انه يميل الى شئ من احوالهم واما ان يكون عاريا عن الوجاهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول (فاما الاول) فيعملون عليه الحيل فى ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التى تضر بماله وحاله وماله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الظلمة الآن الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (واما) ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة لما يحصل لهم من تكاف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا امر ليس من اخلاق المسلمين فى شئ اذ ان من اخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادى امر دينهم كما تقدم فكيف بالانتماء الى المشيخة (وقد) قال اهل التحقيق من اهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه فى كفه يعنى من قوة ما ينتبه له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به (واما) الشيخ فلابد له من زيادة على ذلك وهى ان تكون قلوب اصحابه كأنها فى كفه وكذلك احوالهم فى تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيربيهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر احد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك فى بعض الاحيان ولهم فى معرفة هذا امور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة اعنى انه لا يعرف ما زاد فى حال اصحابه وما نقص فى غيبته فلا يدعى المشيخة ولا الهداية بل اخوان يجتمعون يتذاكرون فى مسائل الدين ومناقب اهل الاحوال السنية فاهل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعى احد منهم حالا او مقالا هذا حال القوم

مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق وان كانوا الى مولاهم في دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف بابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العلية والاحوال السنية لايدعون لانفسهم حالا ولا مقالا بل يقول اكثرهم الى الآن ما احسن ان اتوب حتى قال قائلهم

بطون بي خيرا وما بي من خير * ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترت عيوبي كلها عن عيونهم * والبستني ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبوني ولست انا الذي * احبوا ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم * ولا تخزني يارب في موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضي الله عنه لولده لما ان راى منه شيئا لا يعجبه يا بني اما تعرف قدرك فقال وما قدري فقال له امك اشتريتها بثلاثمائة درهم وابوك لا اكثر الله مثله في الاسلام (هذا) حالهم مع وجود الاحوال السنية منهم فانا لك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاشارات وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم) يدعي الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صوروها وجعلوا فيها عينين واعمارها ويأخذ بيده شيئا كانه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها اسيرا وخيطا كانه لجام لها ويضربها ويجري (وبعضهم) يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوي فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفي منه احد كانه امرأة من جملة نسائهم ويمسحون على ثيابه يتبركون به ويقولون هذا موله (وهذا) اشد قبحا من الاول لانه قد ضم الى وجده بعدا السؤال الى ما تسول له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم (فكيف) يدعي الولاية مع ارتكاب نهي صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث قال من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا (ولا فرق) بين من صورها او استعملها او رضي بها ومما العجب من هذا بل العجب من ناس ينتمي الى العلم ويرى ذلك فيقعد عن هذا الفعل ويصوب فعله بان يقول هذا ولي الله واغماه ويجري على نفسه وتحريت هذه الطائفة انما يكون عالما يعارضهم فيه امر ولا نهي وهذا قد عارضه النهي الصريح كما تقدم (ولو لم يكن) للجريدة صورة لاحتمل الجريدة

وغيره (هذا) ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في سائر التكاليف الشرعية وهو بظاهر الوله فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت الى الدخول في هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والاولياء محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

(فصل) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهي أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان في عهد السلف رضي الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول في الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني وما كان مراده الا ان يذكر الناس بالاحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لا مدخل لهما في ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المرأة السوار في يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس في القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر وباللسان الآخر يتكلم به فيما يختاره فلم يبق الا ان يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم العجب ممن يعد

على الصحة متيقنة ويصغر ما يقع له من الحسنات ولا يعد ما اجترحه من
السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء نفسه فيما يتصرف فيه
باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من
ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه بحق ثنائه وبلا خشية من دسائس وقعت
له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع الى الله تعالى
بالتوبة والاقلاع فأمل بركة التوبة ثم الحوبة ويصغر بذلك ما وقع له من
العمل (وهذه الطائفة) أفضل لما التحفظ من السيئات والهواجس
والخواطر بعد ذلك بأحدى كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك
السيئات أوجب من فعل الحسنات (لما) في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس (وقد) حكي عن بعضهم أنه بكى
أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافني أخ لي فقدمت له سمكا
فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جاري فغسل به يديه فلما أبكي على ذلك
التراب الذي أخذته منذ أربعين سنة (وحكي) عن آخر مثله فسئل عن ذلك
فقال ما لي طلوع برقبته فاسترحت فأنا أبكي عليه لعدم رضاء من ساقه
الله لي أو كما قال (وانظر) في هذا المعنى قبل أن تنظر فاذا كان هذا حالهم
في مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بعمل الأعمال وأي أعمال ثم يقصر
الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يتبع
بأنها حركة وهو كره واسوأ منه ان لم يكن التحريك والتدبير من القلب
فما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد في الحديث
ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك
بما ظاهره شيء ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يعدون
أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من
دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون
(وبالجملة) فعمل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغي
له أن يكون عارفا بما له وما يضره فلا يترك ما له فيه سعود صفقا ويأخذ
ما لا فيه شيء واحد هذا مع السلامة من الأوصاف المتقدم ذكرها فكيف به

مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح و يعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في أنامله (وقد ورد) ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هنالك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والأولى والأرجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله اذا قرأ في الختمة يجعلها على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التي يتلوها و يتعمد ذلك و يعلله بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكي يكثر الثواب بذلك فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لا شك في تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شئ من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا بأورعهم (ومنهم) من يأخذ العهد على أن ينتمي لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدي أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذي ينتمي اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدي غير هذا كله (ولذلك) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول طريق القوم واحدة (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعني أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا) يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه

الامر عندهما دائما عليه درج السلف الصالح رضي الله عنهم ولا سكوا ايضا
الانتماء الى المشايخ بسرها وهو ان يكون قصد المريد شيخه وغير شيخه
بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون اشارة لشيخه بسبب انه
كان وصوله الى الله تعالى على يديه ويرى له ذلك فهذا الاعتناء قد يحصل
لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له
حتى تروا انكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدي ابو محمد رحمه الله يأبى ان
يأخذ العهد على احد فسألته ما الوجه لذلك اهو بدعة قال لا ولكن
عند الله يعني به لشئ كبيره فأخاف ان احدث العهد على احد فقد
لا يوفي بما اخذ عليه من العهد فتقع له التشويش واكون السبب في ذلك
واتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم واعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب
بالاستقامة او كما قال (والحاصل) من اخذ العهد وان يأخذ الشيخ العهد
على المريد بانه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث امره وهذا هو ربقته
واصله وقد ثبت تعاريفه على هذا الاصل قبل ان تتناهى وهي الامانة التي
عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما
لنفسه جهولا بامر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير منهم وفى والحمد
لله وكثير من دخل في هذا من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقي كثير من المتقين
ينتمون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم (والاية) الاشارة قوله في الحديث
اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم
(فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد)
خرج الترمذي عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى
الصلاة فلما قضى صلاته قال اين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل انا
يا رسول الله فقال ما اعددت لها فقال يا رسول الله ما اعددت لها كبير صلاة
ولا صوم الا اني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب وانت مع من احببت فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام

كفرحوهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظان أن هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعني على نفسك بكثرة السجود (لأن) هذا طالب منه باعطائها فأرشده عليه الصلاة والسلام الى الأسباب الموصلة اليه لقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا فأرشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام اوضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل مافعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع مافيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرين (فاذا) جاء أحد لمن تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفي هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يسمي لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة من فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعي يجيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة بمنه من بلائه (ومنهم) من يتمادى اتخاذ الحروز الكثيرة

ويجعلها في عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح
بها وهذا أيسر من فعله وشوّه ظاهر وإن كان يدعي أنه فعل ذلك للبركة
والضبط من الغير ومن مردة الجن فالطريق في هذا أن يجعل ذلك عليه
من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع
لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يأخذ
سبحة كبيرة ويعلقها في عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل
والقال والكذب في أمور الغيب إظهارا منه أنه يكاشف ويخبر بوقوعها
(ومنهم) من يعوص منها أخيطا من صوف على صفات ويسمع ويتمايلون
به وذلك كله من الشهرة والشوه والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف
الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا
يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس في الجامع ينتظرون
الصلاة فإذا أقامت الصلاة وقام الناس إليها قام هو في حلقتهم فإذا ركعوا
وسجدوا بقي واقفا ينظر إليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك
حتى يفرغ الناس من صلاتهم (وأقبح) من هذا وأرذل من يعتقد من هذا
حاله ويرى أنه ممن يتبرك به وأنه من الواصلين ويتأول أنه صلى في مواضع
أخر وإنما هذا منه تغريب على نفسه حتى لا يشعر ولا يعتقد ونظائر هذا
من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة في الدين
واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التي هي عماد الدين
ورأسه وأول أركانه بعد كلمتي التوحيد إذ أن من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا
ضرورة تدعو إلى الهروب لأن من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة
المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضي الله عنهم سيما إن أنكر عليهم
ما هم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة والغالب من حال أهل هذا
الزمان المذكور فلأنهم يرجعون أنه قد ضيق عليهم وهو إنما ترك العوائد
والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة الناموس في الغالب
المذكور من الحكم عليها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا حق ما
أبقيت لي حبيبا (وقد) كان السلف رضي الله عنهم على عكس هذا الحال
من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على

غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه وأبغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لاخير فيه يظهر الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك (وأما اليوم) فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشي عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التقريب في هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا الانكاره ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه (ثم) ان المجرب لايخلو حاله من أحد أمرين اما ان يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء وأما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله (ثم) انهم يتغالون في اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشئ من المحرمات أو المكروهات أو هما معا (ثم) ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فأى شئ فعله أو قاله أو أشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهي مثل ان يقول هذا موضع لا أدخله لاجل انه مغصوب أو استعمل المسلمون فيه الغصب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بممنوع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك فلا يجوز ان يقتدى به في هذا وحاشا وكلا اذان اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول انى لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع (والقسم الثاني) هو غير المعتقد

يقول هذا بأس شديد من طيب كلامه وحاله إلى أن غيره على الباطل
وهو على الحق والطريق المستقيم (وكلامهم) هذا يرده ما ورد في الحديث
من قوله عليه الصلاة والسلام بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ
فطوبى للغرباء من أمتي قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين
يصلحون إذا فسد الناس وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من
بعدي من سنتي (وروى) أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم إذا فسق فتيانكم
وطغى نساؤكم قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم إذا
لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن قال
نعم وأشد كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا اهـ والأحاديث
في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم إن غالب حالهم أن اعتقادهم يدور بين أمرين (فمنهم) من
يكون اعتقاده شهوة فيعتقد مدة ثم ينتقل عن اعتقاده (ومنهم) من يدوم
اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما
تقدم وكذلك يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم إذ أن القطب إنما هو
واحد وهو أعز من أن يجتمع به إلا الواحد من الأفراد ومع ذلك قل من
يعرفه لأن صفته كما قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب
الأنوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان
الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء وقد سترت أحوال القطب وهو
الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما كجاهل
أبله وفطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا اهـ (ومنهم) من إذا
حصل له اعتقاد في شيخ بعينه تنقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك
شنآن بين أصحابهم ومن ينتمون إليهم حتى إنهم ليرجعون أحزابا ويهجر
بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهم لصاحبه كما تقدم (وقد) حدثني
بعض الفقراء ممن كان بمصر عن سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أنه
كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي جمرة رحمه الله فكان هذا الفقير
يقول في نفسه ما هذا الرجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال

فضت ثوبا لبسه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم في الدرس والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدي أبي محمد الارجاني رحمه الله تعالى وقلت في نفسي أمثل هذا يكون أفضل من سيدي أبي محمد الارجاني فاستعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لي ثم رجع يتكلم فيما كان بسبيله فقال في أثناء كلامه ينبغي للفقير اذا دخل على الشيوخ أن لا يفضل بين لقاء نفسه شيخا على غيره يا مسكين هذا الذي تفضله لتباسه عن فضله عليه كان جوابه ان يقول هو بركتي وهو كذا وكذا ارجو من الله تعالى ان ينفعني به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجيء أحدكم يفضل من ينظر له بسالخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى واخبرك ان فلانا عنده افضل من فلان فهذا من قلة الادب والاحترام تب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العقل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال قال فبقيت اتوب واستغفر الله لعله يسكت فما سكت الا بعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغي ان يفضل بين شيخين الا باحد امرين بان يكون أحدهما اكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر أو يكون الذي يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما لان من هو في مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه و يؤثره على غيره ممن هو في وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من رزق في شيء فليلزمه وقال في حديث آخر جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ولاشك ان الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا في بحر التلف فانقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو محبة المريد لطاعة ربه عز وجل فلما ان رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذي وجده عنده (وقد) كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه و يؤثره بالخدمة له فعذله بعض

الناس على الدوام خدمته له وهو لا يعطيه شيئا فكان جوابه أن قال عموني
بعده (وقيل) لأعرابي وقد رأوه واقفا بباب عدوه فعذلوه في ذلك فأخبر
عنا بعدم وهو أنه وبه عنده والمريد سيده وخاطره وكليته راغب في طاعة
ربه عز وجل متسبب في الوصول إليه فإذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد
أحكم الطريق وعرفها أحبه والزمه وأنس به لما يحصل عنده من الفوائد
الجميلة (فالحاصل) من هذا أنه يعطيه ما خلع الله عز وجل عليه من الخلع
السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له
شيء من الكرامات فيعرف بها منتهى حاله بعدها (ومنهم) من يعلم بواسطة
أحد من الأولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة في زاوية
خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له
أن يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار في الهواء
ودخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أي موضع أقصده فوقع له أن
يأتي إلى زيارة بعض الأكابر من المشايخ فوصل فأتى إلى باب داره فنزل
فدق الباب فخرج إليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت
شيئا تأتيني به إلا هذه الكرامة والله لا كلمتك بعد هذا أبدا فتاب من ذلك وكان
سبب احتجابه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى (ومثل) هذا ما حكي
عن بعض المريدين أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا
له هو في عافية فأرسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال
يا سيدي كنت أجيء لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو إلى
الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة
فقال له الشيخ يا بني والله ما دخلتها أبدا فهل لك أن تتفضل علي فتأخذني معك
لعلي أن أدخلها كما دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما أن كان
بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذي
يحملني في كل ليلة على ظهره إلى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر
فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد
الشيخ فقال له المريد يا سيدي أما تقوم الليلة فقال الشيخ يا بني الجنة
هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد فلما أن طلع الفجر

جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ
اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فعل الطائر يضرب بأجنحته
ويصيح حتى أراهم ان الارض تتحرك بهم فبقي المريد يقول للشيخ قم بنا الملا
يجري علينا منه شئ فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من
الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين
الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد
وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك
أو كما جرى (وحكاياتهم) في هذا المعنى قل ان تنحصر (والحاصل) منه ان
الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك
فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا
(واذا كان) ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعي حالا ولا مقاما خيفة
أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان
ابتداء (وكثير) من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق
بل بعضهم مغموس في الجهل ويدعي أنه من الشيوخ الموصلين الى الله
وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه
(ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر
مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما
ان كان في وقت البرد وقد يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة
قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من
الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم
لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل
لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعني من أصحاب الخرقة دون
غيرهم (ويزيد) بعضهم حل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه
(وبعضهم) يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه
بالجماجم والجريد وغيرها وهذا قبيح وشناعة أن تنسب هذا لمن يدعي
الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ انها مبنية على الصفح والتجاوز
والاغضاء ما لم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكفي فيه الهجران لا غير

الجماجم
وهو ال
معرب

وبه ينقطع المعانى والحى عليه وهو يرد ابليس من السنة فى شئ (ومن شأنهم)
انهم اذا وقع احدهم فى مخالفة بادروا بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه
(ثم زاد) بعضهم على ذلك فاخذوا انه من طريق القوم الصادقين (وقد)
تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شئ من المكروه
الذى وقعوا فيه وانه يتوجه الى الله تعالى فى اخذ من وقع منه ذلك (وينبغى)
ان تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان فعله الشيخ عنه
جرى عليه ما جرى ولو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك فى العالم (الا
ترى) الى ما جرى لسيدى ابى على بن النعمان شيخ سيدى ابى محمد المرجانى
رحمه الله تعالى ان بعض اصحابه جاءه ... وقال منه ادبا ان يتزوج وابى
عليه ثم جاءه ثانيا فابى عليه ثم ثالثا كذلك فقال ارنى قال اذهب فذهب
المريد فاخذ امرأة وجاء بها الى بيته واغلق الباب واذا بالحائط قد انشق
ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا ساعيا فى البرية فخالف احدا لا يعرف اين
يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فسأل من اين اصابنى المرض من هناك
اداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله
اقدرت على شئ فعله اظن ابن لمعك (بل) كثير منهم لا يحتملون ان يروا
من شئ منهم فى ذره عالايدى (الا ترى) الى ما حكى عن بعضهم انه رأى
بعض اصحابه فى الصف الاول يوم الجمعة فقال له ما لى اراك ههنا فقال له
لاجل فضيلة الصف الاول وللقرب من الخطيب فقال له اما تعلم ان الاعز
من هؤلاء القوم اقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك
الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بعمره عليه (واول) ما يكون فى التعبير ان لا يرى
شيئا بخالف السنة حتى يتعين عليه التعبير بالقلب اذا ان اضعف ما فى التغيير
التعبير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل
ان يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتعبير بالقلب وان كان دون المرتبتين
اللتين قبله فهو اصعب منهما بهذا الاعتبار وما اشبهه (وما) ذاك الا لتلبيس
القلوب بالبلايا والعوائد المستمرة (الا ترى) الى ما حكى عن بعضهم انه قال
اول بدعة رأيت بات الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) لولا المدعى لما ورد كم
وكذلك وزدو من لم يزل الا تكره لم يزل دمه (وكذلك) نقل المكاشف على شئ

من ذلك أو نهى اليه وأما ان تأخر ذلك ويخرج عن التغيير فانه يكون عنده أقرب وأيسر (الماورد) فمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر الا أنا اه ثم لبعض سبيله ويعرض عنه

(فصل في مكاتبة الفقير لاخيه) وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتملق والقوافي والسجع والعبارات المتفقة والتكلف اذ ان ذلك لا يجوز (ألا ترى) ان كتب السلف رضي الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة اللازمة له (فان قيل) قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له ان معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أي الذي يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة انما هو بالقلوب لا بالاقاقة من الالسن كما هو الحال في هذا الزمان فهذه بعض نبذ يستدل بها على ما عداها (وأما) طريق كثير من الفقراء المسافرين أعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل ان تجد للاتباع فيها سبيلا (فمن ذلك) ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل ان تنحصر وفيما ذكر تنبيه على ما عداه والله الموفق

(فصل في صرف همم المريد كلها الى الآخرة وأمورها) وينبغي له أن يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة لأنه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعمل بغير ذلك الامر طريق الامثال لأن غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذي لا ينقطع (الا ترى) الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه (وكان) يقول أعجب من علا فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه في الجنة أو في النار (وقد) سأل رجل احمد بن حنبل رحمه الله ان يعظه (فقال) له الامام احمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من امر الآخرة فزادك الله هما وان كان من امر الدنيا فرج الله همك (وقد) انشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لا تضرعن اذا ما الامر ضقت به * ذرعا ونم وتوسد خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي ان نختمه بذكر شئ من احوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره واحواله ولكي يكون سلما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ما ذكره الساجي رحمه الله في كتابه المسمى انس الصالحين وسمر العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال احدهما لصاحبه اني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما من شعرة في جسده

وذراعه الا وفيها نوران ورأيت ابناءه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي انت وامي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين طباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وامي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك بأعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وامي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بأبي أنت وامي يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لاتأكلني فاني مسمومة بأبي أنت وامي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا ولقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وامي يارسول الله لقد اتبعك في احداث سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبي أنت وامي يارسول الله لو لم تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولو لم تنكح الا كفؤا لك مانكحت الينا ولو لم

بؤا كل الاكمة والثمار كلما ولدت الصوف وركبت الحمار ووضع ماما ملك بالارض ولعقت أصابعك تواضعاً لك صلى الله عليك (ومن كتاب) المستر للطبري رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ويلبس المصوف ولا يتأنق من ملبس يلبس ما وجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية ويوصي فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقداً واحداً عثمان وكان أحب الثياب اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب الثياب اليه القميص وكان اذا استجد ثوباً سماه باسمه عمامة كان أو قميصاً أورداء ويقول اللهم لك الحمد كما كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلي فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة (وكان) يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن علي) رضي الله عنه أنه قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفي وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتماً من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله في خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه مما يلي بطن كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة (وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتي في الدنيا النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه ويتبخر بالعود ويطرح معه الكافور (وكان) يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثاً في كل عين وربما اكتحل ثلاثاً في اليمنى واثنين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم (وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن

رأسه ولحيته (وكان) يترجل غبا (وكان) ينظر فى المرآة وربما نظر فى الماء في ركوة فى حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لا تفارقه قارورة الدهن فى سفر وفى المكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك (وكان) اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك فى الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين (وكان) صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نغر ابنها من بنى أبى طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجى مريض فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت المرأة وفتحت عينى زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفى عينيه بياض وجاءته أخرى فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهى تبكى فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا اترابا (وقالت) عائشة رضى الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى ثم ضرب كتفى وقال هذه بتلك (وجاء) صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشترى هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجدنى كاسدا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا (ورأى) رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية فى الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفر هاهنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى

يديه مخدة والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجوارى يلعبن عندها فاذا رأينه تفرقن فيسربهن اليها (وقال) لها يوما وهى تلعب بلعب فما هذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن داود فضحك فجاء الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك ياحميرا فقالت بأبى أنت وأمى يارسول الله ادع الله ان يغفر لى ماتقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى رؤى بياض ابطه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبا ولاتكسب بعدها خطيئة ولا اثما ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت ياعائشة فقالت اى والذى بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى بالحق ماخصصتك بها من بين أمتى وانها لصلاتى لامتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آت الى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائى (وكان) عليه الصلاة والسلام اكرم صنيعه ويبسط رداءه له كرامة وجاءته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بأمى وأجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لايمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لابد له أولاهله أو لأمته منه وماخير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا ان يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه (وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء (ورعى الغنم) وقال مامن نبى الا وقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ماجاءته النبوة (وكان) لايدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول مامنا الامن يجد فى نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان) اذا جاءه ما يحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى عنه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولامستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه

وحده لله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا)
جلس في المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر
الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم
من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا
افاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلي في سبحته قائما
وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
كان أكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء
وهو في الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر
وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان (وكان) صلى الله
عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا
(وكان) اذا رأى في منامه ما يروعه قال هو الله ربي لا شريك له (واذا) أخذ
مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث
عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله
الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم
بين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه
(ويخزن) لسانه ولا يتكلم في غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فصلا
لا فضولا ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقوله ويأتيك
بالاخبار من لم تزود (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك
من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه
وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه (وكان) لا يأكل متكئا
ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في
ما كل يأكل ما وجدان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا
اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة)
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان
يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم
التمر والماء (وكان) يعصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله
مفاتيح خزائن الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى الله عليه

وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (وأكل) لحم الدجاج (وكان) يحب
الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الظهر
(وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يحب الثفل
يعني ما بقي من الطعام (وكان) يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (وأكل)
صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا أدم هذا (وأكل) صلى الله
عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا
والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس
ثلاثا واذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها أحدا بدأ بمن عن يمينه (وشرب) صلى
الله عليه وسلم لبنا وقال من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا
خيرا منه واذا كان لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال) صلى الله
عليه وسلم ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد) الباجي
رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى
(كان) أحلم الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة الا
يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه أسخى الناس
لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو
الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه
فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى
لا يسئل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل
انقضاء العام أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة
العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويستتبعه الامة والمسكين
فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه [illegible]
يشهد الجنائز أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من
غير عي لا يهوله شيء من أمر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين
ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل
معذرة المعتذر يخرج الى بساتين أصحابه لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته
ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا قد جمع الله

تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا (قال) الباجي رحمه الله وذكر العتبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ الاعرابي يقول

يا خير من دفنت في الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة انا يارسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قيل يارسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي *

قد تم بحمد الله الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
أوله الكلام على الميت وما يتعلق به وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين